الوصايا والمواعظ الذهبية في الإسلام والجاهلية

عبيد مجول العجمي

الطبعة الأولى

١٩٩٧

اهداءات ٢٠٠٢
المجلس الوطنى للثقافة والفنون والاداب
الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

الوصايا والمواعظ الذهبية في الإسلام والجاهلية

قال الله تبارك وتعالى : –

﴿ والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين أمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾

وقال رسـول الله ﷺ :

﴿ كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ﴾

وقال لقمان لإبنه :

﴿ ثلاث من كن فيه فقد إستكمل الإيمان : من إذا رضي لم يخرجه رضاه إلي الباطل ، وإذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق ، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له . وإن أردت يابني أن تؤاخي رجلاً فأغضبه ، فإن أنصفك في غضبه وإلا فدعه . ﴾

وقال الشاعر : –

لا تظلمن إذا مـــا كنت مقتـــدراً

فالظلم ترجع عقبــاه إلى النـدم

تنـام عينـاك والمظلوم منتبـــه

يدعو عليك وعين الله لـــم تنم

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ ـــ ١٩٩٧ م

إهداء

.... وأنا أقدم هذا العمل المتواضع ، قاصداً به وجه الله تبارك وتعالى ، لأرجو أن يتقبله عز وجل ويجعل ثوابه لناصحي ومرشدي وواعظي .... والدي .... رحمة الله تعالى عليه . وأن يجعله صدقة جارية ، ومن العلم الذي ينتفع به ، وينور به قبره ، ويثقل به ميزان حسناته يوم القيامة ، وأن يغفر الله سبحانه وتعالى له ، ويرحمه ، ويعفو عنه إنه هو الغفور الرحيم .

وإلى أمي أطال الله فى عمرها ، وجزاها الله عني خير الجزاء ، التى مهما فعلت فلن أوفيها حقها أبداً .

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله خالق الزمن والحين ، ورازق الزمن (١) والمسكين ، الظاهر المبين المتين ، القاهر فكم كب المتكبرين ،لا يغرب عن سمعه اعتلاج الأنين ، ولا يخفى على بصره إختلاج الجنين واليسير والحقير فى عمله يقين ، والصخر الصلد من خوفه يلين ، أنشأ آدم بقدرته من لازب الطين ما ذرأ فى صحن التكوين ، ورش عليهم من نوره فأخطأ المحرومين .

* * *

١) الزمن : – الضعيف بكبر سن أو طول علة

ثم أخرجهم إلى الدنيا من الماء المهين ، ليسوقه فى ظلمات المطامير(١) إلى قرار مكين ، ثم قلبه بالحكمة فى ألوان التكوين ، فتبارك الله أحسن الخالقين .

أحمده حمد الشاكرين ، وأصلى على رسوله سيد المرسلين وعلى أله وصحابه أجمعين .

وبعد ،،،

فإننى تفكرت بهذه الدنيا فوجدتها حلوة الأوقات كثيرة الملذات والشهوات ،متعددة الماديات ، وفي ذات الوقت ، وجدتها جالبة للحسرات والويلات ومفرقة للقرابات ، كثيرة الصداقات والعداوات وهادمة للمسرات ، ماطال فيها قصر ، ومن تكبر عثر ، ومن حصل على سمعه رأيا إندثر وإنعثر ، ومن تقرب لغير الله خاب وخسر ، ومن اتبع سنة غير سنة المصطفى (ﷺ) حشر دون بصر .

وجدت قويها يأكل ضعيفها ، وتاجرها يذبح فقيرها ، وصغيرها لا يوقر كبيرها ، وكبيرها لا يعطف على صغيرها إلا ما رحم ربى وجدت فيها وأتمني أن يكون قليلاً ونادراً ، العالم ضائع والفساد شائع ومن ليس لديه محسوبية وواسطة جائع ، والبعض للشرف بائع .

***

---

١) ظلمات المطامير : هى الظلمات الثلاث ظلمة صلب الرجل وظلمة بطن المرأة وظلمة الرحم .

والمنافق والمرائى والجاهل لامع وساطع ، والشباب عن تقاليد وعادات أمته متراجع ، وللموضه المستهجنة متابع والكديش راتع ، والحقير والدنيء طامع ، والفقير بمقلتيه دامع ، والمرأة في لباسها دالع ، ومن لا حولة ولا قوة له قانع .

وجدتها تمنى الأنام بالأحلام ، وتقربهم من الهلاك والإعدام ، وتبعدهم عن الخير والإسلام ، الخمر فيها مشروب ، والقمار ملعوب، والغناء والرقص مطلوب ،والظالم المتجبر المتنفذ مهيوب ومحبوب.

فهذه يأخى دار الحياة الدنيا ، دار الفناء والعناء ، دار التعب والصخب والنصب ، دار البوار والدمار ، وهذه الصفات هى صفات أهلها الظالمين لأنفسهم ، فتيقن يأخى أنَ داراً كهذه صفتها وصفة أهلها ، هى دار لامحالة زائلة وفانية وبالية ، ومن لم يتوصل لهذه النتيجة فهو بلاشك مخبول العقل ، معلول التفكير سقيم الفهم .

وأمام هذه الصورة القاتمة والمظلمة والموحشة والمزعجة والمشوشة والمضطربة والمختلة ، توجد الدار الأخرة دار الإستقرار والإستمرار الدار الباقية ، دار الجنة المساكن فيها قصور ، والزوجات حور عين ، والملابس حرير ، والحلى ذهب وفضة ، والشراب خمر وكافور ، والطعام لحم وفاكهة .

ونظراً لإنغماس بعض الناس فى ملذات هذه الحياة الدنيا ونسيانهم أن أولهم نطفة مذرة ، وأخرهم جيفة قذرة ، وهم بين هذا وذاك يحملون العذره .

وجدت أنه من الواجب التذكير لما فيه الخير والصلاح فى الدنيا والأخرة لأمة الإسلام قال الله تعالى : ﴿ **وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين**(١) ﴾ ولم ولن أجد ما أذكر به خيراً من الوصية والنصيحة والموعظة كما جاء ذلك فى القرأن الكريم والوصايا الإلهية وما جاء على لسان الرسول الإعظم ﴿ﷺ﴾ ، ثم الخلفاء الراشدين من بعده ، ثم علماء المسلمين ، فأصحاب التجارب والخبرات الذين عركتهم الحياة وذاقوا حلوها ومرها ، وتركوا لنا دروساً يتعين علينا الأخذ بها والعمل بموجبها ، لنسعد فى حياتنا ونفوز عند مماتنا ، وهذه الوصايا والمواعظ والنصائح ليست تذكيراً بالأخرة فحسب ، ولكنها شاملة لكل الصفات الحميدة التى إتصف بها العرب فى الجاهلية ، ثم جاء الإسلام وحض عليها وباركها وأقرها ، ومنها على سبيل المثال ﴿ الأخلاق ، الكرم ، الشجاعة ، المروءة ، الإباء ، والإيخاء ، العدل ، الحق ، التواضع ...... ﴾ .

---

١) سورة الذاريات الأية ٥٥

ولذلك نقول : -

يجود علينا الخيرون بعلمهم ونحن بعلم الخيرين نجودوا

وقد قال الرسول (ﷺ) ﴿ **إنما الدين النصيحة قيل لمن يارسول الله قال لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم** ﴾ .

وقد حاولنا جاهدين أن يحتوى هذا العمل المتواضع على أكبرقدر ممكن من الوصايا والمواعظ والنصائح المنتشرة فى أمهات كتب الفقه والحديث والأدب والتاريخ تسهيلاً وتيسيراً على الباحث والقارىء ، ومحاولة أن تكون الفائدة المرجوة منه كبيرة وعامة وشاملة ، ونرجو أن نكون قد وفقنا فيما هدفنا إليه من هذا العمل وأن يؤتى أكله يانعة ، لكل ناشد للخير والعدل والصلاح والحق فى هذه الأمة .

وقديماً قال الشاعر : -

النصح أرخص مابا ع الرجال فلا ترد على ناصح نصحاً ولا تلم

إن النصائح لا تخفى مناهجها على الرجال ذوى الألباب والفهم

ونقول كما قال الشاعر : -

ولقد نصحتك إن قبلت نصيحتى والنصح أرخص مايباع ويوهب

وها نحن نبدأ بمحتويات هذا الكتاب وبالله التوفيق .

* * *

عبيد مجول العجمي

الباب الأول

وصايا القرآن الكريم والوصايا الإلهية

الباب الأول

وصايا القرأن الكريم والوصايا الإلهية

الفصل الأول: –

القرأن الكريم :

كتاب الله فيه خير ماقبلكم ونبأ مابعدكم وحكم مابينكم ، وهو الفصل ليس بالهزل ، هو الذى لاتزيغ به الأهواء ، ولا تشبع منه العلماء ، ولا يخلق عن كثره الرد ولا تنقضى عجائبه . هو الذى من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغ الهدى فى غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين والذكر الحكيم والصراط المستقيم وأصدق الوصايا ، ماورد في القرأن الكريم من أوامر للعباد ونواهي ، تنزيل من حكيم عليم على الرسول ﴿ﷺ﴾ ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر . ما اخترناه تذكيراً للغافلين وتحذيراً للعاصين .

***

الوصية الأولى : قال الله تعالى في سورة البقرة (1) :-

﴿لا تفسدوا في الأرض﴾ ﴿آمنوا كما آمن الناس﴾ ﴿اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم﴾ ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾ ﴿فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة﴾ ﴿وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ ﴿أوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون﴾ ﴿اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم﴾ ﴿وآمنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ، ولاتشتروا بآياتي ثمنا قليلاً وإياي فاتقون﴾ ﴿ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون ، وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين﴾ ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾ ﴿واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون﴾ ﴿كلوا من طيبات مارزقناكم﴾

---

1) : الأيات : - ١١ ، ١٣ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٥٧ ، ٦٠ ، ٨٣ ، ٩١ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١٢٥ ، ١٣٢ ، ١٣٦ ، ١٤٤ ، ١٤٨ ، ١٥٢ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٨٥ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٠٨ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٥٤ ، ٢٦٤ ، ٢٦٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، .

﴿كلوا واشربوا من رزق الله ولاتعثوا في الأرض مفسدين﴾ ﴿لا تعبدون الا الله وبالوالدين إحسانا وفي القربى واليتامى والمساكين ، وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ ﴿آمنوا بما أنزل الله﴾ فاعفوا واصفحوا ﴾ ﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله﴾ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ ﴿طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود﴾ ﴿لاتموتن الا وأنتم مسلمون﴾ ﴿قولوا : آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط، وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم﴾ ﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾ . ﴿استبقوا الخيرات ﴾ ﴿ فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون﴾ كلوا مما في الأرض حلالاً طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ ﴿اتبعوا ما نزل الله﴾ ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ ﴿ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم﴾ . ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام﴾ ﴿ وآتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله﴾ ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾ ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ ﴿وأنفقوا في سبيل الله ولاتلقوا بأيديكم إلى

التهلكة وأحسنوا ﴿وأتموا الحج والعمرة لله ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون ياأولي الألباب ﴿ادخلوا في السلم كافة ﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ﴿ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ﴿فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن ، فإن تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله ﴿فأتوا حرثكم أنى شئتم ، وقدموا لأنفسكم واتقوا الله ﴿واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين ﴿ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس ﴿تلك حدود الله فلا تعتدوها ﴿فامسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولاتمسكوهن ضراراً لتعتدوا ﴿ولاتتخذوا آيات الله هزوا واذكروا نعمت الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ،واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم ﴿فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن ﴿لاتضار والدة بولدها ولا مولود له بولده ﴿لا تواعدوهن سرا الا أن تقولوا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه ، واعلموا أن الله غفور حليم ﴿ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا ﴿وأن تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين ﴾

﴿ أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لابيع فيه ولا خله ولا شفاعة ﴾﴿لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى ﴾﴿أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه ﴾﴿واتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ﴾﴿واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ﴾﴿إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه ، وليكتب بينكم كاتب بالعدل ، ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذى عليه الحق وليتق الله ربه ، ولا يبخس منه شيئا ، فان كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لايستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا ولاتسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله ﴾﴿واشهدوا إذا تبايعتم ﴾﴿فليؤد الذى أؤتمن أمانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ﴾ .

* * *

الوصية الثانية : - قال تعالى في سورة الأنعام [1]: -

﴿ قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً ، وبالوالدين إحساناً ، ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ، ولا تقربوا الفواحش ماظهر منها وما بطن ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ﴿﴾ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده ، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ، لا نكلف نفساً إلا وسعها ، وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ، وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون ﴿﴾وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون .

---

1) الأيات : ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ .

* * *

الوصية الثالثة : - قال الله تعالى في سورة الإسراء (1) :-

﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً ﴿﴾ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً ﴿﴾ ربكم أعلم بما في نفوسكم ، إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفوراً ﴿﴾ وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً ﴾ .

﴿ إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين ، وكان الشيطان لربه كفوراً ﴿﴾ وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولاً ميسوراً ﴿﴾ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ، ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً ﴿﴾ إن ربك يبسط الرزق لمن يشأ ويقدر ، إنه كان بعباده خبيراً بصيراً ﴿﴾ ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق ، نحن نرزقهم وإياكم ، إن قتلهم كان خطأً كبيراً ﴾ ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً ﴾ .

---

1) الأيات : ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، .

﴿ ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ، ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل ، إنه كان منصوراً ﴾ ﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هي أحسن حتى يبلغ أشده ، وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً ﴾ ﴿وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ، ذلك خيراً وأحسن تأويلاً ﴾ ﴿ولا تقف ماليس لك به علم ، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ﴾ ﴿ولا تمش في الأرض مرحاً ، إنك لن تخرق الأرض ، ولن تبلغ الجبال طولاً ﴾ ﴿كل ذلك كان سيئة عند ربك مكروها ﴾ ﴿ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ، ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحوراً ﴾ .

* * *

الوصية الرابعة : - قال تعالى فى سورة المؤمنون (١) :-

﴿ قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴾ ﴿والذين هم عن اللغو معرضون ﴾ ﴿والذين هم للزكاة فاعلون ﴾ ﴿والذين هم لفروجهم حافظون ﴾ ﴿إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ﴾ ﴿فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ﴾ ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ﴾ ﴿والذين هم على صلواتهم يحافظون ﴾ ﴿أولئك هم الوارثون ﴾ ﴿الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ﴾ .

١) الأيات : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١

* * *

الوصية الخامسة : – قال تعالى فى سورة لقمان [1] : –

﴿وإذ قال لقمان لأبنه وهو يعظه يابنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ﴾﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير ﴾﴿وأن جاهداك على أن تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إلى ثم إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنت تعلمون ﴾﴿يابنى أنها أن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرى أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله أن الله لطيف خبير ﴾ .

﴿ يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر وأصبر على ما أصابك أن ذلك من عزم الأمور ﴾﴿ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور ﴾﴿واقصد فى مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴾ .

---

١) الأيات : ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ .

* * *

الفصل الثانى : –

الوصايا الإلهية

الوصية الأولى : –

يقول الله تعالى :

﴿ يا ابن آدم إذا ذكرتنى شكرتنى ، وإذا نسيتنى كفرتنى ، انفق أنفق عليك ، أنا مع عبدي إذا ذكرني وتحركت بي شفتاه ، ولا أجمع على عبدى خوفين ، ولا أجمع له أمنين ، إن خافني في الدنيا لم يخف في الآخرة ، وإن أمننى في الدنيا لم يأمن فى الآخرة أين المتحابون بجلالى ، اليوم أظلهم في ظلي ، أنا عند ظن عبدي بي ،وأنا معه إذا دعاني . يقول الله لأهون أهل النار عذاباً : لو أن لك ما في الأرض من شيء كنت تفتدي به ؟ قال : نعم قال : فقد سألتك ما هو أهون من هذا وأنت في صلب آدم : أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت إلا الشرك . الكبرياء ردائى ، والعظمة إزاري ، فمن نازعنى واحداً منهما أدخلته النار ﴾ **يقول الله لموسى** : إن هذا دين أرتضيه لنفسى ، لايصلحه إلا السخاء وحسن الخلق ، فأكرموه بهما ما صحبتموه ، ياموسى إنك لن تتقرب إلى بشيء أحب إلى من الرضا بقضائى ، ولن تعمل عملاً أحفظ لحسناتك من النظر في أمورك ، ياموسى : لا تتضرع

إلى أهل الدنيا فأسخط عليك ، ولا تجد بدينك لدنيا فأغلق عليك أبواب رحمتى ، ياموسى : قل للمؤمنين التائبين : أبشروا ، وقل للمؤمنين المختبين أخبتوا وأحسنوا .

أعددت لعبادي الصالحين ما لاعين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . ومن رجا غيري لم يعرفني ومن لم يعرفني لم يعبدنى ، ومن لم يعبدنى فقد إستوجب سخطي ، ومن خاف غيري حلت به نقمتي ، ياموسى : خف ثلاثة : خفني ، وخف نفسك . وخف من لا يخافني ﴿ أي يقول : خذ حذرك من هؤلاء ﴾ . يابن آدم أنك مادعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى ، يابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم إستغفرتني غفرت لك ولا أبالي يابن آدم ، إنك لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة . إذا قال العبد ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾ يقول الله : ذكرني عبدي ، وإذا قال ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾ يقول الله : حمدني عبدي ، وإذا قال ﴿ **الرحمن الرحيم** ﴾ يقول الله : أثنى علي عبدي ، وإذا قال ﴿ **مالك يوم الدين** ﴾ يقول الله : ﴿ مجدني عبدي وفوض إلى عبدي ، وإذا قال : ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾

يقول الله هذه بيني وبين عبـــــدي ولعبـــدي ما سأل وإذا قـال ﴿ **إهدنـا الصـراط المسـتقيم صـراط الذيـن أنعمـت عليهـم غـير المغضوب عليهم ولا الضالين** ﴾ **يقول اللـــه** : هؤلاء لعبدي ولعبدي مـــاسأل .

فإذا قال ﴿ **آمين** ﴾ يقول الله : قد أجبـت . الإخـلاص سر مـن أسراري استودعته قلب مـن أحببت مـن عبـادي ، إذا أخـذت كريمتـي عبدي في الدنيا ﴿ **يعني عينيه** ﴾ لم يكن لـه جزاء عندي إلا الجنة . قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ .

﴿ يخرج فى آخر الزمان رجال يطلبون الدنيا بـالدين ويلبسـون للناس جلود الضأن من اللين ، ألسـنتهم أحلـى مـن العسـل ، وقلوبهـم قلوب الذئاب ، يقول الله : أبيغترون ، أم علي يجترؤون ؟ فبـي حلفـت لأتحين علـى أولئك منـهم فتنه تدع الحكيم منهم حيران ﴾ ، قـال رسـول الله ﴿ﷺ﴾ ﴿ يجاء يوم القيامة بإبن آدم كأنه بذج فيوقف بين يـدي الله تعالى : فيقول الله تعالى لـه : أعطيتك وخولتك وأنعمت عليك ، فماذا صنعت ؟ فيقول : جمعته وثمرته أكثر مما كان فإرجعني أتك بـه ، فإذا به عبد لم يقدم خيراً ، فيمضى به إلى النار ﴾ .

يـاابن آدم تفـرغ لعبـادتى أمـلأ صـدرك غنـى وأسـد فقـرك ، وإلا تفعل أملأ يدك شغلاً ولم أسد فقرك . ياابن آدم لو رأيت يسـير مـا بقـى من أجلك لزهت فى طول مـا ترجـو مـن أملـك ، وقصـرت مـن حرصـك

وحيلك ، وابتغيت الزيادة فى عملك ، وإنما تلقى الندم لو قد زلت بك القدم ، وأسلمك الأهل والحشم ، وإنصرف عنك الحبيب ، وأسلمك الغريب ، فلا أنت إلى أهلك عائد ولا فى عملك زائد ، فأعمل ليوم القيامة يوم الحسرة والندامة .

وقال الله تعالى ﴿ إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتى ، ولم يستطل بها على خلقى ، ولم يبت مصراً على معصيتى ، وقطع نهاره فى ذكري ، ورحم المسكين ، وإبن السبيل والأرملة ورحم المصاب ، ذلك نوره كنور الشمس أكلؤه بعزتي وأستحفظه ملائكتى ، أجعل له فى الظلمة نوراً ، وفى الجهالة علماً ، ومثله فى خلقي كمثل الفردوس فى الجنة ﴾ .

﴿ ياموسى إنى أعلمك خمس كلمات هن عماد الدين : مالم تعلم أن قد زال ملكي فلا تترك طاعتى ، ومالم تعلم أن خزائنى نفدت فلا تهتم برزقك ، ومالم تعلم أن عدوك قد مات فلا تأمن فجأته ولا تدع محاربته ، ومالم تعلم أنى قد غفر لك فلا تعب المذنبين ، ومالم تدخل جنتى فلا تأمن مكري ﴾ .

قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ ﴿ قال موسى : يارب علمنى شيئاً أذكرك به وأدعوك به ، قال ياموسى قل : لا إله إلا الله قال موسى يارب كل عبادك يقول هذا ، قال قل : لا إله إلا الله ، قال : لا إله إلا أنت ، إنما أريد شيئاً تخصنى به ،

قال : ياموسى لو أن السموات السبع وعمارهن ، والأرضين السبع فى كفة ، ولا إله إلا الله فى كفة مالت بهن لا إله إلا الله ﴾ .

يقول الله لمحمد ﴿ﷺ﴾ ﴿ يامحمد أما يرضيك أنه لا يصلي عليك أحد إلا صليت عليه عشراً ، ولا يسلم عليك أحد إلا سلمت عليه عشراً ﴾ **وقال الله** ﴿ وجبت محبتى للمتحابين في ، وللمتجالسين في ، والمتباذلين في ، والمتزاورين في . ﴾

يقول الله عز وجل ﴿ يادنيا أخدمى من خدمنى واتعبى من خدمك ﴾

وقال الله ﴿ أن عبداً أصلحت له جسمه ، ووسعت عليه فى المعيشة تمضي عليه خمسة أعوام لا يفد إلي لمحروم ﴾ .

وقال رسول الله : ﴿ﷺ﴾ ﴿ إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة ، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً ، كل سجل مثل مد البصر ثم يقول له أتنكر من هذا شيئاً ؟ أظلمتك كتبتى الحافظون ؟ فيقول : لا يارب فيقول أفلك عذر ؟ فيقول : لا يارب فيقول : بلى أن لك عندى حسنة فأنه لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد عبده ورسوله فيقول : احضر وزنك فيقول : يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقول : إنك لا تظلم قال فتوضع السجلات فى كفه والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع إسم الله شيئاً .

وقال رسول الله ﴿ﷺ﴾ ﴿ يوقفون - يعنى الملائكة - بين يدي الله ويشهدون - يعني للعبد - بالعمل الصالح المخلص لله فيقول لهم : أنتم الحفظة على عمل عبدي وأنا الرقيب على ما فى قلبه إنه لم يردني بهذا العمل وأراد به غيري فعليه لعنتى ﴾ .

وقال رسول الله ﴿ﷺ﴾ ﴿ إن الله إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضى بينهم وكل أمة جاثية فأول من يدعى به رجل جمع القرأن ورجل قتل فى سبيل الله ورجل كثير المال فيقول الله للقارىء : ألم أعلمك ما أنزلته على رسولي ؟ قال : بلى يارب قال : فماذا عملت فيما علمت ؟ قال : كنت أقوم به أناء الليل وأطراف النهار فيقول الله له كذبت وتقول له الملائكة كذبت ويقول الله له : إنما قرأت ليقال فلان قارىء فقد قيل ذلك ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له : ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد ؟ قال : بلى يارب قال فماذا عملت فيما أتيتك ؟ قال كنت أصل الرحم وأتصدق فيقول الله له : كذبت وتقول له الملائكة كذبت ويقول الله له : بل أردت أن يقال فلان جواد فقيل ذلك ويؤتى بالذى قتل فى سبيل الله فيقول الله : فيم ذا قتلت ؟ فيقول أمرت بالجهاد فى سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول الله له : كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله له : بل أردت أن يقال فلان جريء فقد قيل ذلك ﴾ ثم ضرب رسول الله ﴿ﷺ﴾ على رقبة

أبــى هريرة ثـــم قـــال : ﴿ يا أباهريرة : أولئك الثلاثـة أول من تسـعر بهم النـار يوم القيامـة ﴾ فكـان أبـو هريـرة إذا حـدث بهـذا الحديث يغشى عليه ويتلو قول الله تعالى﴿ فمن كان يرجو لقـاء ربـه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾.

* * *

الوصية الثانية :

ناجى أحد العبيد ربه في خلوته فقال :

﴿ يارب خلقتني ولـم تستأمرني ، ثـم تميتنـي ولا تستشـيرني ، وامرتنى ونـهيتني ولم تخبرني ، وسلطت علي هوى مردياً ، وشـيطان مغوياً ، وركبت فـي نفسـي شـهوات مركـوزه وجعلـت بيـن عينـي دنيا مزينـة ، ثـم خوفتنـي وزجرتنـي بوعيـد وتهديـد ، وقلـت ﴿ اسـتقم كمـا أمـرت ﴾ ولا تتبـع الهـوى فيضلـك عـن سـبيلي ، واحـذر الشـيطان أن يغويك ، والدنيا لاتغرنك ، وتجنب شهواتك لا ترديك ، وآمالك وأمـانيك لاتلهيك ، واوصيك بأبنـاء جنسك فدارهم ، ومعيشتك فاطلبها مـن وجـه حلال ، فإنك مسؤول عنها إن لـم تطلبهـا ، ومسـؤول عنهـا إن طلبتهـا مـن غـير وجههـا ، ولا تنـس الآخـرة كمـا لـم تنـس نصيبـك مـن الدنيـا وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولاتبـغ الفسـاد فـي الأرض ، ولاتعـرض عن الآخرة فتخسر الدنيا والآخرة ، وذلك هـو الخسـران المبيـن ، فقـد

حصلت – يارب – بين أمور متضادة وقوىً متجاذبة ، وأحوال متقابلة فلا أدري كيف أعمل ، ولا أهتدي أي شيء أصنع ، وقد تحيرتُ في أموري وضللت عن حيلتى فإدركني يارب وخذ بيدي ودلني على سبل نجاتي وإلا هلكت .

فأوحى الله عز وجل إليه ياعبدى مأمرتك بشيء تعاونني فيه ولا نهيتك عن شيء كان يضرنى إن فعلته بل إنما أمرتك لتعلم أن لك رباً وإلهاً هو خالقك ورازقك ومعبودك ومنشئك وحافظك وصاحبك وناصرك ومعينك ولتعلم بأنك محتاج فى جميع ما أمرتك إلى معاونتى وتوبتي وهدايتي وتيسيري وعنايتي ولتعلم أيضاً بأنك محتاج فى جميع ما نهيتك عنه إلى عصمتي وحفظي ورعايتي وأنك إلي محتاج فى جميع تصرفاتك وأحوالك وأوقاتك من أمور دنياك وأخرتك ليلاً ونهاراً وأنه لا يخفى علي من أمورك صغيراً ولا كبيراً سراً وعلانية وليتبين لك وتعرف أنك مفتقر ومحتاج إلي ولابد لك مني فعند ذلك لا تعرض عني ولا تتشاغل عني ولا تنساني ولا تشغل بغيري بل تكون فى دائم الأوقات فى ذكري وفى جميع أحوالك وحوائجك تسألني وفى جميع تصرفاتك تخاطبني ، وفي جميع خلواتك تناجيني وتشاهدني وتراقبني ، وتكون منقطعاً إلي من جميع خلقي ، ومتصلاً بي دونهم ، وتعلم أني معك حيث ما تكون ، أراك وإن لم ترني ، فإذا أردت هذه كلها وتيقنت وبان لك حقيقة ماقلت ، وصحة ما وصفت ، وتركت كل شيء وراءك وأقبلت إلي وحدك ، فعند ذلك أقربك مني ، وأوصلك إلي

وأرفعك عندي وتكون من أوليائى وأصفيائى وأهل جنتي فى جواري مع ملائكتي ، مكرماً مفضلاً مسروراً فرحاً منعماً ملذذاً آمنا مبقي سرمداً أبداً دائماً .

فلا تظن بي ياعبدي ظن السوء ، ولا تتوهم علي غير ما يقتضيه كرمي وجودي واذكر سالف إنعامي عليك، وقديم إحساني إليك ، وجميل آلائي لديك ، إذ خلقتك ولم تك شيئاً مذكوراً ، خلقاً سويا ، وجعلت لك سمعاً لطيفاً ، وبصراً حاداً ، وحواس دراكة ، وقلباً ذكياً ، وفهما ثاقباً ، وذهناً صافياً ، وفكراً لطيفاً ، ولساناً فصيحاً ، وعقلاً رصيناً ، وبنية تامة ، وصورة حسنة ، وأعضاء صحيحة ، وأدوات كاملة ، وجوارح طائعة ، ثم ألهمتك الكلام والمقال ، وعرفتك المنافع والمضار ، وكيفية التصرف في الأفعال والصنائع والأعمال ، وكشفت الحجب عن بصرك ، وفتحت عينك لتنظر إلى ملكوتي ، وترى مجاري الليل والنهار ، والأفلاك الدوارة ، والكواكب السيارة ، وعلمتك حساب الأوقات والأزمان والشهور ، والأعوام والسنين والأيام ، وسخرت لك ما في البر والبحر من المعادن والنبات والحيوان ، تتصرف فيها تصرف الملاك ، وتتحكم فيها تحكم الأرباب فلما رأيتك متعدياً جائراً باغياً ، خائنا ظالماً طاغياً ، متجاوزاً الحد والمقدار ، عرفتك الحدود والأحكام ، والقياس والمقدار ، والعدل والإنصاف ، والحق والصواب ، والخير والمعروف ، والسير العادلة ، ليدوم لك الفضلُ والنعم ، ويصرف عنك العذاب والنقم ، وغرضتك لما هو خير لك وأفضل ،

وأشرفُ وأعز وأكرم ، وألذ وأنعم ، ثم أنت تظن بي ظنون السوء ، وتتوهم علي غير الحق .

ياعبدي إذا تعذر عليك فعل شيء مما أمرتك به فقل ﴿ لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ﴾ كما قالت حملة العرش لما ثقل عليهم حمله وإذا أصابتك مصيبة فقل : ﴿ إن لله وإنا إليه راجعون ﴾ كما يقول أهل صفوتى ومودتي وإذا زلت بك القدم فى مصيبتي فقل ما قال صفيي آدم وزوجته ﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ وإذا أشكل عليك أمراً ، وأهمك رأىً أو أردت رشداً وقولاً صواباً ، فقل كما قال خليلي إبراهيم : ﴿ الذى خلقني فهو يهدين ، والذى هو يطعمني ويسقين ، وإذا مرضت فهو يشفين ، والذى يميتني ثم يحيين ، والذى أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين رب هب لي حكماً وإلحقني بالصالحين ، وإجعل لي لسان صدق في الأخرين ، وإجعلني من ورثة جنة النعيم ، وإغفر لأبي أنه كان من الضالين ، ولا تخزني يوم يبعثون ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتي الله بقلب سليم ﴾ وإذا أصابتك مصيبة فقل كما أعلمتك فيما أنزلته عليك من قول يعقوب : ﴿ أنما أشكوا بثي وحزني إلى الله ، وأعلم من الله ما لا تعلمون ﴾ وإذا جرت منك خطيئةٌ فقل كما قال موسى : ﴿ هذا من عمل الشيطان ، أنه عدو مضل مبين ﴾ وإذا صرفت عنك

معصية فقل كما قال يوسف أو صاحبته ﴿ وما أبرىء نفسي ، إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم ﴾ .

وإذا إبتلاك الله ببلية فافعل ماذكر الله عن داود ﴿ فإستغفر ربه وخر راكعاً وأناب ﴾ وإذا رأيت العصاة من خلق الله الخاطئين من عباده ولم تدر ما حكم الله فيهم فقل كما قال عيسى : ﴿ إن تعذبهم فإنهم عبادك وإتغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ وإذا إستغفرت الله وطلبت عفوه فقل كما قال محمد ﴿ﷺ﴾ وأنصاره ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به وإعف عنا وإغفر لنا وأرحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ﴾ وإذا خفت عواقب الأمور ولم تدر بماذا يختم لك فقل كما يقول الأصفياء ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذا هديتنا وهب لنا من لدنك رحمه إنك أنت الوهاب ربنا أنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد . ﴾

* * *

الوصية الثالثة :

قال الله تعالى فى صحف إبراهيم عليه السلام :

من العزيز الحميد ، إلى من أبق من العبيد سلام عليكم ، هذه رسالتى إليكم بما إختصصتكم به من نور العلم وذكاء الفهم ، فأول ذلك أنى أخرجتكم من العدم إلى الوجود ، واخترت لكم الجود ، وأنشأت لكم الأبصار فأبصرتم ، والأسماع فسمعتم ، والعقول ففهمتم ، والقلوب فعلمتم ، وأشهدتكم على أنفسكم لى بالوحدانية فشهدتم ، وبعد الإقرار أنكرتم ، وعند الإقبال إلينا أدبرتم ، ونقضتم عهودنا وغيرتم ، فلا يوحشنكم ذلك منا فإن عدتم عدنا وزدنا فى الكرم وجدنا ، فمن عثر أقلنا ، ومن قطع وصلنا ، ومن تاب قبلنا ونسي ذكرنا ، ومن عمل قليلاً شكرنا ، نعطى ونمنح ، ونجود ونسمح ، نعفو ونصفح ، كرمنا مبذول ، وسترنا مسبول .

عبدي ، انظر إلى السماء وارتفاعها ، والشمس وشعاعها ، والأرض واقطارها ، والبحار وأمواجها ، وإلى ما هو مستيقظ وراقد وراكع وساجد ، وماغاب وما حضر وما خفى وما ظهر ، الكل يشهد بجلالي ويقر بكمالي ، ويعلن بذكرى ولا يغفل عن شكرى .

عبدي أذكرك وتنسانى ، وأسترك ولاترعانى ، لو أمرت الأرض لابتلعتك فى حينها ، أو البحار لأغرقتك فى معينها ، ولكن أحميك بقدرتى ، وأمرك بقوتى ، وأجلك إلى أجل أجلته ، ووقت وقته ، فلا بد لك من الورود علي ، والوقوف بين يدى ، أعدد عليك أعمالك ، وأذكرك أفعالك ، حتى إذا أيقنت بالبوار وقلت لامحالة إنك من أهل النار ، أوليتك غفرانى ومنحتك رضوانى ، وغفرت لك الذنوب والأوزار ، وقلت لا تحزن فمن أجلك ياعبدي سميت نفسى العزيز الغفار .

* * *

الوصية الرابعة : -

قال رسول الله (ﷺ) يروي عن الله تبارك وتعالى أنه قال :

﴿ ياعبادي أنى حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا ياعبادى كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم . ياعبادي، كلكم جائع إلا من أطعمته ، فاستطعموني أطعمكم . ياعبادي كلكم عار إلا من كسوته ، فاستكسوني أكسكم . ياعبادي ، إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً ، فاستغفروني أغفر لكم . ياعبادي ، إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني . ياعبادي ، لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ، مازاد ذلك في ملكي شيئاً . ياعبادي لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم ، كانوا علي أفجر قلب رجل واحد منكم ، مانقص ذلك من ملكي شيئاً ياعبادي ، لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد ، فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما يُنقُص المخيط إذا أدخل البحر ياعبادي إنما هي أعمالكم أحصيها عليكم ، ثم أوفيكم إياها . فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه .﴾

* * *

الباب الثاني

وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم

الباب الثانى

وصايا الرسول (ﷺ)[1]

روى عبد الله بن بكر بن حبيب السيمى عن الحسن بن ذكوان قال أن النبى (ﷺ) قال : أوصاني ربي بتسع خصال وأني موصيكم بها وهى : -

" الإخلاص في السر والعلانية ، والعدل في الرضا والغضب ، والقصد فى الفقر والغنى ، وأن اعفو عمن ظلمني ، وأصل من قطعنى ، وأعطي من حرمنى ، وأن يكون صمتى فكراً ، ونطقي ذكراً ، ونظري عبراً "، والرسول (ﷺ) لاينطق عن الهوى ، بعثه الله سبحانه وتعالى رحمة للبشر وطاعته واجبة ، حيث قال الله تعالى ﴿ **ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم** [2] ﴾

---

1) هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ، من قريش من عدنان من أبناء إسماعيل بن إبراهيم الخليل . نشأ فى قومه متحلياً بجميع الصفات والأخلاق الحميدة ، فلقب بالصادق الأمين ، ونزل عليه جبريل عليه السلام بالقرآن الكريم فى رمضان سنة ٦١٠ م ، وهو فى الثالثة والأربعون من عمره فدعى بالوحدانية لله عز وجل سراً ثم جهراً ، ولاقى فى ذلك أذى كبيراً ، ولكنه صبر حتى أسس الدولة الإسلامية والتى أصبحت مترامية الأطراف مهابة الجانب .

2) سورة النساء الآية ٨٠

ومن حرصه وخوفه على المسلمين واهتمامه بهم ،أخذ عليه الصلاة والسلام فى وصيتهم ونصحهم ، وهذا ما سوف نراه فى الفصول التالية :

* * *

الفصل الأول :

وصيتة ﴿ﷺ﴾ [1] للإمام على ابن أبى طالب كرم الله وجه

عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال :

﴿ أوصاني رسول الله ﴿ﷺ﴾ فقال ياعلى أوصيك بوصية فأحفظها ، فإنك لاتزال بخير ما حفظت وصيتي .

ياعلي ، إن للمؤمن ثلاث علامات : الصلاة ، والصيام ، والزكاة ، وللمتكلف ثلاث علامات : يتملق إذا شهد ، ويغتاب إذا غاب ، ويشمت بالمصيبة ، وللظالم ثلاث علامات : يقهر من دونه بالغلبة ، ومن فوقه بالمعصية ، ويظاهر الظلمة ، وللمرائى ثلاث علامات : ينشط إذا كان عند الناس ، ويفتر إذا كان وحده ، ويحب أن يحمد في جميع الأمور ، وللمنافق ثلاث علامات : إن حدث كذب ، وإن وعد أخلف ، وإن ائتمن خان .

---

١) : أكثر مفردات الوصية موجود فى أحاديث كثيرة

ياعلي ، وللكسلان ثلاث علامات : يتوانى حتى يفرط ، ويفرط حتى يضيع ، ويضيع حتى يأثم ، وليس ينبغى للعقل أن يكون شاخصاً إلا في ثلاث : مرمة لمعاش ، أو لذة في غير محرم ، أو خطوة لمعاد

ياعلي ، إن من اليقين أن لا ترضي أحداً بسخط الله ، ولا تحمدن أحداً على ما آتاك الله ، ولا تذمن أحداً على مالم يؤتكه الله ، فإن الرزق لا يجره حرص حريص ، ولا يصرفه كراهية كاره ، وإن الله سبحانه وتعالى ، جعل الروح والفرج في اليقين والرضا بقسم الله ، وجعل الهم والحزن في السخط بقسم الله .

ياعلي ، لا فقر أشد من الجهل ، ولا مال أعوز من العقل ، ولا وحدة أوحش من العجب ، ولا مظاهرة أوثق من المشاورة ، ولا إيمان كاليقين ، ولا ورع كالكف ، ولا حسب كحسن الخلق ، ولا عبادة كالتفكر .

ياعلي ، إن لكل شيء آفة ، وآفة الحديث الكذب ، وآفة العلم النسيان ، وآفة العبادة الرياء ، وآفة الظرف الصلب ، وآفة الشجاعة البغي ، وآفة السماحة المن ، وآفة الجمال الخيلاء ، وآفة الحسب الفخر ، وآفة الحياء الضعف ، وآفة الكرم الفخر ، وآفة الفضل البخل ، وآفة الجود السرف ، وآفة العبادة الكبر ، وآفة الدين الهوى .

ياعلي ، إذا أثني عليك في وجهك فقل : اللهم اجعلنى خيراً مما يقولون واغفر لي ما لا يعلمون ، ولا تؤاخذني فيما يقولون ، تسلم مما يقولون .

ياعلي ، إذا أمسيت صائماً فقل عند إفطارك : اللهم لك صمت ، وعلي رزقك أفطرت ، يكتب لك أجر من صام ذلك اليوم من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، واعلم أن لكل صائم دعوة مستجابه ، فإن عند أول لقمة يقول : بسم الله الرحمن الرحيم ، ياواسع المغفرة اغفر لي ،فإنه من قالها عند فطره غفر له ، واعلم أن الصوم جنة من النار.

ياعلي ، لا تستقبل الشمس والقمر واستدبرهما، فإن استقبالهما داء ، واستدبارهما دواء .

ياعلي ، استكثر من قراءة يس ، فإن في قراءة يس عشر بركات ، ما قرأها قط جائع إلا شبع ، ولا قرأها ظمآن إلا روي ، ولا عار إلا اكتسي ، ولا مريض إلا برىء ، ولا خائف إلا أمن ، ولا مسجون إلا انفرج ، ولا أعزب إلا تزوج ، ولا مسافر إلا أعين على سفره ، ولا قرأها أحد ضلت له ضاله إلا وجدها ولا قرأها على رأس ميت حضر أجله إلا خفف عليه ، ومن قرأها صباحاً كان في أمان إلى أن يمسى ، ومن قرأها مساءً كان في أمان حتى يصبح .

ياعلي ، اقرأ ﴿ **حم الدخان** ﴾ في ليلة الجمعة تصبح مغفوراً لك .

ياعلي ، إقرأ آية الكرسي ، دبر كل صلاة تعط قلوب الشاكرين ، وثواب الأنبياء وأعمال الأبرار .

ياعلي ، اقرأ سورة الحشر ، تحشر يوم القيامة آمنا من كل شر .

ياعلي ، اقرأ ﴿ **تبارك والسجدة** ﴾ ينجيانك من أهوال يوم القيامة .

ياعلي ، اقرأ ﴿ **تبارك** ﴾ عند النوم تدفع عنك عذاب القبر ، ومسألة منكر ونكير .

ياعلي ، اقرأ ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ على وضوء تنادى يوم القيامة : يامادح الله قم فأدخل الجنة .

ياعلي ، اقرأ سورة ﴿ **البقرة** ﴾ فإن قراءتها بركة ، وتركها حسرة ، وهي لاتطيقها البطلة .

ياعلي ، لا تطل القعود في الشمس ، فإنها تثير الداء الدفين ، وتبلي الثياب ، وتغير اللون .

ياعلي ، أمان لك من الخوف أن تقول : ﴿ سبحانك ربي لا إله إلا أنت ، عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم ﴾ .

ياعلي ، أمان لك من الوسواس أن تقرأ : ﴿ وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً ﴾ إلى قوله : ﴿ **ولوا على أدبارهم نفوراً** ﴾ .

ياعلي ، أمان لك من شر كل عائن أن تقول : ﴿ ماشاء الله كان ، ومالم يشأ لم يكن ، أشهد أن الله على كل شيء قدير ، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً ، وأحصى كل شيء عدداً ولا حول ولا قوة إلا بالله ﴾

ياعلي ، كل الزيت وادهن بالزيت فإنه من أكل الزيت وادهن بالزيت لم يقربه الشيطان أربعين صباحاً .

ياعلي ، أبدأ بالملح وإختم بالملح فإن الملح شفاء من سبعين دأءً ، منها الجنون والجذام والبرص ووجع الحلق ووجع الأضراس ووجع البطن .

ياعلي ، إذا أكلت فقل بسم الله وإذا فرغت فقل : الحمد لله ، فإن حافظيك لا يستريحان يكتبان لك الحسنات حتى تنبذه عنك .

ياعلي ، إذا رأيت الهلال فى أول الشهر فقل : الله أكبر ثلاثًا والحمد لله الذى خلقنى وخلقك وقدرك منازل ، وجعلك آية للعالمين يباهى الله بك الملائكة ، يقول : ياملائكتي اشهدوا انى قد أعتقت هذا العبد من النار .

ياعلي ، إذا نظرت فى المرآة فقل اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى ، وارزقنى .

ياعلي ، وإذا رأيت أسداً وإشتد بك الأمر ، فكبر ثلاثاً وقل الله أكبر وأجل وأعز مما أخاف وأحذر ، اللهم إنى أدرأ بك فى نحرة ، وأعوذ بك من شره ، فإنك تكفى بإذن الله ، وإذا رأيت كلباً يهر فقل : ﴿ **يامعشر الجن والإنس إن إستطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان** ﴾ .

ياعلي ، إذا خرجت من منزلك تريد حاجة ، فاقرأ آية الكرسي ، فإن حاجتك تقضى إن شاء الله تعالي .

ياعلي ، إذا توضأت فقل : "بسم الله والصلاة على رسول الله "

ياعلي ، صل من الليل ولـــو قدر حلب شاة ، ادع الله سبحانه بالأسحار ، لا تـــرد دعـــوتك ، فـــإن اللـــه سبحانـــه يقـول : ﴿ **والمستغفرين بالأسحار** ﴾ .

ياعلي ، غسل الموتـى ، فـإن مـن غسـل ميتـا غفـر لـه سـبعون مغفرة ، لو قسمت مغفرة منها على جميع الخلق لوسعتهم .

ياعلي ، لا تخرج في سفر وحدك ، فـإن الشـيطان مـع الواحـد ، هو من الإثنين أبعد .

يـاعلي ، إن الرجل إذا سـافر وحـده غـاو ، والإثنـان غاويـان ، والثلاثة نفر .

ياعلي ، إذا سافـرت فـلا تنزل الأوديـــة ، فإنها مـأوى السـباع والحيات .

ياعلي ، لا تردفـن ثلاثـة علـى دابـة فـإن أحدهـم ملعـون ، وهـو المقدم .

ياعلي ، إذا ولد لـك مولـود ، غـلام أو جاريـة ، فـإذن فـي أذنـه اليمنى ، وأقم في أذنه اليسرى ، فإن لا يضره الشيطان أبداً .

يـاعلي ، لا تـأت أهلـك ليلـة الهـلال ، ولا ليلـة النصـــف ، فإنـــه يتخوف على ولدك الخبل .

ياعلي ، وإذا نزلت بك شدة فقل : " اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد عليك أن تنجيني " ، وإذا أردت الدخول إلى مدينة أو قرية فقل حين تعاينها " اللهم إني أسألك خير هذه المدينة وخير ماكتبت فيها ، وأعوذ بك من شرها ، ومن شر ما كتبت فيها ، اللهم أرزقني خيرها ، وأعذني من شرها ، وحببنا إلى أهلها ، وحبب صالحي أهلها إلينا "

ياعلي ، إذا نزلت منزلاً فقل : " اللهم أنزلنا منزلا مباركا وأنت خير المنزلين " ترزق خيره ، ويدفع عنك شره .

ياعلي ، وإياك والمراء فإنه لا تعقل حكمته ، ولا تؤمن فتنته .

ياعلي ، وإياك والدخول إلى الحمام بلا مئزر فإنه ملعون الناظر والمنظور إليه .

ياعلي ، لا تتختم بالسبابة والوسطى ، فإنه من فعل قوم لوط .

ياعلي ، لا تلبس المعصفر ، ولا تبت في ملحفة حمراء ، فإنها محتضرة الشيطان .

ياعلي ، لا تقرأ وأنت راكع ولا ساجد .

ياعلي ، إياك والمجادلة ، فإنها تحبط الأعمال .

ياعلي ، لا تنهر السائل ولو جاءك على فرس ، وأعطه فإن الصدقة تقع بيد الله قبل أن تقع بيد السائل .

يـاعلي ، بـاكر بالصدقـة فـإن البـلاء لا يتخطـى الصدقـة .

ياعلــي ، عليك بحسن الخلـق ، فـإنك تـدرك بذلـك درجـة الصائم القائم .

ياعلي ، إياك والغضب ، فإن الشيطان أقدر مـايكون علـى ابـن آدم إذا غضب .

ياعلي ، إياك والمـزاح ، فإنـه يذهـب بهـاء ابـن آدم ونشـاطه .

ياعلي ، عليك بقراءة : ﴿ **قـل هـو الله أحـد** ﴾ ، فإنهـا منهـاة للفقـر ، وإياك والربا ، فإن فيه ست خصال ، ثلاث منها في الدنيا ، وثلاث فـي الآخرة ، فأما التى في الدنيا ، فتعجل الفناء ، وتذهب الغنـى ، وتمحـق الرزق ، وأما التي في الآخرة ، فسوء الحساب ، وسخط رب الأربـاب عز وجل ، والخلود في النار .

ياعلي ، إذا دخلت منزلك ، فسلم على أهل بيتك يكثر خـير بيتـك

يـاعلي ، أحـب الفقـراء والمسـاكين يحبـك اللـه .

ياعلي ، لا تنهر المساكين والفقراء فتنهرك الملائكة يوم القيامة

يـاعلي ، عليـك بالصدقـة فإنهـا تدفـع عنـك السـوء .

ياعلي ،أنفق وأوسع على عيالك ، ولا تخش من ذي العرش إقلالاً.

ياعلي ، إذا ركبت دابـة فقل : الحمـد للـه الـذى كرمنـا وهدانـا للإسلام ، ومن علينا بمحمد عليه الصلاة والسلام ﴿ **الحمـد لله الـذى سـخر لنـا هـذا ومـا كنـا لـه مقرنيـن وإنـا إلـى ربنـا لمنقلبـون** ﴾ .

ياعلي ، لا تغضبن إذا قيل لك : اتق الله ،فيسوءك ذلك يوم القيامة.

ياعلي ، إن الله يعجب من عبده إذا قال : اللهم اغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت يقول : ياملائكتى عبدي هذا علم أنه لا يغفر الذنوب غيري اشهدوا أني قد غفرت له .

ياعلي ، إذا لبست ثوباً جديداً فقل : بسم الله والحمد لله الذى كساني ما أواري به عورتي ، وأستغني به عن الناس ، لم يبلغ الثوب ركبتيك حتى يغفر لك .

ياعلي ، من لبس ثوباً جديداً فكسا فقيراً أو يتيماً أو عرياناً أو مسكيناً ، كان في جوار الله وأمنه وحفظه ما دام عليه سلك .

ياعلي ، إذا دخلت السوق فقل حين تدخل : " بسم الله ، وبالله أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله " يقول الله تعالي : عبدي ذكرني والناس غافلون ، اشهدوا أني قد غفرت له

ياعلي ، إن الله يعجب ممن يذكره فى الأسواق .

ياعلي ، إذا دخلت المسجد فقل " بسم الله والسلام على رسول الله ، اللهم افتح لي أبواب رحمتك " وإذا خرجت فقل : " بسم الله والصلاة على رسول الله ، اللهم افتح لي أبواب فضلك " .

ياعلي ، إذا سمعت المؤذن قل مثل مقالته ، يكتب لك مثل أجره

ياعلي ، وإذا فرغت من وضوءك فقل : " أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، اللهم إجعلني من التوابين ،

وإجعلني من المتطهرين " ، تخرج من ذنوبك كيوم ولدتك أمك ، وفتح لك ثمانية أبواب في الجنة ، يقال : أدخل من أيها شئت .

ياعلي ، إذا فرغت من طعامك فقل : " الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين .

ياعلي ، إذا شربت ماء فقل : " الحمد لله الذى سقانا ماء جعله عذباً فراتاً برحمته ، ولم يجعله ملحاً أجاجاً بذنوبنا " تكتب شاكراً .

ياعلي ، إياك والكذب ، فإن الكذب يسود الوجه ، ولا يزال الرجل يكذب حتى يسمى عند الله كاذباً ، ويصدق حتى يسمى عند الله صادقاً ، إن الكذب يجانب الإيمان .

ياعلي ، لا تغتابن أحداً ، فإن الغيبة تفطر الصائم والذى يغتاب الناس يأكل لحمه يوم القيامة .

ياعلي ، إياك والنميمة ، فلا يدخل الجنة قتات.

ياعلي لا تحلف بالله كاذباً ولا صادقاً .

ياعلي لا تجعلوا لله عرضة لأيمانكم ، فإن الله لا يرحم ولا يزكي من يحلف بالله كاذباً .

ياعلي ، أملك عليك لسانك ، وعوده الخير ، فإن العبد يوم القيامة ليس عليه شيء ، أشد خيفة من لسانه .

ياعلي ، إياك واللجاجة ، فإنها ندامة .

ياعلي ، إياك والحرص ، فإن الحرص أخرج أباك من الجنة .

ياعلي ، إياك والحسد ، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب .

ياعلي ، ويل لمن يكذب ليضحك الناس،ويل له ويل له .

ياعلي ، عليك بالسواك فإنه مطهرة للفم ، ومرضاة للرب تعالي ، ومجلاة للأسنان .

ياعلي ، عليك بالتخلل ، فإنه شيء ليس أبغض إلى الملائكة أن ترى في أسنان العبد طعاماً .

ياعلي ، أنهاك من حيات البيوت إلا الأفطس والأبتر فإنهما شيطانان .

ياعلي ، إذا رأيت حية في رحلك فلا تقتلها حتى تخرج عليها ثلاثاً ، فإن عادت الرابعة فاقتلها .

ياعلي ، إذا رأيت حية فى الطريق فاقتلها فإني قد اشترطت على الجن أن لا يظهروا في صورة الحيات في الطريق ، فمن فعل خلى بنفسه للقتل .

ياعلي ، أربع خصال من الشقاء : جمود العين وقساوة القلب وبعد الأمل وحب الدنيا .

ياعلي ، أنهاك عن أربع خصال عظام : الحسد والحرص والغضب والكذب .

ياعلي ، إن العبد المؤمن إذا أتى عليه أربعون سنة أمنه الله من البلايا الثلاثة : الجنون والجذام والبرص ، وإذا أتت عليه ستون سنة ، فهو فى إقبال وبعد الستين فى إدبار ، ورزقه الله الإنابة فيما يحب ، وإذا أتت عليه سبعون سنة أحبه أهل السماوات وصالحوا أهل الأرض ، وإذا أتت عليه ثمانون سنة كتبت له حسناته ومحيت عنه سيئاته ، وإذا أتت عليه تسعون سنة ، غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وإذا أتت عليه مائة سنة ، كتب الله إسمه فى السماء اسير الله فى أرضه وكان جليس الله تعالى .

ياعلي ، إحفظ وصيتى أنك على الحق والحق معك .

***

ياعلي ، ألا أنبئك بشر الناس ؟ قال : قلت : بلى يارسول الله ، قال : من أكل وحده ومنع رفده وضرب عبده الا أنبئك بشر من هؤلاء جميعاً ؟ قال : قلت :بلى يارسول الله قال : من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره .

ياعلي ، إذا صليت على جنازة فقل : اللهم هذا عبدك وإبن عبدك وإبن أمتك ، ماض فيه حكمك ، خلقته ولم يكن شيء مذكوراً ، نزل بك وأنت خير منزول به ، اللهم لقنه حجته وإلحقه بنبيه ﷺ وثبته بالقول الثابت ، فإنه إفتقر إليك وإستغنيت عنه ، كان يشهد أن لا إله إلا أنت ، فأغفر له وأرحمه ولا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده ، اللهم إن كان زاكياً فزكه ، وإن كان خاطئاً فأغفر له .

ياعلي ، إذا صليت على جنازة إمرآة فقل : اللهم أنت خلقتها وأنت أحييتها وأنت أمتها تعلم سرها وعلانيتها جئناك شفعاء لها فأغفر لها وارحمها ولا تحرمنا أجرها ولا تفتنا بعدها .

ياعلي ، إذا صليت على طفل فقل : اللهم إجعله لوالديه سلفاً وإجعله لهما ذخراً ، وإجعله لهما رشداً ، وإجعله لهما نوراً ، وإجعله لهما فرطاً ، وأعقب والديه الجنة ولا تحرمهما أجره ولا تفتنهما بعده

ياعلي ، إذا توضأت فقل : اللهم إني أسألك تمام الوضوء وتمام مغفرتك ورضوانك .

الفصل الثاني :

وصيتة ﷺ لأبي هريرة [1]

قال الرسول ﷺ لأبي هريرة : -

يا أبا هريرة ، إذا توضأت فقل : بسم الله والحمد لله ، فإن حفظتك لا تزال تكتب حتى تفرغ من ذلك الوضوء .

يا أبا هريرة ، إذا أكلت طعاماً دسماً فقل : بسم الله والحمد لله ، فإن حفظتك لا تستريح تكتب لك حسنات حتى تنبذه عنك .

يا أبا هريرة ، إذا غشيت أهلك أو ما ملكت يمينك ، فقل : بسم الله والحمد لله ، فإن حفظتك تكتب لك حسنات حتى تغتسل من الجنابة ، فإذا اغتسلت من الجنابة غفرت لك ذنوبك .

يا أبا هريرة ، فإن كان لك ولد من تلك الواقعة ، كتب لك حسنات بعدد نسل ذلك الولد وعقبه حتى لا يبقى منه شيء .

يا أبا هريرة ، إذا ركبت دابه ، فقل : بسم الله والحمد لله ، تكتب من العابدين حتى تنزل عن ظهرها .

---

١) هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي الملقب بأبى هريرة . صحابي جليل ومن أكثر الصحابة حفظاً للحديث ورواية له

يا أبا هريرة ، إذا ركبت السفينة ، فقل : بسم الله والحمد لله ، تكتب من العابدين حتى تخرج منها .

يا أبا هريرة إذا لبست ثوباً جديداً ، فقل : بسم الله والحمد لله ، يكتب لك عشر حسنات بعدد كل سلك فيه .

يا أبا هريرة ، لا يهابنك ماملكت يمينك ، فإنك إن مت وأنت كذلك كنت عند الله وجيهاً .

يا أبا هريرة ، لا تهجر امرأتك إلا في بيتها ، ولا تضربها ، ولا تشتمها إلا في أمر دينها ، فإنك إن كنت كذلك مشيت في طرقات الدنيا وأنت عتيق الله من النار .

يا أبا هريرة ، احمل الأذى عمن هو أكبر منك ، وأصغر منك ، وخير منك ، وشر منك ، فإنك إن كنت كذلك ، باهى الله بك الملائكة ، ومن باهى الله به الملائكة جاء يوم القيامة آمناً من كل سوء .

يا أبا هريرة ، إن كنت أميراً ، أو وزير أمير ، أو داخلاً على أمير أو مشاور أمير ، فلا تجاوزن سيرتي وسنتي ، فإن أيما أمير أو وزير أمير أو داخل على أمير ، أو مشاور أمير خالف سيرتي وسنتي ، جاء يوم القيامة تأخذه النار من كل مكان .

يا أبا هريرة ، عدل ساعة خير من عبادة ستين سنة ، قيام ليلها وصيام نهارها .

يا أبا هريرة ، قل للمؤمنين الذين أصابوا الصغائر والكبائر لا يمت أحد منهم وهو مصر عليها ، فإنه من لقي ربه عز وجل على ذلك وهو مصر عليها ، فإن عقوبتها كعقوبة من لقي الله على كبيرة وهو مصر عليها .

يا أبا هريرة ، لأن تلقى الله عز وجل على كبائر قد تبت منها ، خير لك من أن تلقاه وقد تعلمت آية من كتاب الله عز وجل ، ثم تنساها .

يا أبا هريرة، لا تلعن الولاة ، فإن الله أدخل أمة جهنم بلعنهم ولاتهم .

يا أبا هريرة ، لا تسبن شيئاً إلا الشيطان ، فإنك إن مت وأنت كذلك صافحتك جميع رسل الله وأنبياء الله تعالى والمؤمنين حتى تعبر إلى الجنة .

يا أبا هريرة ، لاتسب من ظلمك تعط من الأجر أضعافاً .

يا أبا هريرة ، أشبع اليتيم والأرملة ، وكن لليتيم كالأب الرحيم وللأرملة كالزوج العطوف ، تعط بكل نفس تنفست في دار الدنيا قصراً في الجنة ، كل قصر خير من الدنيا وما فيها .

يا أبا هريرة ، امش في ظلم الليل إلى مساجد الله عز وجل ، تعط حسنات بوزن كل شيء وضعت عليه قدمك مما تحب وتكره إلى الأرض السابعة السفلى .

يا أبا هريرة ، ليكن مأواك مما تحب وتكره إلى الأرض السابعة السفلى .

يا أبا هريرة ، ليكن مأواك المساجد والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله ، فإنك إن مت وأنت كذلك كان الله مؤنسك في القبر ، ويوم القيامة . وعلى الصراط ، ويكلمك في الجنة .

يا أبا هريرة ، لا تنهر الفقير فتنهرك الملائكة يوم القيامة .

يا أبا هريرة ، لا تغضب إذ قيل لك اتق الله ، وإن قد هممت بسيئة أن تعملها . تكن خطيتك عقوبتها النار .

يا أبا هريرة ، من قيل له : اتق الله فغضب ، جيء به يوم القيامة ، فيقف موقفاً لا يبقى ملك إلا مر به فقال : أنت الذى قيل له : اتق الله فغضبت ؟ فيسوؤه ذلك ، فاتق مساوىء يوم القيامة .

يا أبا هريرة ، أحسن إلى ما خولك الله ، فإنه من أساء إلى ما خوله الله ، فإنه يرصده على الصراط فيتعلق به ، فكم من مؤمن يرد من الصراط للقصاص .

يا أبا هريرة ، على كل مسلم صلاة فى جوف الليل ، ولو قدر حلب شاة ، ومن صلى في جوف الليل ، يريد أن يرضي ربه عز وجل ، رضي الله عنه وقضى له حاجته في الدنيا والآخرة .

يا أبا هريرة ، إن استطعت أن تلقى الله خفيف الظهر من دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم فأفعل ، تكن من المقربين ، ولا تتخذن أحداً من خلق الله غرضاً، فيجعلك الله غرضاً لشرر جهنم يوم القيامة.

يا أبا هريـرة ، إذا ذكـرت جهنـم ، فاسـتجر باللـه منهـا ، وليبـك قلبك منها ، ونفسك ، ويقشعر جلدك منها ، يجرك الله منها .

يا أبا هريرة ، إذا اشتقت إلى الجنة ، فاسـأل اللـه أن يجعل لـك فيها نصيباً ومقيلاً ، وليجـن قلبك شوقاً إليهـا ، وتدمـع عينـاك وأنـت مؤمن بها ، إذاً يعطيكها الله تعالى ولا يردك .

يا أبا هريرة ، إن شئت أن تفارقني يوم القيامة حتى تدخل معـي الجنة ، أحببني حباً لا تنســـاني ، وأعلـم أنـك إن أحببتنـي لـم تـترك ثلاثة : الاقتداء بهديي ، والشوق إلي ، وكـثرة الصـلاة علـي ، وارض بقسم الله ، فإنه مـن خـرج مـن الدنيـا وهـو راض بقسـم اللـه ، خـرج والله عنه راض ، ومن رضي الله عنه فمصيره الجنة .

يا أبا هريرة ، مر بـالمعروف وأنـه عـن المنكـر . وقـال : كيـف آمر بالمعروف وانهى عـن المنكـر ؟ قـال : علـم النـاس الخـير ولقنـهم إياه ، وإذا رأيت من يعمل بمعاصي الله تعالى لا تخف سوطه وسيفه ، فلا يحل لك أن تجاوزه حتى نقول له : اتق الله .

يا أبا هريرة ، تعلم القـرآن وعلمـه للنـاس حتـى يجيئـك المـوت وأنت كذلك . وإن كنت كذلك ، جاءت الملائكة إلى قبرك ، وصلوا عليك واستغفروا لك إلى يوم القيامة ، كما يحج المؤمنون إلى بيت اللـه عز وجل .

يا أبا هريرة ، الق المسلمين بطلاقة وجهك ، ومصافحة أيديهم بالسلام إن استطعت أن تكون كذلك حيث كنت ، فإن الملائكة معك سوى حفظتك يستغفرون لك ، ويصلون عليك ، واعلم أنه من خرج من الدنيا والملائكة يستغفرون له غفر الله له .

يا أبا هريرة ، إن أحببت أن يفشى لك الثناء الحسن في الدنيا والآخرة ، كف لسانك عن غيبة الناس ، فإنه من لم يغتب الناس ، نصره الله في الدنيا والآخرة ، أما نصرته في الدنيا ، فإنه ليس أحد يتناوله إلا كانت الملائكة تكذبهم عنه ، وأما نصرته في الآخرة ، فعفو الله عن قبيح ما صنع ويتقبل منه أحسن ما عمل .

يا أبا هريرة ، أغد في سبيل الله ، يبسط الله لك الرزق .

يا أبا هريرة ، صل رحمك ، يأتك الرزق من حيث لا تحتسب ، واحجج البيت ، يغفر الله لك ذنوبك التي وافيت بها البلد الحرام .

يا أبا هريرة ، اعتق الرقاب يعتق الله بكل عضو منه عضواً منك ، وفيه أضعاف ذلك من الدرجات .

يا أبا هريرة ، أشبع الجائع ، يكن لك مثل أجر حسناته وحسنات عقبه ، وليس عليك من سيئاتهم شيء .

يا أبا هريرة ، لا تحقرن من المعروف شيئاً ، تعمله ، ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستقي ، فإنه من خصال البر ، والبر كله عظيم ، وصغيره ثوابه الجنة .

يا أبا هريرة ، اؤمر أهلك بالصلاة ، فإن الله يأتيك بالرزق من حيث لا تحتسب ، ولا يكن للشيطان في بيتك مدخل ولا مسلك .

يا أبا هريرة ، إذا عطس أخوك المسلم فشمته ، فإنه يكتب لك به عشرون حسنة .

يا أبا هريرة ، كن مستغفراً للمسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، يكونوا كلهم شفعاء لك ، ويكن لك مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيء .

يا أبا هريرة ، إن كنت تريد أن تكون عند الله صديقاً ، فآمن بجميع رسل الله ، وأنبياء الله وكتبه .

يا أبا هريرة ، إن كنت تريد أن تحرم على النار جسدك ، فقل إذا أصبحت وإذا أمسيت : لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا إله إلا الله له الملك وله الحمد ، لا إله إلا الله والله أكبر لا إله الله ولا حول ولا قوة إلا بالله .

يا أبا هريرة ، لا يحل لك أن تدخل على من هو في سكرات الموت ولوكان نبياً حتى تلقنه شهادة أن لا إله إلا الله .

يا أبا هريرة ، من لقن مريضاً في سكرات الموت شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فقالها ، كان له مثل جميع حسناته ، فإن لم يقلها ، فله عتق رقبة بقوله لا إله إلا الله .

يا أبا هريرة ، لقن الموتى شهادة ، أن لا إله إلا الله ، رب اغفر لي ، فإنها تهدم الذنوب هدماً .

يا أبا هريرة ، إن استطعت أن لا تمطر السماء مطراً إلا صليت عنده ركعتين ، فإنك تعطى حسنات بعدد كل قطرة نزلت من تلك الساعة ، وعدد كل ورقة أنبتت من ذلك المطر .

يا أبا هريرة ، تصدق بالماء ، فإنه لا يتوضأ أحد إلا كان لك مثل حسناته من غير أن ينقص من حسناته شيء .

يا أبا هريرة ، أما علمت أن رجلاً غفر له ، احتش حشيشاً ، فجاءت بهيمة فأكلته .

يا أبا هريرة ، قل للناس حسناً تفلح يوم القيامة .

يا أبا هريرة ، عد على المسكين كافراً كان أو مسلماً ، فإنك إن عدت على المسكين الكافر رحمك الله ، وأما ثوابك إن عدت على المسكين المسلم ، فلا أحسن صفته .

يا أبا هريرة ، إن كنت في مال أبيك أو أمك أو ولدك ، فلا يحل لك أن تتصدق منه إلا بإذنه .

يا أبا هريرة ، لا يحل لك من مال امرأتك شيء إلا شيء تعطيك من غير أن تسألها ، وذلك هو قول الله تعالى :

﴿ فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً[1] ﴾

يا أبا هريرة ، قل للنساء لا يحل لهن أن يتصدقن من بيوت أزواجهن شيئاً إلا بكل رطب يخفن فساده إذا كان غائباً .

---

١) : سورة النساء الآية ٤

يا أبا هريرة ، علم الناس سنتى يكن لك النور الساطع يوم القيامة يغبطك به الأولون والآخرون .

يا أبا هريرة ، كن مؤذناً وإماماً ، فإنك إذا رفعت صوتك بالأذان ، يرفع الله صوتك حتى يبلغ العرش فلا يمر صوتك على شيء إلا كان لك بعدده عشر حسنات ، ولك إذا كنت إماماً بعدد من صلى خلفك ، ولك مثل صلاتهم لا ينقص من صلاتهم شيء إلا أن تكون إماماً خائناً .

يا أبا هريرة ، لا تضربن فى أدب فوق ثلاث ، فإنك إن زدت فهى قصاص يوم القيامة .

يا أبا هريرة ، أدب صغار أهل بيتك بلسانك على الصلاة والطهور ، إذا بلغوا عشر سنين فأضرب ولا تجاوز ثلاثاً .

يا أبا هريرة ، عليك بابن السبيل فقدمه إلى أهلك أو إلى أهله تشيعك الملائكة إلى الصراط .

يا أبا هريرة ، جالس الفقراء فإن رحمة الله لا تبعد عنهم طرفة عين .

يا أبا هريرة ، لا تؤذ المسلمين فى طريقهم ، فإنه من أذى المسلمين فى طريقهم ، ذمه المسلمون والملائكة جميعاً .

يا أبا هريرة ، إذا مررت على أذىً فى الطريق فغطه بالتراب يستر الله عليك يوم القيامة .

يا أبا هريرة ، إذا أرشدت أعمى ، فخذ يده اليسرى بيدك اليمنى فإنها صدقة .

يا أبا هريرة ، من مش مع أعمى ميلاً يسدده ، كان له بكل ذراع من الميل عشر حسنات .

يا أبا هريرة ، إسمع الأصم الذى يسألك عن خير ، يسمعك الله ما يسرك يوم القيامة .

يا أبا هريرة ، أرشد الضال ، ترشدك الملائكة إلى أحسن المواقف يوم القيامة ، لا ترشد اليهودي إلى بيعته ولا النصراني إلى كنيسته ولا الصابىء إلى صومعته ولا المجوسى إلى بيت ناره ولا المشرك إلى بيت وثنه إذاً تكتب عليك مثل خطاياه .

يا أبا هريرة ، لا ترشد أحداً إلى غير حدود الله ، فيعمل به إذا يكون عليك مثل ذنبه .

يا أبا هريرة ، أرشد عباد الله إلى مساجد الله وإلى البلد الحرام وإلى قبري ، يكن لك مثل أجورهم ولا تنقص من أجورهم شيئاً .

يا أبا هريرة ، أبلغ النساء أنه ليس عليهن زيارة قبري ولكن عليهن حج بيت الله الحرام إذا كان معهن محرم وإلا فلا .

يا أبا هريرة ، إن استطعت أن لا يكون لأحد من الظالمين عليك يد أو لسان ، فإنى أحب لك ذلك .

يا أبا هريرة ، لا يكن أمير من أمرائك إلا أمير يعدل مثل ما تعدل أنت ، فإن عدلت أنت ، وجار هو كنت أنت شريكه ، في الإثم ، ولم تكن شريكه في الأجر .

يا أبا هريرة ، إن كان لك مال وجبت عليه زكاة فزكه ، فإن أصابته آفة وقد زكيته مرة واحدة ، فهي مجزئة إلى يوم القيامة .

يا أبا هريرة ، إذا لقيت اليهودي والنصراني ، فلا تصافحه وأنت على وضوء ، فإن فعلت فأعد الوضوء .

يا أبا هريرة ، لا تكني اليهودي ، ولا النصراني ، ولا المجوسي ، ولكن سمه بإسمه ، فإنك والله تذله بذلك ، ولا يحل لك أن تكره إنما لهم من العهد والذمة أن لا يؤخذ أموالهم إلا بطيب أنفسهم ، ولا تدخل بيوتهم إلا بإذنهم ، ولا تحل بينهم وبين أطفالهم ، ولا يخانون في نسائهم ، فبذلك آمرك ، ولتعرف الملة .

يا أبا هريرة ، إذا خلوت بيهودي أو نصراني ، أو مجوسي ، فلا يحل لك أن تفارقه حتى تدعوه إلى الإسلام .

يا أبا هريرة ، لا تجادلن أحداً منهم ، فعسى أن يأتيك بشيء من التنزيل فتكذبه ، أو تجيء بشيء فيكذبك ، بل لا يكون من حديثك إلا أن تدعوه إلى الإسلام ، وهو قول الله تعالى: ﴿ **وجادلهم بالتي هي أحسن** (١) ﴾ .

---

١) : سورة النحل الآية ١٢٥ .

يا أبا هريرة ، صل إماماً كنت أو غير إمام في ثوب واحد إن كان صفيقاً .

يا أبا هريرة ، أتريد أن يكون أجرك كأجر شهداء أهل بدر ؟ فانظر رجلاً مسلماً ليس له ثوب يجمع فيه يوم الجمعة ، فأعره ثوبك أو هبه له

يا أبا هريرة ، أتريد أن تسمع حسيس النار ، ولا يقع بك شررها ، فأغث من استغاث بك ، حريق كان ، لص كان ، سيل كان ، غريق كان ، هدم كان .

يا أبا هريرة ، نفس عن المكروبين والمغمورين تخرج من غم يوم القيامة .

يا أبا هريرة ، امش إلى غريمك بحقه ، تشيعك الملائكة بالصلاة عليك .

يا أبا هريرة ، من علم الله منه أنه يريد قضاء دينه رزقه الله من حيث لا يحتسب ، وهيأ له قضاء دينه في حياته أو بعد موته .

يا أبا هريرة ، من أصاب مالاً حلالاً ، وأدى زكاته ثم ورثه عقبه فكل مايصنع فيه ورثته من الحسنات ، فله مثل ذلك من غير أن ينقص من أجورهم .

يا أبا هريرة ، من قذف محصناً أو محصنة ، حبس يوم القيامة في وادي خبال هناك حتى يخرج أو يجيء ببيان ما قاله .

يا أبا هريرة ، من مات وعليه دين ، وترك وفاء ذلك فجحده ورثته ، وليس لهم عليه بينه ، ولم يعلم الله منه أنه يريد قضاءه ، فهو قصاص من حسناته يوم القيامة .

يا أبا هريرة ، المقتول في سبيل الله ، يغفر له جميع ذنوبه إلا ديناً أو قذف محصنة أو محصن .

يا أبا هريرة ، كل ذنب غم يوم القيامة ، فرب ذنب له ثارات ، ولا ذنب على المسلم أطول ثارات من مظلمة الدم ، أو مال أو عرض.

يا أبا هريرة ، من أصاب شيئاً من ذلك فتاب إلى الله عز وجل قبل موته ، واستكان وتضرع ، وليس عنده أداء تلك المظلمة ، فإن على الله أن يرضي خصماءة يوم القيامة من عنده بما شاء .

يا أبا هريرة ، إن ظلمك إنسان فلا تشكه ، ولا تسمع به الناس وتعرفهم حالته ، تكن أنت وهو سواء .

يا أبا هريرة ، من عف عن مظلمة صغيرة أو كبيرة ، فأجره على الله ، ومن كان أجره على الله ، فهو من المقربين الذين يدخلون الجنة مدخلاً .

يا أبا هريرة ، لا تروع أحداً من خلق الله عز وجل ، فتروعك ملائكة الله في الآخرة يوم القيامة .

يا أبا هريرة ، أتريد أن تكون عليك رحمة الله حياً وميتاً ومقبوراً ومبعوثاً ؟ فقم بالليل ، وصل وأنت تريد به رضا ربك ثم مر أهلك يصلون ، إذا فرغوا يوقظونك ، فإنه إذا مر عليك من الليل ثلاث

ساعات ، ومن النهار ثلاث ساعات ، وفي بيتك من يعبد الله أعطاك الله مثل ذلك .

يا أبا هريرة ، صل في زوايا بيتك جميعاً ، يكن نور بيتك جميعاً في السماء كنور الكواكب في السماء عند أهل الدنيا .

يا أبا هريرة ، احمل غذاءك وعشاءك إلى أقاربك المحتاجين ، يكن لك في كل خير يقسمه الله بين أوليائه ، وأحبائه في الدنيا والآخرة سهم وافر .

يا أبا هريرة ، ارحم جميع خلق الله ، يرحمك الله من النار يوم القيامة .

يا أبا هريرة ، إذا نزلت بك مصيبه ، فارض بما أعطاك الله ، وليعلم الله منك أن ثواب المصيبة أحب إليك من عدم المصيبة ، يعطيك الله الصلاة والرحمة والهدى .

يا أبا هريرة ، عز الحزين كما تحب أن تعزى ، واذكر ثواب ما أعد الله على المصيبة ، تعط بكل خطوة عتق رقبة .

يا أبا هريرة ، إذا مررت بجمع نساء فلا تسلم عليهن ، فإن بدأنك بالسلام فاردد عليهن .

يا أبا هريرة ، إذا سلم المسلم على المسلم فرد عليه ، صلت عليه الملائكة سبعين مرة .

يا أبا هريرة ، الملائكة تتعجب من المسلم يلقى المسلم فلا يسلم عليه .

يا أبا هريرة ، تعود التسليم ، فإنه خصلة من خصال الجنة .

يا أبا هريرة ، أصبح وأمس ولسانك رطب من ذكر الله ، تصبح وتمس وليس عليك خطيئة .

يا أبا هريرة ، أن الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب الماء الوسخ .

يا أبا هريرة ، استر عورة أخيك ، يكن الله لك ناصراً .

يا أبا هريرة ، أنصر أخاك ، واستر عليه قبل أن يرفع إلى السلطان في حد من حدود الله ، فإن رفع إلى السلطان ، فإياك أن تباشر له نفسك ومالك ، فإنه من مالت شفاعته دون حد من حدود الله فهو كذا وكذا .

يا أبا هريرة ، اتق المحارم تكن أعبد الناس ، وأرض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ، وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً ، وحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً ، وإياك وكثرة الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب .

* * *

الفصل الثالث :

وصيتة (ﷺ) لعقبة بن عامر[1]

قال الرسول (ﷺ) لعقبة بن عامر يوصيه وقد سأله ذلك :

﴿ أوصيك بتقوى الله ، وليسعك بيتك ، وأملك عليك لسانك ، وابك على خطيئتك . ﴾

* * *

١) هو عقبة بن عامر بن مالك الجهني ، صاحب رسول الله (ﷺ) شهد فتح مصر مع عمرو بن العاص ، وشهد صفين مع معاوية ولي مصر ثم عزل عنها ، كان عالماً فصيحاً فقيهاً وشاعراً وكان البريد إلى عمر بن الخطاب بفتح دمشق ، وشارك فى جمع القرآن ، توفى فى مصر ودفن بالمقطم .

الفصل الرابع : -

وصيتة (ﷺ) لأبي ذر الغفاري [1]

قال الرسول (ﷺ) لأبي ذر الغفاري، يوصيه :

﴿ أوصيتك بتقوى الله في سر أمرك وعلانيته ، وإذا أسأت فأحسن ، ولا تسأل أحداً شيئاً وإن سقط سوطك ، ولا تؤمن أمانة ، ولا تولين يتامى ، ولا تقضين بين اثنين .﴾

* * *

١) هو جندب بن جناده بن سفيان بن عبيد ، من كبار الصحابة يضرب به المثل فى الصدق ، هاجر إلى الشام بعد وفاة النبى (ﷺ) ، وسكن فى دمشق ، وحرض الفقراء على مشاركة الأغنياء فى أموالهم ، فشكاه معاوية إلى عثمان بن عفان فنفاه عثمان إلى قرية الربذه بالمدينة ، حتى مات هناك كان كريماً حتى أنه لما مات لم يكن فى داره ما يكفن به .

الفصل الخامس : -

وصية ﴿ﷺ﴾ لأنس بن مالك (١)

قال الرسول ﴿ﷺ﴾ لأنس بن مالك يوصيه :

﴿ يابني ، عليك بإسباغ الوضوء ، يزد في عمرك ، ويحبك حافظاك .

يابني ، بالغ في غسلك من الجنابة ، فإنك تخرج من مغتسلك وليس عليك ذنب ولا خطيئة .

يابني ، إن استطعت أن تكون على وضوء فافعل ، فإنه من أتاه ملك الموت وهو على وضوء أعطى الشهادة .

يابني ، إن استطعت أن لا تزال تصلي ، فإن الملائكة تصلي عليك ما دمت تصلي .

يابني ، إياك والالتفات في الصلاة ، فإنه هلكة .

يابني ، إذا ركعت فارفع يديك عن جنبيك ، وضع كفيك على ركبتيك .

---

١) هو أنس بن مالك بن النضر الأنصارى ، صاحب رسول الله ﴿ﷺ﴾ وخادمه ، وهو من رواة الحديث .

يابني ، إذا رفعت رأسك من السجود ، فأسكن كل عضو موضعه ، فـإن الله ، عز وجل لا ينظر يوم القيامة إلـى مـن لا يقيم صلبـه فـي ركوعه .

يابني ، إذا قعدت بين السجدتين ؛ فابسط ظهري قدميك علـى الأرض ، وضع أليتيك على عقبيك ، فإن ذلك من سنتى ، ومن أحيا سنتي فقد أحبني ، ومن أحبني كان معي في الجنـة ، لا تقـع كمـا يقـع الكلب ، ولا تنقر كما ينقر الديك .

يابني ، إذا خرجت من منزلك ، فـلا يقعن بصرك علـى أحـد مـن أهـل القبلـة إلا سلمت عليـه ، فـإنك ترجـع وقـد زيـد فـي حسـناتك .

يابني ، إن استطعت أن تمسـي وتصبـح وليس فـي قلبـك غش لأحـد فـافعل ، فإنـه أهـون عليـك فـي الحسـاب .

يـابني ، إن ، حفظت وصيتى ، فـلا يكونـن شـيء أحب إليـك مـن المـوت .﴾

* * *

الفصل السادس : -

وصيته ﴿ﷺ﴾ لمعاذ بن جبل [١]

قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ يوصي معاذ بن جبل لما بعثه إلى اليمن :

﴿ يامعاذ ، أوصيك بتقوى الله العظيم ، وصدق الحديث ، وأداء الأمانة وترك الخيانة ، وحفظ الجار ، وخفض الجناح ، ولين الكلام ، ورحمة اليتيم ، والتفقه في القرآن ، وحب الآخرة .

يامعاذ ، لا تفسد أرضاً ، ولا تشتم مسلماً ، ولا تصدق كاذباً ، ولا تعص إماماً عادلاً .

يامعاذ ، أوصيك بذكر الله عند كل شجر وحجر ، وأن تحدث لكل ذنب توبة ، السر بالسر ، والعلانية بالعلانية .

يامعاذ ، إني أحب لك ما أحب لنفسي ، واكره لك ما أكره لنفسي.

يامعاذ ، إني لو أعلم أنا نلتقي لقصرت لك من الوصية ولكني لا أرانا نلتقي إلى يوم القيامة .

---

١) هو أبو عبد الرحمن بن معاذ بن جبل الأنصارى الخزرجي ، صحابي جليل ، وهو أحد الستة الذين جمعوا القرآن على عهد النبي ﴿ﷺ﴾ وشهد العقبة وبدر وأحد والخندق ، أرسله الرسول ﴿ﷺ﴾ قاضياً ومرشداً لأهل اليمن .

يامعاذ ، إن أحبكم إلي مـن لقينـي يـوم القيامـة علـى مثـل الحالـة التـي فارقني عليها .

وقال معاذ ، أوصـاني الرسـول أن أنظـر إلـى مـن هـو دونـي ، ولا أنظر إلى من هو فوقـي ، وأوصـاني بحـب المسـاكين ، والدنـو منهم ، واوصاني أن لا أسـأل أحـداً شـيئاً ، وأوصـاني أن أصـل رحمي ، وإن أدبرت ، وأوصاني أن أقول الحق وإن كان مـراً ، وأوصاني أن أقـول : لا حول ولا قـوة إلا باللـه ، وأوصـاني أن لا أخاف في الله لومة لائم .

وقال معاذ أيضاً أوصانى الرسول بعشر كلمات قال :

لا تشرك بالله شيئاً ، وإن قتلت وحرقت ولا تعقـن والديـك وإن أمـراك أن تخـرج مـن أهلـك ومـالك ولا تـتركن صـلاة مكتوبـة متعمداً ، فإن من ترك صلاة مكتوبة متعمداً فقد برئت منـه ذمـة اللـه ، ولا تشـربن خمـراً فإنـه رأس كـل فاحشـة ، وإيـاك والمعصية ، فإن بالمعصية حل سخط الله ، وإياك والفـرار من الزحف ، وإن هلك الناس وإذا أصاب الناس مـوت وأنـت فيهـن فـاثبت ، وأنفـق علـى عيـالك مـن طولـك ولا ترفـع عصـاك أدبـاً وأخفهم فى الله. ﴾

* * *

الفصل السابع : -

وصيتة ﷺ لحرملة بن عبد الله العنبري (1)

قال الرسول ﷺ لحرملة بن عبد الله العنبرى وقد طلب منه ذلك :

﴿ يا حرملة ، أت المعروف ، واجتنب المنكر ، وانظر إلى الذى تحب أن يقوله القوم من الخير إذا قمت من عندهم ، فإته ، وانظر إلى الذى تكره أن يقوله القوم من الشر إذا قمت من عندهم ، فاجتنبه . ﴾

* * *

1) هو من أصحاب الرسول (ﷺ) .

الفصل الثامن : –

ومن وصاياه صلى الله عليه وسلم

١) قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ :

﴿ أوصيكم بثلاث ، وأنهاكم عن ثلاث . أوصيكم بالذكر ، فإن الله تعالى يقول ﴿ **فاذكروني أذكركم** (١) ﴾، وأوصيكم بالشكر فإن الله تعالى يقول : ﴿ **لئن شكرتم لأزيدنكم** (٢) ﴾ ، وأوصيكم بالدعاء ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ **أدعوني أستجب لكم** (٣) ﴾. وأنهاكم عن البغي ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ **إنما بغيكم على أنفسكم** (٤) ﴾، وأنهاكم عن المكر ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ **ولا يحيق المكر السيىء إلا بأهله** (٥) ﴾، وأنهاكم عن النكث ، فإن الله جل جلاله يقول : ﴿ **فمن نكث فإنما ينكث على نفسه** (٦) ﴾

١) سورة البقرة ، الآية ١٥٢ .

٢) سورة إبراهيم ، الآية ٧ .

٣) سورة غافر ، الآية ٦٠ .

٤) سورة يونس ، الآية ٢٣ .

٥) سورة فاطر ، الآية ٤٣ .

٦) سورة الفتح ، الآية ١٠ .

٢) وقال الرسول ﴿ﷺ﴾:

﴿ قال رجل : يارسول الله أوصيني بشيء ينفعني الله به . قال أكثر ذكر الموت يسلك عن الدنيا ، وعليك بالشكر ، فإنه يزيد في النعمة وأكثر الدعاء فإنك لا تدري متى يستجاب لك ، وإياك والبغي فإن الله قد قضى أنه من بغي عليه لينصرنه الله ، وقال ﴿ **يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم** (١) ﴾، وإياك والمكر فإن الله قد قضى ألا يحيق المكر السيىء إلا بأهله . ﴾

* * *

٣) وقال ﴿ﷺ﴾ :

﴿ ائتمروا بالمعروف ، وتناهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيتم شحا مطاعاً وهوى متبعاً ، وإعجاب كل ذى رأي برأية ، ورأيت أمراً لا يدان لك به فعليك بنفسك ، ودع أمر العوام ، فإن من ورائكم أياماً ، الصابر فيهن مثل القابض على الجمر للعامل فيهن كأجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله .﴾

---

١) سورة يونس الآية ٢٣ .

٤) وقـــال ﴿ﷺ﴾ :

﴿ أقلل من الديـــن تعش حراً وأقلل من الذنوب يهن عليك الموت ، وانظر في أي نصاب تضم ولدك فإن العرق دساس .﴾

***

٥) وقـــال ﴿ﷺ﴾ :

﴿ عليك باليـأس ممـا في أيـدي النـاس ، إنـه الغنـــى ، وإيـاك والطمع ، فإنه الفقر الحاضر ،وصل صلاتك وأنت مـودع ، وإيـاك ومـا يعتذر منه .﴾

***

٦) وقـــال ﴿ﷺ﴾:

﴿ يأيها الناس ليس من شيء يقربكم إلى الجنة ويبـاعدكم مـن النار إلا قد أمرتكم به ، وليس من شيء يقربكم من النار ويباعدكم عن الجنة إلا نهيتكم عنه ، وإن الروح الأمين القى فى روعى أن نفسـاً لـن تمـوت حتـى تستكمل رزقهـا ، ألا فـاتقوا اللـه وأجملـوا فـى الطلـب ولا يحملنكم إستبطاء الرزق أن تطلبوه بمعاصى الله فإنه لا يدرك مـا عنـد الله إلا بطاعته .﴾

٧) وقـــال ﴿ﷺ﴾ :

﴿ بعث رسول الله ﴿ﷺ﴾ إلى بني الحـارث بن كعب عمـرو بن حزم الأنصارى ليفقههم فى الدين ويعلمهـم السنة وكتب لـه كتاباً عهد إليه فيه وأمره بالأتى :

" بسم الله الرحمن الرحيم " . هذا بيان مـــن الله ورسولـــه ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أوفوا بـالعقود** ﴾ عقد من محمد النبي رسول الله لعمرو بن حزم ، حين بعثه إلـى اليمـن ، أمـره بتقـوى اللـه في أمره كله ﴿ **إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** ﴾ وأمـره أن يـأخذ الحق كمـا أمـر بـه اللـه ، وأن ييسـر النـــاس بــالخير ويأمرهم به ، ويعلم الناس القرآن ، ويفقههم في الدين ، وينهى الناس فلا يمس أحد القرآن إلا وهو طاهر ، ويخبر الناس بالذى لهـم وبـالذى عليهم ، ويلين للناس في الحق ، ويشتد عليهـم فـي الظلـم ، فـإن اللـه عز وجل كـره الظلـم ونـهى عنـه وقـــال : ﴿ **ألا لعنـة الله علـى الظالمين** ﴾ ويبشر الناس بالجنة وبعملها ، وينـذر بالنـار وبعملهـا ، ويستألف الناس حتـى يتفقهوا فـي الديـن ، ويعلـم النـاس معـالم الحـج وسننته وفريضته ، وما أمر الله به في الحـج الأكبر ، والحـج الأصغر وهو العمرة ، وينهى الناس أن يصلي أحد في ثـوب واحـد صغير ، إلا أن يكون ثوباً واحداً يثنى طرفيه على عاتقيه ، وينهى الناس أن يحتبي أحد قي ثوب واحد يفضـي بفرجـه إلـى السـماء ، وينهـى أن لا يعقـص

أحد شعر رأسه إذا عفا في قفاه ، وينهى إذا كان بين الناس هيج عن الدعاء إلى القبائل والعشائر ، وليكن دعاؤهم إلى الله وحده لا شريك له ، فمن لم يدع إلى الله ودعا إلى القبائل والعشائر فليقطعوا بالسيف حتى يكون دعاؤهم إلى الله وحده لا شريك له ، ويأمر الناس بإسباغ الوضوء على وجوههم وأيديهم إلى المرافق ، وأرجلهم إلى الكعبين ، ويمسحون برؤوسهم كما أمرهم الله عز وجل ، وأمره بالصلاة لوقتها ، وإتمام الركوع والخشوع ، ويغلس بالفجر ، ويهجر بالهاجرة حين تميل الشمس ، وصلاة العصر والشمس في الأرض مدبرة ، والمغرب حين يقبل الليل ، لا تؤخر حتى تبدو النجوم في السماء والعشاء أول الليل ، ويأمر بالسعي إلى الجمعة إذا نودي لها ، والغسل عند الرواح إليها ، وأمره أن يأخذ من المغانم خمس الله وما كتب على المؤمنين في الصدقة ، ومن العقار عشر ماسقت العين وما سقت السماء ، وعلى ماسقي الغرب نصف العشر ، وفى كل عشر من الإبل شاتان ، وفي كل عشرين من الإبل أربع شياه ، وفي كل أربعين من البقر بقرة ، وفي كل ثلاثين من البقر تبيع جذع أو جذعة وفى كل أربعين من الغنم سائمة وحدها شاه فإنها فريضه الله التى إفترضها على المؤمنين فى الصدقة فمن زاد خيراً فهو خير له .

وأنه من أسلم من يهودى أو نصرانى إسلاماً خالصاً من نفسه ودان بدين الإسلام فإنه من المؤمنين له مثل مالهم وعليه مثل ماعليهم ومن كان على نصرانيته أو يهوديته فإنه لا يفتن عنها وعلى

كل حالم ذكر أو أنثى حراً أو عبد دينار واف ، أو عوضه ثياباً ، فمن أد ذلك فإن له ذمة الله وذمة رسوله ومن منع ذلك فإنه عدو لله ولرسوله وللمؤمنين جميعاً .﴾

* * *

٨) وقــال ﴿ﷺ﴾ :

لما سئل عن إشراط الساعة :

﴿ إذا رأيت الناس قد ضيعوا الحق وأماتوا الصلاة وأكثروا القذف وإستحلوا الكذب وأخذوا الرشوة وشيدوا البنيان وعظموا أرباب الأموال وإستعملوا السفهاء وإستحلوا الدماء ، فصار الجاهل عندهم ظريفاً والعالم ضعيفاً والظلم فخراً والمساجد طرقاً ، وتكثر الشرط وحليت المصاحف وطولت المنارات وخربت القلوب من الدين وشربت الخمور وكثر الطلاق وموت الفجأة وفشا الفجور وقول البهتان وحلفوا بغير الله وأئتمن الخائن وخون الأمين ولبسوا جلود الضان على قلوب الذئاب فعندها قيام الساعة ﴾ .

* * *

الفصل التاسع :

ومن وصاياه (صلى الله عليه وسلم) أيضاً [1]

١) قال رسول الله (ﷺ) :

﴿ما من بيت إلا وملك الموت يقف على بابه في كل يوم خمس مرات ، فإذا وجد الإنسان قد نفد أكله ، جاء أجله ، ألقى عليه غم الموت ، فغشيته كرباته ، وغمرته سكراته ، فمن أهل بيته ، الناشرة شعرها ، والضاربه وجهها ، والباكية لشجوها ، والصارخة بويلها ، فيقول ملك الموت عليه السلام : ويلكم مم الفزع ، وفيم الجزع ؟ ما أذهبت لواحد منكم رزقاً ، ولا قربت له أجلاً ، ولا أتيته حتى أمرت ، ولا قبضت روحه حتى استأمرت ، وإن لي فيكم عودةً ثم عودةً حتى لا أبقي منكم أحداً قال النبي (ﷺ) ﴿ فوالذي نفس محمد بيده ، لويرون مكانه ، ويسمعون كلامه ، لذهلوا عن ميتهم ، ولبكوا على نفوسهم ، حتى إذا حمل الميت على نعشه ، رفرفت روحه فوق النعش

---

١) هذه الوصايا معناها وبعض مفرداتها ، موجوده فى أحاديث صحيحة ، ومعناها رائع وبه نفع وفائدة وموعظة ، ولكنها لا توجد كأحاديث بنصها .

وهو ينادي : يا أهلي ، ويا ولدي ، لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بي ، جمعت المال من حله ، ومن غير حله ، ثم خلفته لغيري ، فالمهنأة له والتبعة علي ، فاحذروا أن يحل مثل ما حل بي . ﴾

* * *

٢) وقال (ﷺ) :

﴿ إنما يؤتى الناس يوم القيامة من إحدى ثلاث : إما من شبهة في الدين ارتكبوها ، أو شهوة للذة آثروها ، أو غضبة لحمية أعملوها ، فإذا لاحت لكم شبهة فاجلوها باليقين ، وإذا عرضت لكم شهوة فأقمعوها بالزهد ، وإذا عنت لكم غضبه فأدرؤها بالعفو إنه ينادى منادى يوم القيامة من له أجر على الله فليقم ، فيقوم العافون عن الناس ، ألم ترى إلى قوله تعالى ﴿ **فمن عفا وأصلح فأجره على الله** ﴾ .

* * *

٣) قال ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ :

﴿ إن الدنيا دار بلاء ، ومنزل قلعة وعناء قد نزعت عنها نفوس السعداء ، وانتزعت بالكره من أيدي الأشقياء ، واسعد الناس أرغبهم عنها ، وأشقاهم بها أرغبهم فيها ، هي الغاشة لمن استنصخها ، والمغوية لمن أطاعها ، والخاترة لمن انقاد لها ، والفائز من أعرض عنها ، والهالك من هوى فيها ، طوبى لعبد اتقى فيها ربه ، وناصح نفسه ، وقدم توبته ، واخر شهوته ، من قبل أن تلفظة الدنيا إلى الآخرة ، فيصبح في بطن موحشة مؤنسة ، مدلهمة ظلماء ، ولايستطيع أن يزيد في حسنه ولا ينقص من سيئة ، ثم ينشر فيحشر إما إلى جنة يدوم نعيمها ، أو نار لا ينفك عذابها ﴾ .

* * *

٤) وقال ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ :

﴿ أيها الناس إن هذه الدار دار إلتواء لا دار إستواء ، ومنزل ترح لا منزل فرح ، فمن عرفها لم يفرح لرخاء ، ولم يحزن لشقاء ، ألا وإن الله خلق الدنيا دار بلوى والآخرة دار عقبى ، فجعل بلوى الدنيا لثواب الآخرة سبباً وثواب الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً ، فيأخذ ليعطي ويبتلى ليجزي ، وإنها لسريعة الذهاب وشيكة الإنقلاب فأحذروا

حلاوة رضاعها لمرارة فطامها ، وأهجروا لذيذ عاجلها لكريه أجلها ولا تسعوا فى عمران دار قد قضى خرابها ولا تواصلوها ، وقد أراد الله منكم إجتنابها فتكونوا لسخطه متعرضين ولعقوبته مستحقين ﴾ .

* * *

٥) وقال ﴿ﷺ﴾ :

﴿ كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ، وعد نفسك فى الموتى وإذا أصبحت فلا تحدثها بالمساء ، وإذا أمسيت فلا تحدثها بالصباح ، وخذ من صحتك لسقمك ، ومن شبابك لهرمك ، ومن فراغك لشغلك ، ومن حياتك لوفاتك ، فإنك لا تدرى ما أسمك غداً ﴾ .

* * *

٦) وقال ﴿ﷺ﴾ :

﴿ أيها الناس أتقوا الله حق تقاته ، وإسعوا فى مرضاته، وأيقنوا من الدنيا بالفناء ، ومن الآخرة بالبقاء ، وأعملوا لما بعد الموت فكأنكم بالدنيا لم تكن وكأن الآخرة لم تزل ، أيها الناس إن من فى الدنيا ضيف ، وما فى يده عاريه ، وإن الضيف مرتحل والعارية مردوده ، ألا وإن الدنيا عرض حاضر ، يأكل منها البر والفاجر ، والآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر فرحم الله امرأ ، نظر لنفسه

ومهد لرمسه مادام رسنه مرخى ، وحبله على غاربه ملقى ، قبل أن ينفد أجله فينقطع عمله ﴾ .

* * *

٧) وقال ﷺ :

﴿ إرغب فيما عند الله يحبك الله ، وإزهد فيما فى أيدى الناس تحبك الناس ، إن الزاهد فى الدنيا يريح قلبه وبدنه فى الدنيا والآخرة ، ليجيئن أقوام يوم القيامة لهم حسنات كامثال الجبال ، فيؤمر بهم إلى النار ﴾ فقيل يانبي الله أيصلون ؟ قال : ﴿ كانوا يصلون ويصومون ويأخذون وهناً من الليل ، لكنهم كانوا إذا لاح لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه ﴾ .

* * *

٨) وقال ﷺ :

﴿ أيها الناس لا تعطوا الحكمة غير أهلها فتظلموها ، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم ، ولا تراؤوا الناس فيحبط عملكم ، ولا تمنعوا الموجود فيقل خيركم أيها الناس إن الأشياء ثلاثة أمر إستبان رشده فاتبعوه ، وأمر إستبان غيه فاجتنبوه ، وأمر إختلف عليكم فاردوه إلى الله .

أيها الناس ألا أنبئكم بأمرين خفيف مؤنتهما عظيم أجرهما ، لم يلق الله بمثلهما ، الصمت وحسن الخلق ﴾ .

* * *

٩) وقال ﴿ﷺ﴾ :

﴿ شمروا فإن الأمر جد ، وتأهبوا فإن الرحيل قريب ، وتزودوا فإن السفر بعيد ، وخففوا أثقالكم فإن ورائكم عقبةً كؤداً لا يقطعها إلا المخففون .

أيها الناس إن بين يدى الساعة أموراً شداداً ، وأهوالاً عظاماً ، وزماناً صعباً ، تتملك فيه الظلمة وتتصدر الفسقة ، فيضطهد فيه الأمرون بالمعروف ، ويضام الناهون عن المنكر ، فأعدوا لذلك الإيمان وعضوا عليه بالنواجذ ، وإلجؤوا إلى العمل الصالح وأكرهوا عليه النفوس ، وأصبروا على الضراء تفضوا إلى النعيم الدائم ﴾ .

* * *

١٠) وقال ﴿ﷺ﴾ :

﴿ أما رأيت المأخوذين على الغرة ، المزعجين بعد الطمأنينة ؟ الذين أقاموا على الشبهات وجنحوا إلى الشهوات ، حتى أتتهم رسل ربهم فلا ما كانوا أملوا أدركوا ، ولا إلى ما فاتهم رجعوا ، قدموا على

ما عملوا وندموا على ما خلفوا ، ولم يغن الندم وقد جف القلم ، فرحم الله امرأ قدم خيراً ، وأنفق قصداً ، وقال صدقاً وملك دواعى شهواته ولم تملكه وعصى أمر نفسه فلم تهلكه ﴾ .

* * *

١١) وقال ﴿عليه السلام﴾ :

﴿ لا تشغلنكم دنياكم عن أخرتكم ، ولا توثروا أهواءكم على طاعة ربكم ، ولا تجعلوا أيمانكم ذريعة لمعاصيكم ، وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، ومهدوا لها قبل أن تعذبوا ، وتزودوا للرحيل قبل أن تزعجوا ، فإنما هو موقف عدل ، وإقتضاء حق ، وسؤال عن واجب ، ولقد بلغ فى الإعذار من تقدم فى الإنذار ﴾ .

* * *

١٢) وقال ﴿عليه السلام﴾ :

﴿ إن الدنيا قد إرتحلت مدبرة ، والآخرة قد تجملت مقبلة ، الا وإنكم فى يوم عمل ليس فيه حساب ، ويوشك أن تكونوا فى يوم حساب ليس فيه عمل ، وإن الله يعطى الدنيا من يحب ويبغض ، ولا يعطى الآخرة إلا من يحب ، وإن للدنيا أبناء وللأخرة أبناء ، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، إن شر ما أتخوف عليكم

إتباع الهوى وطول الأمل ، فإتباع الهوى يصرف بقلوبكم عن الحق ، وطول الأمل يصرف هممكم إلى الدنيا ، وما بعدهما لأحد خير من دنيا ولا أخرة ﴾ .

* * *

١٣) وقال ﴿ﷺ﴾ :

﴿ إنما أنتم خلف ماضين وبقية متقدمين ، كانوا أكثر منكم بسطه ، وأعظم سطوه ، أزعجوا عنها أسكن ما كانوا إليها ، وغدرت بهم أوثق ما كانوا بها ، فلم تغن عنهم قوة عشيرة ، ولا قبل منهم بذل فدية ، فأرحلوا أنفسكم بزاد ، قبل أن تؤاخذوا على فجأة ، وقد غفلتم عن الإستعداد ولا يغنى الندم وقد جف القلم . ﴾

* * *

١٤) وقال ﴿ﷺ﴾ :

﴿أقلل من الشهوات يسهل عليك الفقر ، وأقلل من الذنوب يسهل عليك الموت ، وقدم مالك أمامك يسرك اللحاق به ، واقنع بما

أتيته يخف عليك الحساب ، ولا تتشاغل عما فرض عليك بما قد ضمن لك ، إنه ليس بفائتك ما قسم لك ، ولست بلا حق ما زوي عنك ، وتك جاهداً فيما يصبح نافذاً ، وأسع لملك لازوال له فى منزل لا إنتقال له . ﴾

***

١٥) وقال (ﷺ) :

﴿ ما سكن حب الدنيا قلب عبد إلا إلتاط منها بثلاث : شغل لا ينفك عنه عناه ، وفقر لا يدرك غناه ، وأمل لا ينال منتهاه ، إن الدنيا والآخرة طالبتان ومطلوبتان فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل رزقه ، وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يأخذ الموت بعنقه ، ألا وأن السعيد من أختار باقية يدوم نعيمها على فانية لا ينفد عذابها ، وقدم لما يقدم عليه مما هو الأن فى يديه قبل أن يخلفه لمن يسعد بإنفاقه وقد شقي هو بجمعه وإحتكاره . ﴾

***

١٦) وقال ﷺ :

﴿ كأن الموت فيها على غيرنا كتب ، وكأن الحق فيها على غيرنا وجب ، وكأن الذين نشيع من الأموات فى سفر عما قليل إلينا راجعون ، نهيىء لهم أجداثهم ونأكل تراثهم كأنا مخلدون بعدهم نسينا كل واعظة ، وأمنا كل جائحة ، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ، طوبى لمن أنفق مالاً إكتسبه فى غير معصية ، وجالس أهل الفقه والحكمة وخالط أهل الذلة والمسكنة ، طوبى لمن ذلت نفسه وحسنت خليقته وطابت سريرته وعزل عن الناس شره ، طوبى لمن أنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم تستهوه البدعة .﴾

* * *

١٧) وقال ﷺ :

﴿ إن مع العز ذلاً ، وإن مع الحياة موتاً ، وإن مع الدنيا أخرة ، وإن لكل شيء حسيباً ، وعلى كل شيء رقيباً ، وإن لكل حسنة ثواباً ، ولكل سيئة عقاباً ، وإن لكل أجل كتاباً ، فإن كان كريماً أكرمك ، وإن كان لئيماً أسلمك ، ثم لا يحشر إلا معك ولا تبعث إلا

معه ولا تسئل إلا عنه ، فلا تجعله إلا صالحاً ، فإنه إن كان صالحاً لم تأنس إلا به ، وإن كان فاحشاً لم تستوحش إلا منه وهو فعلك. ﴾

* * *

١٨) وقال (صلى الله عليه وسلم) :

﴿أيها الناس ، توبوا إلى الله قبل أن تموتوا ، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشتغلوا ، وصلوا الذي بينكم وبين ربكم تسعدوا ، وأكثروا الصدقة ترزقوا ، وأمروا بالمعروف تحصنوا ، وانهوا عن المنكر تنصروا .

يا أيها الناس ، إن أكيسكم أكثركم للموت ذكراً ، وأحزمكم أحسنكم له استعداداً ، ألا وإن من علامات العقل التجافي عن دار الغرور ، والإنابة إلى دار الخلود ، والتزود لسكنى القبور ، والتأهب ليوم النشور. ﴾

* * *

١٩) وقال (صلى الله عليه وسلم) :

﴿ أيها الناس ، إن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم ، وإن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم ، وإن المؤمن بين مخافتين : بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه ، وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله

قاضى فيه ، فليأخذ العبد لنفسه من نفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشبيبة قبل الكبر ، ومن الحياة قبل الموت ، فوالذي نفس محمد بيده ، ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا دار إلا الجنة أو النار .﴾

* * *

٢٠) وقال ﴿ﷺ﴾ :

﴿ لا خير في العيش إلا لعالم ناطق ، أو مستمع واع ، يأيها الناس ، إنكم في زمان هدنة ، وإن السير بكم سريع ، وقد رأيتم الليل والنهار كيف يبليان كل جديد ، ويقربان كل بعيد ، ويأتيان بكل موعود ﴾ فقال له المقداد : وما الهدنة يارسول الله ؟ فقال ﴿ﷺ﴾ : ﴿ دار بلاء وانقطاع ، فإذا التبست عليكم الأمور كقطع الليل المظلم ، فعليكم بالقرآن ، فإنه شافع مشفع وشاهد مصدق ، فمن جعله أمامه قادة إلى الجنة ، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار ، وهو أوضح دليل إلى خير سبيل ، من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، وإن العبد عند خروج نفسه وحلول رمسه يرى جزاء ما أسلف ، وقلة غنى ما أخلف ، ولعله من باطل جمعة ، ومن حق منعه .﴾

* * *

٢١) وقال ﷺ :

﴿ إن العبد لا يكتب في المسلمين ، حتى يسلم الناس من يده ولسانه ، ولا ينال درجة المؤمنين حتى يأمن جاره بوائقه ، ولا يعد من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به البأس .

يا أيها الناس ، إنه من خاف البيوت أدلج ، ومن أدلج في السير وصل ، وإنما تعرفون عواقب أعمالكم لو قد طويت صحائف آجالكم ، إن نية المؤمن خير من عمله ، ونية المنافق شر من عمله .﴾

* * *

٢٢) وقال ﷺ :

﴿ إن الرائد لا يكذب أهله ، والله لو كذبت الناس جميعاً ماكذبتكم ، ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم ، والله الذى لا إله إلا هو ، إنى لرسول الله إليكم خاصة ، وإلى الناس كافة ، والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبن بما تعملون ، ولتجزون بالإحسان إحساناً ، وبالسوء سوءاً وإنها لجنة أبداً أو ناراً أبداً. ﴾

* * *

٢٣) وقال ﷺ :

﴿ أما بعد ، أيها الناس ، فقدموا لأنفسكم ، تعلمن والله ليصعقن أحدكم ، ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ، ثم ليقولن له ربه وليس له ترجمان ، ولا حاجب يحجبه دونه : ألم يأتك رسولى فبلغك وأتيتك مالاً ، وأفضلت عليك فما قدمت لنفسك ؟ فلينظرن يميناً وشمالاً فلا يرى شيئاً ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم ، فمن إستطاع أن يقى وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة فإن بها تجزى الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف .﴾

***

٢٤) وقال ﷺ :

﴿ نضر الله عبداً سمع مقالتى فوعاها ، ثم أداها إلى من لم يسمعها ، فرب حامل فقه لا فقه له ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ثلاث لا يغل عليهن قلب المؤمن :

إخلاص العمل لله ، والنصيحة لاولي الأمر ، ولزوم الجماعة ، إن دعوتهم تكون من ورائه ومن كان همه الآخرة ، جمع الله شمله

وجعل غناه فى قلبه وأتته الدنيا وهى راغمة ، ومن كان همه الدنيا فرق الله أمره ، وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ماكتب له ﴾

***

٢٥) وقال (ﷺ) :

﴿ الحمد لله ، أحمده وأستعينه وأستغفره وأستهديه وأومن به ولا أكفره وأعادى من يكفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى والنور والموعظة على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس ، وإنقطاع من الزمن ، ودنو من الساعة ، وقرب من الأجل ، من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فقد غوى وفرط وضل ضلالاً بعيداً .

أوصيكم بتقوى الله ، فاحذروا ما حذركم الله من نفسه ، ولا أفضل من نصيحة ولا أفضل من ذلك ذكراً ، وإن تقوى الله لمن عمل به على وجل ، ومخافة من ربه عون صدق على ما تبغون من أمر الآخرة ، ومن يصلح الذى بينه وبين الله من أمره فى السر والعلانية لا ينوى بذلك إلا وجه الله ، يكن له ذكراً فى عاجل أمره ، وذخراً فيما بعد الموت حين يفتقر المرء ، إلى ما قدم وما كان من سوى ذلك يود لو أن بينه وبينه أمداً بعيداً ، ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد والذى صدق قوله وأنجز وعده لا خلف ،

لذلك فإنه يقـول عـز وجل : ﴿ **ما يبـدل القـول لـدي وما أنـا بـظلام للعبـيـد** ﴾ فاتقوى الله فى عاجل أمركـم وآجلـه ، فـى السـر والعلانية ، فإنه من يتق الله يكفـر عنـه سيئاته ، ويعظـم لـه آجـره ، ومن يتق الله فقد فاز فوزاً عظيماً ، وإن تقوى الله يوقى مقته ويوقـى عقوبته ويوقى سخطه ، وإن تقوى الله تبيض الوجـوه ويرضـى الـرب ويرفع الدرجة ، خذوا بحظكم ولا تفرطوا فـى جنـب اللـه ، فقد علمكـم اللـه كتابـه ونهـج لكـم سبيله ، ليعلـم الذيـن صدقـوا ويعلـم الكـاذبين فأحسنوا كما أحسن الله إليكم ، وعادوا أعداءه وجاهدوا فى اللـه حـق جهـاده ، هـو إجتبـاكم وسـماكم المسـلمين ، ليهلـك مـن هلـك عن بينـة ويحيا من حي عن بينة ولا قوة إلا بالله ، فـاكثروا ذكـر اللـه وأعملـوا لما بعد اليوم ، فإنه من يصلح مـا بينـه وبيـن اللـه يكفـه اللـه مـا بينـه وبين النـاس ، ذلك بأن الله يقضى على الناس ولا يقضون عليـه يملـك من النـاس ولا يملكون منه الله أكبر ولا قوة إلا بالله العظيم . ﴾

***

٢٦) وقال ﴿ﷺ﴾ :

ونختتم وصايا الرسول ﴿ﷺ﴾ ، بوصاياه التى جاءت فى خطبته فى حجة الوداع حيث قال :

﴿ الحمد لله ، نحمده ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهدى الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحثكم على طاعته وأستفتح بالذى هو خير . أما بعد :

أيها الناس ، إسمعوا مني أبين لكم ، فإنى لا أدري لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا فى موقفى هذا .

أيها الناس ، إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم ، إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا . ألا هل بلغت اللهم فاشهد ! فمن كانت عنده أمانة ، فليؤدها إلى من إئتمنه عليها ، وإن ربا الجاهلية موضوع وإن أول رباً أبدأ به ، ربا عمى العباس بن عبد اللمطلب ، وإن دماء الجاهلية موضوعة ، وإن أول دم نبدأ به ، دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وإن مآثر الجاهلية موضوعة ، غير السدانة والسقاية ، والعمد قود وشبه

العمد ماقتل بالعصا والحجر وفيه مائة بعير ، فمن زادا فهو من أهل الجاهلية .

أيها الناس ، إن الشيطان قد يئس أن يعبد فى أرضكم هذه ، ولكن قد رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم .

أيها الناس ، النسىء زيادة فى الكفر ، يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ، ليواطئوا عدة ما حرم الله ، وإن الزمان قد إستدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله إثنا عشر شهراً ، فى كتاب الله ، يوم خلق السموات والأرض ، منها أربعة حرم ثلاثة متواليات وواحد فرد : ذوالقعدة ، ذو الحجة ، والمحرم ، ورجب الذى بين جمادى وشعبان ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد ! .

إيها الناس : إن لنسائكم عليكم حقاً ولكم عليهن حقا ، لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم غيركم ، ولا يدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم ، ولا يأتين بفاحشة ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح ، فإن إنتهين وأطعنكم ، فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ،

وإنما النساء عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً ، أخذتمهن بأمانة الله وأستحللتم فروجهن بكلمة الله ، فاتقو الله فى النساء ، واستوصوا بهن خيراً ، ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد ! .

أيها الناس : إنمـــا المؤمنـون أخـوة ، ولا يحـل لإمـرىء مـال أخيـه ، إلا عن طيب نفس منـه ، ألا هل بلغت ؟ اللهم إشـهد ! فــلا ترجعن بعدى كفاراً ، يضرب بعضكم رقاب بعض ، فإنى قد تركت فيكـم ما إن لو أخذتم بــه لم تضلوا بعـــدي كتـــاب الله وسنتي ، ألا هـل بلغت ؟ اللهم فاشهد ! .

أيها النـاس : إن ربكـم واحـد وإن إبـاكم واحـد ، كلكـم لآدم وآدم من تراب ، إن أكرمكم عن الله أتقاكم وليس لعربي على عجمـي فضـل إلا بـالتقوى ألا هل بلغت ؟ اللهـم فاشـهد ! قـالوا نعـم . قـال : فليبلــغ الشاهد الغائب .

أيها الناس : إن الله قد قسم لكـل وارث نصيبـه مـن المـيراث ، ولا يجوز لوارث وصية ولا تجوز وصية فى أكـثر مـن الثلـث ، والولـد للفراش ، وللعـاهر الحجـر ، مـن إدعـى إلـى غير أبيـه أو تولـى غـير مواليـه ، فعليـه لعنـة اللـه والملائكـة والنـاس أجمعين ، لا يقبـل منــه صرف ولا عدل والسلام عليكم ورحمة الله . ﴾

الباب الثالث

وصايا الخليفة أبى بكر الصديق رضي الله عنه

الباب الثالث

وصايا الخليفة أبي بكر الصديق رضى الله عنه [1]

أبو بكر الصديق هو الذى قال فى أول خطبة له بعد البيعة :

﴿ أيها الناس ، إنى قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن رأيتمونى على حق فأعينونى ، وإن رأيتمونى على باطل فسددونى ، أطيعونى ما أطعت الله فيكم ، فإذا عصيته فلا طاعة لى عليكم ، ألا إن أقواكم عندى الضعيف حتى أخذ الحق له ، وأضعفكم عندى القوى حتى أخذ الحق منه ﴾ .

---

١) هو عبد الله بن أبى قحافة عثمان إبن عامر بن كعب بن سعد الايمى بن مرة القرشي ، وأمه أم الخير بنت صخر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ، وهو أول الخلفاء الراشدين ، وأول من أمن برسول الله من الرجال ، وأحد عظماء العرب ، ولد بمكة ونشأ سيداً من سادات قريش ، عالماً بأنساب القبائل وأخبارها ، لقبته العرب بعالم قريش ، لم يشرب الخمر فى الجاهلية ، له مواقف كبيرة ومشهودة فى الإسلام ، حارب المرتدين والممتنعين من دفع الزكاة ، وفتحت فى عهده بلاد الشام وبعضاً من أرض العراق ، إتصف بالحلم والرأفة ، وكان خطيباً وشجاعاً بطلاً ، توفى فى المدينة بعد أن تولى الخلافة لمدة سنتين وثلاثة أشهر وعشر أيام ، لقب بالصديق قيل فى الجاهلية وقيل فى الإسلام لتصديق النبي ﴿ﷺ﴾ فى خبر الإسراء . (الأعلام لخير الدين الزركلي)

وهو الذي أنفذ جيش أسامة بن زيد بن حارثة لحرب الروم بعد وفاة الرسول ﷺ ورد على عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما قال له إن الأنصار يطلبون إليك أن تولي أمرهم رجلاً أقدم سناً من أسامة " ثكلتك أمك وعدمتك يا بن الخطاب إستعمله رسول الله ﷺ وتأمرني أن أنزعه ، والله لاحللت لواء عقده رسول الله ﷺ " .

وهو الذى جهز الجيوش لفتح الشام والعراق ومحاربة أهل الردة ، ولأبى بكر من الوصايا العامة والخاصة الكثير وسوف نحاول فى الفصول التالية أن نأتى منها مااستطعنا : -

الفصل الأول : -

وصاياه رضى الله عنه لعامة الناس

الوصية الأولى :

قال رضى الله عنه :

﴿ إن الله عز وجل لا يقبل من الأعمال إلا ما أريد به وجهه ، فإريدوا الله بأعمالكم ، وأعلموا أن ما أخلصتم لله من أعمالكم فطاعة أتيتموها ، وحظ ظفرتم به ، وضرائب أديتموها ، وسلف قدمتوه ، من أيام فانيه لآخرى باقية ، لحين فقركم وحاجتكم ، إعتبروا عباد الله بمن مات منكم ، وتفكروا فيمن كان قبلكم . أين كانوا أمس ؟ وأين هم اليوم ؟ أين الجبارون ؟ وأين الذين كان لهم ذكر القتال والغلبة فى مواطن الحروب ؟ قد تضعضع بهم الدهر ، وصاروا رميماً ، قد تركت عليهم القالات الخبيثات ، وإنما الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات وأين الملوك الذين أثاروا الأرض وعمروها ؟ قد بعدوا ونسى ذكرهم وصاروا بلا شيء ، ألا وإن الله قد أبقى عليهم التبعات وقطع عنهم الشهوات ، ومضوا والأعمال أعمالهم ، والدنيا دنيا غيرهم ، وبقينا خلفاً من بعدهم ، فإن نحن إعتبرنا بهم نجونا ، وإن إغتررنا كنا مثلهم أين الوضاء الحسنة وجوههم ، المعجبون بشبابهم ؟ صاروا تراباً ،

وصارا ما فرطوا فيه حسرة عليهم ، أين الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحوائط ، وجعلوا فيها الأعاجيب ؟ قد تركوها لمن خلفهم ، فتلك مساكنهم خاوية ، وهم فى ظلمات القبور ، هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً ؟ أين من تعرفون من أبنائكم وإخوانكم ؟ قد إنتهت بهم أجالهم ، فوردوا على ماقدموا ، فحلوا عليه ، وأقاموا للشقوة وللسعادة فيما بعد الموت ، ألا إن الله لا شريك له ، ليس بينه وبين أحد من خلقه سبب يعطيه به خيراً ولا يصرف عنه به سوءاً إلا بطاعته وإتباع أمره ، وإعلموا أنكم عبيد مدينون ، وأن ما عنده لا يدرك إلا بطاعته ، أما وإنه لا خير بخير بعده النار ولا شر بشر بعده الجنة . ﴾

***

الوصية الثانية : -

قال رضى الله عنه :

﴿ إن أشقى الناس فى الدنيا والآخرة الملوك ، فرفع الناس رؤوسهم ، فقال : مالكم يامعشر الناس ؟ إنكم لطعانون عجيلون ، إن من الملوك من إذا ملك زهده الله فيما فى يده ، ورغبه فيما فى يدي غيره ، وإنتقصه شطر أجله ، وأشرب قلبه الإشفاق ،فهو يحسد على القليل ويتسخط الكثير ، ويسأم الرخاء ، وتنقطع عنه لذة البهاء ، لا يستعمل العبرة ، ولا يسكن إلى الثقة ، فهو كالدرهم القسى والسراب الخادع جذل الظاهر ، حزين الباطن ، فإذا وجبت نفسه ونضب عمره وضحا ظله ، حاسبه الله فأشد حسابه ، وأقل عفوه . الا أن الفقراء هم المرحومون ، وخير الملوك من آمن بالله ، وحكم بكتاب الله وسنة نبيه ﴿ﷺ﴾ وإنكم اليوم على خلافة نبوه ، ومفرق محجة ، وسترون بعدي ملكاً عضوضاً ، وأمة شعاعاً ، ودماً مفاحاً ، فإن كانت للباطل نزوة ، ولأهل الحق جولة ، يعفو لها الأثر ، وتموت السنن ، فالزموا المساجد ، وإستشيروا القرآن ، والزموا الجماعة ، وليكن الإبرام بعد التشاور ، والصفقة بعد طول التناظر ، أى بلاد خرشنه إن الله سيفتح عليكم أقصاها كما فتح أدناها. ﴾

***

الوصية الثالثة : -

قال رضى الله عنه :

﴿ أيها الناس : إنى أوصيكم بتقوى الله العظيم فى كل أمر وعلى كل حال ، ولزوم الحق فيما أحببتم وكرهتم ، فإنه ليس فيما دون الصدق من الحديث خير ، من يكذب يفجر ومن يفجر يهلك ، وإياكم والفخر ، وما فخر من خلق من تراب ، وإى التراب يعود هو اليوم حى وغداً ميت ، فأعملوا وعدوا أنفسكم فى الموتى ، وما أشكل عليكم فردوا علمه إلى الله ، وقدمو لأنفسكم خيراً تجــــــدوه محضرا فإنه قال عز وجل ﴿ **يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيدا ، ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد** (١) ﴾ . فاتقوا الله عباد الله وراقبوه ، وإعتبروا بمن مضى قبلكم ، وإعلموا أنه لابد من لقاء ربكم والجزاء بأعمالكم صغيرها وكبيرها إلا ما غفر الله ، إنه غفور رحيم ، فأنفسكم أنفسكم والمستعان الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . ﴾

* * *

١) سورة آل عمران الآية ٣٠

الوصية الرابعة : -

قال رضى الله عنه :

﴿ أوصيكم بتقوى الله وأن تثنوا عليه بما هو أهله ، وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة ، وتجمعوا الإلحاف بالمسألة ، فإن الله أثنى على زكريا وعلى أهل بيته فقال: ﴿ **إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهبا وكانوا لنا خاشعين** [1] ﴾ .

ثم إعلموا عباد الله ، إن الله قد إرتهن بحقه أنفسكم وأخذ على ذلك مواثيقكم ، وعوضكم بالقليل الفاني الكثير الباقي ، وهذا كتاب الله فيكم لا تفنى عجائبه ، ولا يطفأ نوره ، فثقوا بقوله ، وإنتصحوا كتابه ، وإستبصروا فيه ليوم الظلمة ، فإنه خلقكم لعبادته ، ووكل بكم الكرام الكاتبين يعلمون ما تفعلون . ﴾

* * *

١) سورة الأنبياء الآية ٩٠

الوصية الخامسة : -

وقال رضى الله عنه يحث الناس على فتح الشام :

﴿ ألا إن لكل أمر جوامع ، فمن بلغها فهي حسبه ، ومن عمل لله كفاه الله ، عليكم بالجد والقصد ، فإن القصد أبلغ ، ألا إنه لا دين لأحد لا إيمان له ، ولا أجر لمن لا حسبة له ، ولا عمل لمن لا نية له ، ألا وإن فى كتاب الله من الثواب على الجهاد فى سبيل الله ، كما ينبغى للمسلم أن يحب أن يخص به ، هى التجارة التى دل الله عليها ، ونجى بها من الخزي ، وألحق بها الكرامة فى الدنيا والآخرة . ﴾

* * *

الفصل الثاني : -

وصيته رضي الله عنه لأسامة بن زيد [1]

أوصى أسامة بن زيد وجيشه ، حين سيره إلى الشام لحرب الروم ، وهو الجيش الذى جهزه رسول الله (ﷺ) قبل وفاته فقال :

« أيها الناس إنما أنا مثلكم وإنى لا أدرى لعلكم ستكلفونى ما كان رسول الله (ﷺ) يطيق . إن الله إصطفى محمداً على العالمين ، وعصمه من الأفات ، وإنما أنا متبع ولست بمبتدع ، فإن إستقمت فتابعونى ، وإن زغت فقومونى : وإن رسول الله (ﷺ) قبض ، وليس لأحداً من هذه الأمة يطلبه بمظلمة ضربة سوط فما دونها ، ألا وإن لى شيطاناً يعترينى ، فإذا غضبت فاجتنبونى ، لا أوثر فى أشعاركم وأبشاركم ، ألا وإنكم تغدون وتروحون فى أجل قد غيب عنكم علمه ،

---

١) هو أسامة بن زيد بن حارثة من كنانة عوف ، صحابى جليل ، ولد بمكة ونشأ على الإسلام (لأن أباه كان من أول الناس إسلاماً) كان الرسول (ﷺ) يحبه حباً جماً ، هاجر مع الرسول (ﷺ) إلى المدينة ، أمره الرسول (ﷺ) قبل أن يبلغ العشرين من عمره فكان مظفراً موفقاً ، إنتقل إلى دمشق فى أيام معاوية ثم عاد إلى المدينة ، وأقام بها إلى أن مات بالجرف ، وفى تاريخ بن عساكر أن الرسول (ﷺ) إستعمل أسامة على جيش فيه أبو بكر وعمر (الأعلام لخير الدين الزركلي) .

فإن استطعتم ألا يمضى هذ الأجل إلا وأنتم فى عمل صالح فافعلوا ، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله ، فسابقوا فى مهل آجالكم من قبل أن تسلمكم آجالكم إلى انقطاع الأعمال ، فإن قوماً نسوا آجالهم ، وجعلوا أعمالهم لغيرهم ، فإياكم أن تكونوا أمثالهم ، والجد الجد ، والوحا الوحا والنجاء النجاء ، فإن وراءكم طالباً حثيثاً أجلاً مره سريع ، احذروا الموت واعتبروا بالآباء والأبناء والإخوان ، ولا تغبطوا الأحياء إلا بما تغبطون به الأموات .﴾

* * *

وقال فى هذه المناسبة أيضاً :

يأيها الناس قفوا أوصيكم بعشر فأحفظوها عنى :

﴿ لا تخونوا ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ، ولا شيخاً كبيراً ولا آمرأة ، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاه أو بقرة ولا بعيراً إلا لمأكله ، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له ، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام ، فإذا أكلتم منها شيئاً بعد شيء فأذكروا إسم الله عليها ، وتلقون أقواماً قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب ، فأخفقوهم بالسيف خفقاً . إندفعوا بإسم الله ثم قال

لأسامة : إصنع ما أمرك به رسول الله ﷺ: إبدأ ببلاد قضاعه ثـم أئت آبل ولا تقصرن فى شيء من أمر رسول الله ﷺ .

* * *

الفصل الثالث : -

وصيته رضى الله عنه لعمرو بن العاص (١)

قال له لما وجهه إلى فلسطين :

﴿ يا عمرو ، إتق الله فى سر أمرك وعلانيته ، وإستحيه ، فإنه يراك ويرى عملك ، وقد رأيت تقديمي إياك على من هو أقدم سابقةً منك ، ومن كان أعظم غناء عن الإسلام وأهله منك ، فكن من عمال الآخرة ، وأرد بما تعمل وجه الله ، وكن والداً لمن معك ، ولا تكشفن الناس عن أستارهم ، وإكتف بعلانيتهم ، وكن مجداً فى أمرك ، وأصدق اللقاء إذا لقيت ، ولا تجبن ، وإذا وعظت أصحابك فأوجز ، واصلح نفسك تصلح لك رعيتك .﴾

* * *

١) هو عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي فتح مصر ، وأحد عظماء العرب ودهاتها وأولي الراي والمكيدة كان شديداً على الإسلام فى جاهليته ، أسلم فى هدنة الحديبية ، ولاه الرسول (ﷺ) امرة جيش ذات السلاسل ثم إستعمله على عمان . كان من أمراء الجيوش بالشام فى زمن عمر هو الذى إفتتح قنسرين ، ولاه عمر فلسطين ثم مصر ، وعزله عثمان ، كان مع معاوية أيام الفتنة فولاه بعد ذلك معاوية على مصر فتوفى فيها .
(الأعلام لخير الدين الزركلي)

وقال يوصيه ويوصى الوليد بن عقبة (١) :

﴿ إتق الله فى السر والعلانية ، فإنه ﴿ **من يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب** (٢) ﴾ . ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ، ويعظم له أجره ، فإن تقوى الله خير ما تواصى بها عباد الله ، إنك فى سبيل الله لا يسعك فيه الإدهان والتفريط والغفلة عما فيه قوام دينكم ، وعصمة أمركم ، فلا تن ولا تفتر . ﴾

وقال يوصيه أيضاً وقد أمد به جيش أبى عبيدة بن الجراح :

﴿ ياعمرو ، إنك ذو رأى وتجربة بالأمور ، وتبصرة بالحرب وقد خرجت مع أشراف قومك ، ورجال من صلحاء المسلمين ، وأنت قادم على إخوانك ، فلا تألهم نصيحة ، ولا تدخر عنهم صالح مشورة ، فرب رأى لك محمود فى الحرب ، مبارك فى عواقب الأمور . ﴾

* * *

---

١) هو الوليد بن عقبة بن أبى معيط أبو وهب الأموى القرشى ، وهو أخو عثمان بن عفان لأمه ، أسلم يوم فتح مكة ، ولاه عمر صدقات بنى تغلب ، وولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبى وقاص ، مات بالرقة بسوريا (الإعلام لخير الدين الزركلي)

٢) سورة الطلاق الآية ٢ ، ٣

الفصل الرابع : -

وصيته رضى الله عنه لشرحبيل بن حسنة (١)

قال يوصيه لما وجهه إلى الأردن :

﴿ ياشرحبيل ، ألم تسمع وصيتى ليزيد بن أبى سفيان ؟ قال : بلى ، قال : فإنى أوصيك بمثلها ، وأوصيك بخصال أغفلت ذكرهن ليزيد :

أوصيك بالصلاة فى وقتها ، وبالصبر يوم البأس حتى تظفر أو تقتل ، وبعيادة المرضى ، وبحضور الجنائز ، وذكر الله كثيراً على كل حال . ﴾

***

١) هو شرحبيل بن عبد الله بن المطاع بن الغطريف الجندى ، صحابى ، أسلم بمكة وهاجر إلى الحبشة ، أحد الأمراء الذين وجههم أبو بكر لفتح الشام ففتح الأردن كلها عنوه ، توفى بطاعون عمواس (الأعلام لخير الدين الزركلي).

الفصل الخامس : –

وصيته رضى الله عنه ليزيد بن أبي سفيان [1]

قال يوصي يزيد عندما وجهه إلى البلقاء بالأردن :

﴿ ياأيزيد ، إني أوصيك بتقوى الله وطاعته ، والإيثار له ، والخوف منه ، وإذا لقيت العدو فأظفركم الله بهم ، فلا تغلل ، ولا تمثل ، ولا تغدر ، ولا تجبن ، ولا تقتلوا وليداً ، ولا شيخاً كبيراً ، ولا امرأة ، ولا تحرقوا نخلاً ، ولا تقعروه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تعقروا بهيمة إلا لمأكله ، وستمرون بقوم في الصوامع ، يزعمون أنهم حبسوا أنفسهم لله ، فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له ، وستجدون آخرين قد فحص الشيطان عن أوساط رؤوسهم ، حتى كأن أوساط رؤوسهم أفاحيص القطا ، فاضربوا ما فحصوا من رؤوسهم بالسيوف حتى ينيبوا إلى الإسلام ، أو يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، ولينصرن الله من ينصره ورسله بالغيب .

---

١) هو يزيد بن صخر (أبى سفيان) بن حرب وهو أخو الخليفة معاوية ، وهو من رجال بني أمية ، يتصف بالشجاعة والحزم صحابى أسلم يوم فتح مكة وإستعمله النبي ﴿ﷺ﴾ على صدقات أخواله بني فراس ، وإستعمله أبو بكر على جيشه وسيره إلى الشام ، ثم ولاه عمر بعد خلافته على فلسطين ، ثم ولي دمشق ، وأفتتح قيسارية ، توفى فى دمشق بالطاعون أثناء ولايته عليها (الأعلام لخير الدين الزركلي .)

ثم أخذ يده فقال : إنى أستودعك الله ، وعليك سلام الله ورحمته ، ثم ودعه وقال : إنك أول أمرائى ، وقد وليتك على رجال من المسلمين أشراف غير أوزاع في الناس ، فأحسن صحبتهم ، ولتكن لهم كنفاً واخفض لهم جناحك ، (**وشاورهم في الأمر** [1]) أحسن الله لك الصحابة وعلينا الخلافة . ﴾

* * *

١) سورة آل عمران الآية ١٥٩

ثم قال يوصه فى هذه المناسبة أيضاً :

﴿ إنى قد وليتك لابلوك وأجربك وأخرجك ، فإن أحسنت رددتك إلى عملك وزدتك ، وإن أسأت عزلتك ، فعليك بتقوى الله فإنه يرى من باطنك مثل الذى من ظاهرك ، وإن أولى الناس بالله أشدهم تولياً له ، وأقرب الناس من الله أشدهم تقرباً إليه بعمله ، وقد وليتك عمل خالد (١) فإياك وعبية الجاهلية ، فإن الله يبغضها ويبغض أهلها .

وإذا قدمت على جندك فأحسن صحبتهم ، وإبداهم بالخير وعدهم إياه ، وإذا وعظتهم فأوجز ، فإن كثير الكلام ينسى بعضه بعضاً ، وأصلح نفسك يصلح لك الناس ، وصل الصلوات لأوقاتها بإتمام ركوعها وسجودها والخشوع فيها ، وإذا قدم عليك رسل عدوك فأكرمهم ، وإقلل لبثهم حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون به ، ولا تريثهم فيروا خللك ، ويعلموا علمك ، وإنزلهم فى ثروة عسكرك ، وإمنع من قبلك من محادثتهم وكن أنت المتولى لكلامهم .

ولا تجعل سرك لعلانيتك فيخلط أمرك ، وإذا إستشرت فأصدق الحديث تصدق المشورة ، ولا تخزن عن المشير خبرك ، فتؤتى من قبل نفسك

وإسمر بالليل فى أصحابك ، تأتك الأخبار وتنكشف عندك الأستار بغير علم منهم بك ، فمن وجدته غفل عن محرسه فأحسن أدبه وعاقبه فى غير إفراط ، وأعقب بينهم بالليل ،

---

١) يقصد خالد بن سعيد بن العاص

واجعل النوبة الأولى أطول من الآخيرة فإنها أيسرهما لقربها من النهار ، ولا تخف من عقوبة المستحق ، ولا تلجن ، ولا تسرع إليها ، ولا تتخذ لها مدقعاً ، ولا تغفل عن أهل عسكرك فتفسده ، ولا تجسس عليهم فتفضحهم ، ولا تكشف الناس عن أسرارهم ، وإكتف بعلانيتهم ، ولا تجالس العابثين ، وجالس أهل الصدق والوفاء وأصدق اللقاء ، ولا تجبن فيجبن الناس ، وإجتنب الغلول فإنه يقرب الفقر ويدفع النصر ، وستجدون أقواماً حبسوا أنفسهم فى الصوامع فدعهم وما حبسوا أنفسهم له .﴾

* * *

الفصل السادس :

وصيته رضى الله عنه لأبى عبيدة بن الجراح [1]

قال أبو بكر الصديق يوصي أبا عبيدة بن الجراح ، لما وجهه إلى حمص بسوريا :

﴿ اسمع سماع من يريد أن يفهم ما قيل له ، ثم يعمل بما أمر به ، إنك تخرج في أشراف الناس ، وبيوتات العرب ، وصلحاء المسلمين ، وفرسان الجاهلية ، كانوا يقاتلون إذ ذاك عن الحمية ، وهم اليوم يقاتلون على الحسبة والنية الحسنة . أحسن صحبة من صحبك ، وليكن الناس عندك في الحق سواء ، وإستعن بالله ، وكفى بالله معيناً ، وتوكل على الله ، وكفى بالله وكيلاً ، أخرج من غد إن شاء الله .﴾

* * *

---

١) هو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال الفهري القرشي الأمير القائد فاتح الشام ، صحابى وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، ولد بمكة ، ولاه عمر بن الخطاب قيادة جيش الشام بعد عزل خالد بن الوليد ففتحها ، ووصل إلى الفرات شرقاً وأسيا الصغرى شمالاً ، توفى بطاعون عمواس ودفن فى غوربيسان (الإعلام لخير الدين الزركلي)

وقال يوصيه :

﴿ يا أبا عبيدة ، أعمل صالحاً ، وعش مجاهداً ، وتوف شهيداً ، يعطيك الله كتابك بيمينك ، ولتقر عينك في دنياك وآخرتك ، فوالله ، إني لآرجو أن تكون من التوابين الأوابين المخبتين الزاهدين في الدنيا ، الراغبين في الآخرة ، إن الله قد صنع بك خيراً وساقه إليك ، إذ جعلك تسير في جيش من المسلمين إلى عدوه من المشركين ، فقاتل من كفر بالله واشرك به ، وعبد معه غيره . ﴾

* * *

الفصل السابع :

وصيته رضى الله عنه لخالد بن الوليد (1)

قال أبو بكر الصديق يوصى خالد بن الوليد عندما أنفذه لقتال أهل الرده :

﴿ يا خالد ، عليك بتقوى الله والرفق بمن معك من رعيتك ، فإن معك أصحاب رسول الله ، أهل السابقة من المهاجرين والأنصار ، فشاورهم فيما نزل بك ثم لا تخالفهم ، وقدم أمامك الطلائع ترتد إليك المنازل ، وسر فى أصحابك على تعبية جيدة ، فإذا لقيت أسداً وغطفان ، فبعضهم لك وبعضهم عليك ، وبعضهم لا عليك ولا لك ، متربص دائرة السوء ، ينظر لمن تكون الدائرة ، فيميل مع من تكون الغلبة ، ولكن الخوف عندي من أهل اليمامة ، فاستعن بالله على قتالهم ، فإنه بلغنى أنهم رجعوا بأسرهم ، فإن كفاك الله الضاحية ، فامض إلى أهل اليمامة . سر على بركة الله . ﴾

* * *

---

1) هو خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي ، من أشراف قريش فى الجاهلية ، أسلم قبيل فتح مكة ، وجهه أبو بكر الصديق لقتال مسيلمة الكذاب ومن إرتد معه من الأعراب عن الإسلام ، ثم سيره إلى العراق ففتح الحيرة وكان خطيباً فصيحاً وشجاعاً مقداماً .

(الأعلام لخير الدين الزركلي)

وقال يوصيه فى هذه المناسبة أيضاً :

﴿ سر على بركة الله ، فإذا دخلت أرض العدو فكن بعيداً من الحملة ، فإنى لآمن عليك الجولة ، واستظهر بالزاد وسر بالأدلاء ، ولا تقاتل بمجروح فإن بعضه ليس منه ، وإحترس من البيات ، فإن فى العرب غرة ، وأقل من الكلام ، فإنما لك مادعي عنك ، وإقبل من الناس علانيتهم وكلهم إلى الله فى سرائرهم ، وإستودعك الله الذى لا تضيع ودائعه . ﴾

* * *

وصية أخرى لخالد بن الوليد :

بعث المثنى بن حارثة الشيباني قائد جيش المسلمين ، الذى يقاتل فى العراق أخاه مسعود بن حارثة ، إلى أبى بكر يستمده ، فكتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد وهو باليمامه :

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى خالد بن الوليد ومن معه من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان ، سلام عليكم ، فإني أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو .

أمـــا بعـــد :

﴿ فالحمد لله ، الذي أنجز وعده ، ونصر دينه ، وأعز وليه ، وأذل عدوه ، وغلب الأحزاب فردا قال الله تعالى **﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً ، يعبدونني لايشركون بي شيئاً . ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون**[1] ﴾ وعدا لا خلف له ، ومقالا لا ريب فيه ، وفرض على المؤمنين الجهاد .

***

---

١) سورة النور الآية ٥٥

فقال عز من قائل :

﴿ **كتب عليكم القتال وهو كره لكم ، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون**(١) ﴾. فاستتموا موعد الله إياكم ، وأطيعوه فيما فرض عليكم ، وإن عظمت فيه المئونة واشتدت فيه الرزية ، وبعدت فيه الشقة ، وفجعتم في ذلك بالأموال والأنفس ، فإن ذلك يسير في عظيم ثواب الله ، ولقد ذكر لنا الصادق المصدوق ﴿ﷺ﴾ أن الله يبعث الشهداء يوم القيامة شاهرين سيوفهم لا يتمنون على الله شيئاً إلا آتاهموه ، حتى أعطوا أمانيهم ، وما لم يخطر على قلوبهم ، فما شيء يتمناه الشهيد بعد دخوله الجنة إلا أن يردهم الله إلى الدنيا فيقرضون بالمقاريض في الله لعظيم ثواب الله .

انفروا رحمكم الله في سبيل الله خفافاً وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ، فقد أمرت خالد بن الوليد بالمسير إلى العراق لا يبرحه حتى يأتيه أمري ، فسيروا معه ، ولا تثاقلوا عنه فإنه سبيل يعظم الله فيه الأجر لمن حسنت فيه نيته ، وعظمت في الخير رغبته ، فإذا قدمتم العراق فكونوا بها حتى يأتيكم أمري ، كفانا الله وإياكم هم أمور الدنيا والآخرة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .﴾

***

---

١) سورة البقرة الآية ٢١٦

الفصل الثامن :

وصيته رضى الله عنه لخالد بن سعيد بن العاص [1]

قال يوصيه عند خروجه من المدينة غازياً :

﴿ إنك قد أوصيتني برشدي وقد وعيته ، وأنا موصيك فاستمع وصيتي وعها ، إنك إمرؤ قد جعل الله لك سابقة فى الإسلام ، وفضيلة عظيمة ، والناس ناظرون إليك ، ومستمعون منك ، وقد خرجت فى هذا الوجه العظيم الأجر ، وأنا أرجو أن يكون خروجك فيه لحسبة ونية صادقة إن شاء الله ، فثبت العالم ، وعلم الجاهل ، وعاتب السفيه والمترف ، وإنصح لعامة المسلمين ، وإخصص الوالي على الجند من نصيحتك ومشورتك ما يحق لله وللمسلمين عليك ، وإعمل لله كأنك تراه وإعدد نفسك فى الموتى ، وإعلم إن عما قليل ميتون ، ثم مساءلون ومحاسبون ، جعلنا الله وإياك لأنعمه من الشاكرين ، ولنقمه من الخائفين ، ثم أخذ يده فودعه . ﴾

* * *

١) هو خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، صحابى ، قديم الإسلام ، هاجر إلى الحبشة بعد أن ضربه أبوه وحبسه وضيق عليه وقطع عنه الأكل والماء ، غزا مع النبي (ﷺ) وشهد فتح مكة ووقعة تبوك ، بعثه النبى (ﷺ) عاملاً على اليمن ثم عزله أبو بكر شهد فتح أجنادين ، ثم شهد وقعة مرج الصفر قرب دمشق فقتل فيها .

(الأعلام لخير الدين الزركلي)

الفصل التاسع :

وصيته رضى الله عنه لأبي عبيدة قيس بن مكشوح (١)

قال يوصيه لما وجهه لغزو الشام :

﴿ إنه قد صحبك رجل عظيم الشرف ، فارس من فرسان العرب ، لا أظن له عظيم حسبه ، ولا كثير نية فى الجهاد ، وليس للمسلمين غنى عن مشورته ، ورأيه وبأسه فى الحرب ، فإدنه ، وألطفه ، وأره إناك غير مستغن ولا مستهين بأمره ، فإنك تستخرج منه لذلك نصيحته لك ، وجهده ووجهه على عدوك . ﴾

* * *

وقال يوصيه فى ذات المناسبة :

﴿ إنى بعثتك مع أبى عبيدة الأمين ، الذى إذا ظلم كظم ، وإذا أسر إليه غفر ، وإذا قطع وصل ، رحيم بالمؤمنين ، شديد على الكافرين ، فلا تعصين له أمراً ،

١) هو قيس بن هبيرة الملقب بمكشوح ، إبن هلال البجلي ، صحابي ، كان سيداً فى الجاهلية وفارساً ، له مواقف فى الفتوحات شهد معارك صفين مع على فقتل فيها ، وهو إبن أخت عمرو بن معد يكرب (الإعلام لخير الدين الزركلي)

ولا تخالفن له رأياً ، فإنه لن يأمرك إلا بخير ، وقد أمرته أن يسمع منك ، ولا تأمره إلا بتقوى الله ، فقد كنا نسمع أنك شريف ، بئيس ، مجرب ، وذلك فى زمان الشرك ، والجاهلية الجهلاء ، فاجعل بأسك وشدتك ونجدتك اليوم فى الإسلام على من كفر بالله ، وعبد غيره ، فقد جعل الله فيه الأجر العظيم ، والعز للمسلمين .﴾

* * *

الفصل العاشر :

وصيته رضى الله عنه لهاشم بن عتبه [1]

قال يوصيه عندما أرسله إلى الشام لإمداد أبى عبيدة بن الجراح :

﴿ ياهاشم ، إنا إنما كنا ننتفع من الشيخ الكبير برأيه ومشورته ، وحسن تدبيره ، وكنا ننتفع من الشاب بصبره وبأسه ونجدته ، وإن الله عز وجل قد جمع لك تلك الخصال كلها ، وأنت حديث السن مستقبل الخير ، فإذا لقيت عدوك فإصبر وصابر ، وأعلم أنك لا تخطو خطوة ، ولا تنفق نفقة ، ولا يصيبك ظلماً ولا نصباً ولا مخمصة فى سبيل الله إلا كتب الله لك به عملاً صالحاً ، إن الله لا يضيع أجر المحسنين . ﴾

* * *

١) هو هاشم بن عتبه بن أبى وقاص ، صحابي ، خطيب ، يلقب بالمرقال ، وهو بن إخ سعد بن أبى وقاص ، أسلم يوم فتح مكة ، شهد القادسية مع عمه سعد وأصيبت عينه يوم اليرموك فلقب بالأعور ، فتح جلولاء ، كان مع على بن أبى طالب فى حروبه ، وتولى القيادة فى صفين وقتل فى تلك الحرب (الأعلام لخير الدين الزركلي)

الفصل الحادى عشر :

وصيته رضى الله عنه لعثمان بن عفان [1]

ولما حضرت الوفاة أبا بكر الصديق ، دعا عثمان بن عفان رضى الله عنهما وقال له اكتب عهدى ، فكتب عثمان ، وأملى عليه :

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ماعهد به أبو بكر بن أبى قحافة خليفة محمد رسول الله ﴿ﷺ﴾ عند آخر عهده بالدنيا نازحاً عنها ، وأول عهده بالآخرة داخلاً فيها ، فى الحال التى يؤمن فيها الكافر ، ويتقي فيها الفاجر ، ويصدق الكاذب : إنى استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ، فإن بر وعدل ، فذلك علمي به ، ورأيي فيه ، وإن جار وبدل ، فلا علم لى بالغيب ، والخير أردت ، ولكل آمرىء ما آكتسب ﴿ **وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون** .[2] ﴾.

* * *

1) سترد ترجمته فيما بعد

2) سورة الشعراء الآية ٢٢٧

الفصل الثاني عشر :

وصيته لعمر بن الخطاب رضى الله عنهما عند موته [1]

أوصى رضى الله عنه عمر بن الخطاب عند موته فقال :

﴿ إنى مستخلفك من بعدي ، وموصيك بتقوى الله ، إن لله عملاً بالليل لا يقبله بالنهار وعملاً بالنهار لا يقبله بالليل ، وإنه لا تقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة ، فإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة ، باتباعهم الحق فى الدنيا وثقله عليهم ، وحق لميزان لا يوضع فيه ، إلا الحق أن يكون ثقيلا ، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة ، باتباعهم الباطل وخفته عليهم ، وحق لميزان لا يوضع فيه ، إلا الباطل أن يكون خفيفاً ، إن الله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم ، وتجاوز عن سيئاتهم ، فإذا ذكرتهم قلت ، إنى أخاف ألا أكون من هؤلاء ، وذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم ولم يذكر حسناتهم ، فإذا ذكرتهم قلت ، إنى لأرجو ألا أكون من هؤلاء وذكر آية الرحمة مع آية العذاب ، ليكون العبد راغباً وراهباً ، ولا يتمنى على الله غير الحق ، ولا يلقى بيده إلى التهلكة ، فإذا حفظت وصيتى فلا يكن غائب أحب إليك من الموت وهو آتيك ، وإن ضيعت وصيتى فلا يكن غائب أبغض إليك من الموت ولست بمعجز الله .

---

١) ستر د ترجمته فيما بعد

فقال عمر : لا حاجة لى فيها (يعنى الخلافة) فقال له :

ولكن لها بك حاجة ياابن الخطاب ، إني إنما أستخلفك نظراً لما خلفت ورائي . قد رأيت رسول الله ﴿ﷺ﴾ وصحبته ، ورأيت أثرته أنفسنا على نفسه ، حتى إن كنا لنهدي لأهله فضل ما يأتينا منه ، ورأيتني وصحبتني ، وإنما اتبعت أثر من كان قبلي ، والله ما نمت فحلمت ، ولا توهمت فسهوت ، وإني لعلى السبيل مازغت . إن أول ما أحذرك ياعمر نفسك ، إن لكل نفس شهوة فإذا أعطيتها تمادت في غيها ، واحذر هؤلاء النفر من أصحاب رسول الله ﴿ﷺ﴾ ، فإنهم قد طمحت أبصارهم ، وانتفخت أجوافهم ، وأحب كل امريء منهم نفسه ، وإن لهم لحيرة عند زلة واحد منهم ، فإياك أن تكونه ، فإنهم لن يزالوا خائفين لك فرقين منك مازلت خائفا لله وفرقته ، ولك مستقيمين مااستقامت طريقتك .

وهذه وصيتى وأقرأ السلام عليك .﴾

* * *

الباب الرابع

وصايا الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

الباب الرابع

وصايا الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه (١)

إستخلفه الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضى الله عنه على المسلمين قبل وفاته بعدما أوصى بذلك (٢) . وكان أول منطق نطق به حين إستخلف : ﴿ إنما مثل العرب مثل جمل أنف إتبع قائده فلينظر قائده حيث يقوده ، وأما أنا فورب الكعبة لأحملنهم على الطريق.﴾

* * *

١) هو عمر بن الخطاب بن نفيل القرشى العدوي ، أبو حفص ثانى الخلفاء الراشدين ، أول من لقب بأمير المؤمنين ، الصحابى الجليل ، صاحب الفتوحات ، حيث فتحت فى عهده الشام والعراق والقدس والمدائن ومصر والجزيرة العربية ، الإمام العادل ، كان فى الجاهلية من أبطال قريش واشرافهم ، أسلم قبل الهجرة بخمس سنوات ، شهد الوقائع ، بويع بالخلافة يوم وفاة أبى بكر الصديق بعهد منه .

أول من وضع للعرب التاريخ الهجرى ، أول من دون الدواوين فى الإسلام ، كان إذا نزل به الأمر المعضل ، دعا الشبان فاستشارهم يبتغى حدة عقولهم ، لقبه النبى (ﷺ) بالفاروق وكناه بأبى حفص ، قتله أبو لؤلؤة فيروز المجوسي الفارسي (غلام المغيرة بن شعبة) غيلة بخنجر فى خاصرته وهو فى صلاة الصبح ، وعاش بعد الطعنه ثلاث ليال ، إمتدت خلافته عشرة سنوات وستة أشهر (الإعلام لخير الدين الزركلي)

٢) راجع صفحة ١٣٢ ، ١٣٣

وهو القائل يا أيها الناس : -

﴿ إنى وليت عليكم ولولا رجاء أن أكون خيركم لكم ، وأقواكم عليكم ، وأشدكم إستضلاعاً بما ينوب من مهم أموركم ، ما توليت ذلك منكم ، ولكفى عمر مهماً محزناً إنتظار موافقة الحساب بأخذ حقوقكم كيف أخذها ووضعها اين اضعها ، وبالسير فيكم كيف أسير ، فربي المستعان ، فإن عمر أصبح لا يثق بقوة ولا حيلة إن لم يتداركه الله عز وجل برحمته وعونه وتأييده .﴾

وقال أيضاً ﴿ ما لايرحم لا يرحم ، ومن لا يغفر لا يغفر له ، ومن لا يتوب لا يتب عليه ، ومن لا يتق لا يوقه . ﴾

تولى عمر الخلافة ، والدولة الإسلامية تموج بالأحداث والمصاعب والمشاكل من كل حدب وصوب ، فكانت خير ولايه فى تلك الحقبة من الزمن ، فكان القائد الفذ والسياسى المحنك والفقيه العالم والحاكم العادل والقاضى المنصف ، وقد تحقق فى هذه الولاية أشبه بالمعجزات ولعمر رضى الله عنه من الوصايا العامة والخاصة الكثير الكثير وقد إخترنا منها : -

الفصل الأول :

وصاياه رضى الله عنه لعامة الناس

الوصية الأولى :

قال رضى الله عنه :

﴿ إن الله عز وجل قد ولانى أمركم ، وقد علمت أنفع ما بحضرتكم لكم ، وإنى أسأل الله أن يعيننى عليه وأن يحرسنى عنده كما حرسنى عند غيره ، وأن يلهمنى العدل فى قسمكم كالذى أمرني به ، وإني امرو مسلم وعبد ضعيف ، إلا ما أعان الله عز وجل ، ولن يغير الذى وليت من خلافتكم من خلقي شيئاً إن شاء الله ، وإنما العظمة لله عز وجل ، وليس للعباد منها شيء ، فلا يقولن أحد منكم إن عمر تغير منذ ولى ، وأعقل الحق من نفسى ، وأتقدم وأبين لكم أمرى ، فإيما رجل كانت له حاجة ، أو ظلم مظلمة ، أوعتب علينا فى خلق فليؤذنى ، فإنما أنا رجل منكم فعليكم بتقوى الله فى سركم وعلانيتكم وحرماتكم وأعراضكم ، وأعطوا الحق من أنفسكم ، ولا يحمل بعضكم بعضاً على أن تحا كموا إلي ، فإنه ليس بينى وبين أحد من الناس هوادة ، وأنا حبيب إلى صلاحكم ، عزيز علي عنتكم ، وأنتم

أناس عامتكم حضر فى بلاد الله ، وأهل بلد لازرع فيه ولا ضـرع ، إلا ماجاء الله به إليه .

وإنا الله عز وجل قد وعدكم كرامـة كثيرة ، وأنـا مسئول عن أمـانتى وما أنا فيه ، ومطلع على ما بحضرتى بنفسـى إن شـاء اللـه ، لا أكلـه إلى أحد ولا أستطيع ما بعد منه إلا بالأمناء وأهل النصح منكم للعامة ، ولست أجعل أمانتى إلى أحد سواهم إن شاء الله . ﴾

* * *

الوصية الثانية : -

قـــال :

﴿ أيها الناس ، إن بعض الطمع فقر ، وإن بعض اليأس غنى ، وإنكم تجمعون مالا تأكلون ، وتأملون مالا تدركون ، وأنتم مأجلون فى دار غرور ، كنتم على عهد رسول الله (ﷺ) تؤخذون بالوحي ، فمن أسر شيئاً أخذ بسريرته ، ومن أعلن شيئاً أخذ بعلانيته ، فأظهروا لنا أحسن أخلاقكم والله أعلم بالسرائر ، فإنه من أظهر لنا قبيحاً وزعم أن سريرته حسنة لم نصدقه ، ومن أظهر لنا علانية حسنة ظننا به حسناً ، وأعلموا أن بعض الشح شعبة من النفاق ، فأنفقوا خيراً لأنفسكم ، ﴿ **ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** (١) . ﴾

أيها الناس ، أطيبوا مثواكم ، وأصلحوا أموركم ، واتقوا الله ربكم ، ولا تلبسوا نساءكم القباطى ، فإنه إن لم يشف فإنه يصف .

أيها الناس ، إنى لوددت أن أنجوا كفافاً لا لى ولا علي ، وإنى لأرجو إن عمرت فيكم يسيراً أو كثيراً أن أعمل بالحق فيكم إن شاء الله ، وأن لا يبقى أحد من المسلمين وإن كان فى بيته إلا أتاه حقه ونصيبه من مال الله ، وإن لم يعمل إليه نفسه ، ولم ينصب إليه بدنه ،

---

١) سورة الحشر الآية ٩.

وأصلحوا أموالكم التى رزقكم الله ، ولقليل فى رفق خير من كثير فى عنف ، والقتل حتف من الحتوف ، يصيب البر والفاجر ، والشهيد من إحتسب نفسه ، وإذا أراد أحدكم بعيراً فليعمد إلى الطويل العظيم فليضربه بعصاً ، فإن وجده حديد الفؤاد فليشتره . ﴾

* * *

الوصية الثالثة : -

قال رضى الله عنه يوصي المجاهدين : -

﴿ بسم الله وبالله ، وعلى عون الله ، إمضوا بتأييد الله ﴿ **وما النصر إلا من عند الله** (١) ﴾ ولزوم الحق والصبر ، فقاتلوا فى سبيل الله من كفر بالله ، ﴿ **ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين** (٢) ﴾، ولا تجبنوا عند اللقاء ، ولا تمثلوا عند القدرة ، ولا تسرفوا عند الظهور ، ولا تقتلوا هرماً ولا آمرأة ولا وليداً ، وتوقوا قتلهم إذا التقى الزحفان ، وعند حمة النهضات وفى شن الغارات . ﴾

* * *

١) سورة آل عمران الآية ١٢٦

٢) سورة المائده الآية ٨٧

الوصية الرابعة : -

قال رضى الله عنه يوصي : -

﴿ من عرض لنفسه للتهمة ، فلا يلومن من أساء به الظن ، ومن كتم سره كانت الخبرة بيده ، وضع أمر أخيك على أحسنه ، حتى يأتيك ما يغلبك عليه ، ولا تظنن بكلمة خرجت من آمرىء مسلم شراً وأنت تجد لها فى الخير مخرجاً .

وعليك بأخوان الصدق ، إتعب فى إكتسابهم ، فإنهم زينة فى الرخاء ، عدة فى البلاء ، ولا تهاون فى الحلف بالله فيهينك ،

وعليك بالصدق ولو قتلك ، ولا تعتز إلى من لا يغنيك ، وإعتزل عدوك ، واحذر صديقك إلا الأمين والأمين من خشي الله تعالي .

ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ، ولا تطلعه على سرك فيفضحك وتخشع عند القبور ، وأخ الأخوان على قدر التقوى ، ولا تستعن على حاجتك من لا يحب نجاحها لك ، وشاور فى أمرك الذين يخافون الله عز وجل . ﴾

* * *

الوصية الخامسة : -

قال رضى الله عنه : -

﴿ أيها الناس ، إنه أتـى علي حين ، وأنـا أحسب أن من قرأ القرأن إنما يريد به الله ومـا عنده ، ألا وإنـه قد خيل إلي أن أقواماً يقرأون القرأن يريدون به ما عند الناس ، ألا فأريدوا الله بقراءتكم ، وأريدوه بأعمالكم ، فإنما كنا نعرفكم إذ الوحى ينزل ، وإذ النبي(ﷺ) بين أظهرنا فقد رفع الوحى ، وذهب النبي (ﷺ)، فإنما أعرفكم بما أقول لكم ، ألا فمن أظهر لنا خيراً ظننا به خيراً وأثنينا به عليه ، ومن أظهر لنا شراً ظننا به شراً وأبغضناه عليه ، إقدعوا هذه النفوس عن شهواتها ، فإنها طلعه وإنكم إلا تقدعوها تنزع بكم إلى شر غايه ، إن هذا الحق ثقيل مرىء ، وإن الباطل خفيف وبيء ، وترك الخطيئة خير من معالجة التوبة ، ورب نظره زرعت شهوة وشهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً .

ألا وأنى أنما أبعث عمالي ، ليعلموكم دينكم وسنتكم ولا أبعثهم ليضربوا ظهوركم ، ويأخذوا أموالكم ، ألا من رابه شىء من ذلك فليرفعه إلي ، فوالذى نفسى بيده لأقصنكم منه .

فقام عمرو بن العاص فقال : يا أمير المؤمنين ، أرأيت إن بعثت عاملاً من عمالك فأدب رجلاً من رعيتك فضربه ، أتقصه منه ؟ قال : نعم والذى نفس عمر بيده لأقصنه منه ، فقد رأيت رسول الله ﷺ يقص من نفسه . ﴾

* * *

الوصية السادسة : -

قال رضى الله عنه :

﴿ إن الله تعالى إنما ضرب لكم الأمثال ، وصرف لكم الأقوال ، ليحيى بها القلوب ، فإن القلوب ميتة فى صدورها حتى يحييها الله ، من علم شيئاً فلينتفع به ، وإن للعدل أمارات وتباشير ، فأما الأمارات : فالحياء ، والسخاء ، والهين واللين ، وأما التباشير : فالرحمة ، وقد جعل الله لكل أمر باباً ، ويسر لكل باباً مفتاحاً . فباب العدل الإعتبار ومفتاحه الزهد ، والاعتبار ذكر الموت بتذكر الأموات ، والاستعداد له بتقديم الأعمال ، والزهد أخذ الحق من كل أحد قبله حق ، وتأدية الحق إلى كل أحد له حق ، ولا تصانع فى ذلك أحداً ، واكتف بما يكفيه من الكفاف ، فإن من لم يكفه الكفاف ، لم يغنه شيء، إنى بينكم وبين الله وليس بيني وبينه أحد ، وإن الله قد ألزمني دفع الدعاء عنه فإنهوا شكاتكم إلينا ، فمن لم يستطع ، فإلى من يبلغناها ، نأخذ له الحق غير متعتع . ﴾

* * *

الوصية السابعة : -

قال رضى الله عنه يوصي عماله : -

﴿ ارتدوا وأتزروا وانتعلوا ، وألقوا الخفاف والسراويلات والقوا الركب وانزوا نزوًا على الخيل ، واخشوشنوا وعليكم بالمعدية ، أو قال وتمعدوا وارموا الأغراض ، وعلموا فتيانكم العوم والرماية ، وذروا التنعم وزي العجم ، وإياكم والحرير ، فإن رسول الله ﷺ وآله نهى عنه وقال : لا تلبسوا من الحرير إلا ما كان هكذا وأشار بإصبعيه . ﴾

***

الوصية الثامنة : -

قال رضى الله عنه :

﴿ يأهل الإسلام ، إن الله قد صدقكم الوعد ونصركم على الأعداء ، وورثكم البلاد ، ومكن لكم فى الأرض ، فلا يكن جزاء ربكم إلا الشكر ، وإياكم والعمل بالمعاصي ، فإن العمل بالمعاصي كفر قوم للنعم ، وقلما كفر بما أنعم الله عليهم ثم لم يفزعوا إلى التوبة ، إلا سلبوا عزهم ، وسلط عليهم عدوهم . ﴾

***

الفصل الثاني :

وصيته رضى الله عنه لأبى عبيدة بن الجراح[1]

أوصى أبو عبيدة بن الجراح عندما ولاه على جند خالد بن الوليد فقال :

﴿ أوصيك بتقوى الله الذى يبقى ويفنى ما سواه ، الذى هدانا من الضلالة فأخرجنا من الظلمات إلى النور .

وقد استعملتك على جند خالد بن الوليد ، فقم بأمرهم الذى يحق عليك ، ولا تقدم المسلمين إلى هلكة رجاء غنيمة ، ولا تنزلهم منزلا قبل أن تستر يده لهم وتعلم كيف مأتاه ، ولا تبعث سرية إلا في كثف من الناس ، وإياك وإلقاء المسلمين فى الهلكة ، وقد أبلاك الله بى وأبلانى بك ، فغمض بصرك عن الدنيا ، وأله قلبك عنها ، وإياك أن تهلكك كما أهلكت من كان قبلك ، فقد رأيت مصارعهم . ﴾

* * *

١) تقدمت ترجمته فى صفحة ١٢١

الفصل الثالث :

وصيته رضى الله عنه لأبى موسى الأشعري (١)

كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أبى موسى الأشعري يوصيه فى القضاء :

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عبد الله إبن قيس : سلام عليك ، أما بعد : فإن القضاء فريضه محكمة ، وسنة متبعة ، فافهم إذا إدلى إليك ، ونفذ إذا تبين لك ، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ به ، آس بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف فى حيفك . ولا ييأس ضعيف من عدلك ، البينة على من إدعى واليمين على من أنكر ، والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحل حراماً ، أو حرم حلالاً ، ولا يمنعك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك ، وهديت فيه لرشدك ، أن ترجع إلى الحق ، فإن الحق قديم ، ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل .

١) هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب ، أبو موسى ، من بني الأشعر ، من قحطان ، صحابي ، من الشجعان الولاة الفاتحين ، وأحد الحكمين اللذين رضي بهم علي ومعاوية بعد حرب صفين ، ولد فى زبيد باليمن ، وقدم مكة عند ظهور الإسلام فأسلم ، ثم إستعمله رسول الله (ﷺ) على ربيد وعدن ، وولاه عمر بن الخطاب البصرة فافتتح أصبهان والأهواز ، ولاه عثمان الكوفة ،وأقره علي ثم عزله .(الأعلام لخير الدين الزركلي)

الفهم الفهم فيما تلجلج فى صدرك مما ليس فى كتاب الله ولا سنة النبى ﴿ﷺ﴾، ثم إعرف الأشباه والأمثال ، فقس الأمور عند ذلك بنظائرها ، واعمد إلى أقربها إلى الله ، وأشبهها بالحق ، وإجعل لمن إدعى حقاً غائباً أو بينة أمداً ينتهى إليه ، فإن أحضر بينته أخذت له بحقه ، ولا إستحللت عليه القضيه فإن ذلك أنفى للشك وأجلى للعمى ، وأبلغ فى العذر .

المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلوداً فى حد ، أو مجرباً عليه شهادة زور ، أو ظنيناً فى ولاء أو نسب ، فإن الله قد تولى منكم السرائر ، ودرأ بالبينات والإيمان ، وإياك والقلق ، والضجر ، والتأذي بالخصوم ، والتنكر عند الخصومات فإن الحق فى مواطن الحق يعظم الله به الأجر ، ويحسن به الذخر ، فمن صحت نيته ، وأقبل على نفسه ، كفاه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه ، شانه الله ، فما ظنك بثواب عند الله عز وجل فى عاجل رزقه ، وخزائن رحمته ، والسلام . ﴾

وقال يوصيه فى سياسة الدولة :

﴿ أما بعد ، فإن للناس نفرة عن سلطانهم ، فأعوذ بالله أن تدركني، وإياك عمياء مجهولة ، وضغائن محمولة ، وأهواء متبعه ، ودنيا مؤثرة ، فأقم الحدود ولو ساعة من النهار ، وإذا عرض لك أمران : أحدها لله والآخر للدنيا ، فأثر نصيبك من الآخرة على نصيبك من الدنيا : فإن الدنيا تنفد ، والآخرة تبقى ، وكن من خشية الله

عز وجل ، وإخف الفساق وإجعلهم يداً يداً ، ورجلاً رجلاً ، وإذا كانت بين القبائل نائرة ، وتداعوا ، ياآل فلان ، فإنما تلك نجوى الشيطان : فاضربهم بالسيف حتى يفيئوا إلى أمر الله ، وتكون دعوتهم إلى الله والإسلام وإستدم النعمة بالشكر ، والطاعة بالتألف ، والمقدرة والنصرة بالتواضع والمحبة للناس .

وقد بلغ أمير المؤمنين أن ضبه تدعوا يا آل ضبه ، وإنى والله ما أعلم أن ضبه ساق الله بها خيراً قط ، ولا منع بها من سوء قط ، فإذا جائك كتابى هذا فأنهكهم عقوبة حتى يفرقوا إن لم يفقهوا ، وألصق بغيلان بن خرشه (١) من بينهم ، وعد مرضى المسلمين ، وآشهد جنائزهم ، وأفتح بابك لهم ، وباشر أمرهم بنفسك ، فإنما أنت إمرؤ منهم غير أن الله جعلك أثقلهم حملاً .

وقد بلغ أمير المؤمنين أن فشت لك ولأهل بيتك هيئة فى لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها ، فإياك ياعبد الله أن تكون بمنزلة البهيمة التى مرت بواد خصب ، فلم يكن لها همة إلا السمن وإنما حتفها فى السمن واعلم أن للعامل مرداً إلى الله ، فإذا زاغ العامل زاغت رعيته ، وإن أشقى الناس من شقيت به رعيته والسلام . ﴾

***

---

١) هو غيلان بن خرشه بن ضرار الضبى من أهل البصرة

وقال يوصيه أيضاً وأبو موسى بالبصرة :

﴿ بلغنى أنك تأذن للناس الجماء الغفير ، فإذ جاءك كتابى هذا فإذن لأهل الشرف ، وأهل القرأن والتقى والدين ، فإذا أخذوا مجالسهم فإذن للعامة ، ولا تؤخر عمل اليوم لغد.

فتتداك عليك الأعمال فتضيع ، وإياك وإتباع الهوى ، فإن للناس أهواء متبعة ، ودنيا مؤثرة ، وضغائن محموله ، وحاسب نفسك فى الرخاء قبل حساب الشدة ، فإنه من حاسب نفسه فى الرخاء قبل حساب الشدة ، كان مرجعه إلى الرضا والغبطه ، ومن ألهته حياته ، وشغلته أهواؤه ، عاد أمره إلى الندامة والحسره ، إنه لا يقيم أمر الله فى الناس إلا حصيف العقدة ، بعيد القرارة ، لا يحنق على جره ، ولا يطلع الناس منه على عورة ، ولا يخاف فى الحق لومة لائم .

إلزم أربعة خصال يسلم لك دينك وتحظ بأفضل حظك : إذا حضر الخصمان فعليك بالبينات العدول ، أو الإيمان القاطعه ، ثم أذن للضعيف حتى ينبسط لسانه ويجترىء قلبه ، وتعاهد الغريب فإنه إذا طال حبسه ترك حاجته وإنصرف إلى أهله ، وإحرص على الصلح مالم يبن لك القضاء . ﴾

* * *

وقـــال لـــــــه :

﴿ إنه لم يزل للناس وجوه يرفعون حوائجهم ، فأكرم من قبلك من وجوه الناس ، وبحسب المسلم الضعيف من العدل أن ينصف فى الحق وفى القسم . ﴾

***

الفصل الرابـع :

وصيته رضى الله عنه لسعد بن أبى وقاص [1]

قال رضى الله عنه يوصي سعداً :

﴿ ياسعد سعد بنى وهيب ، لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصاحب رسول الله ، فإن الله عز وجل لا يمحو السيء بالسيء ولكنه يمحو السيء بالحسن ، فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته ، فالناس شريفهم ووضيعهم فى ذات الله سواء ، الله ربهم وهم عباده ، يتفاضلون بالعافية ، ويدركون ماعنده بالطاعة ، فانظر الأمر الذى رأيت النبى ﴿ﷺ﴾ منذ بعث إلى أن فارقنا فالزمه ، فإنه الأمر ، هذه عظتي إياك إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك ، وكنت من الخاسرين . ﴾

* * *

١) هو سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشي الزهري ، الصحابي الأمير فاتح العراق ومدائن كسرى ، وأحد السته اللذين عينهم عمر للخلافة ، وأول من رمى بسهم فى سبيل الله ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، يقال له فارس الإسلام ، أسلم وهو ابن ١٧ سنة وشهد بدراً وفتح القادسية ونزل أرض الكوفة وظل والياً عليها مدة خلافة عمر بن الخطاب وأقره عثمان زمناً ثم عزله فعاد إلى المدينة وأقام قليلاً وفقد بصره . (الأعلام لخير الدين الزركلي)

وقال يوصيه :

﴿ إنى قد وليتك حرب العراق ، فأحفظ وصيتى فإنك تقدم على أمر شديد كريه لا يخلص منه إلا الحق ، فعود نفسك ومن معك الخير واستفتح به ، أعلم أن لكل عادة عتاداً ، فعتاد الخير الصبر ، فالصبر : الصبر على ما أصابك أو نابك ، يجتمع لك خشية الله ، واعلم أن خشية الله تجتمع فى أمرين : فى طاعته ، واجتناب معصيته ، وإنما أطاعه من أطاعه ببغض الدنيا وحب الآخرة ، وعصاه من عصاه بحب الدنيا وبغض الآخرة وللقلوب حقائق ينشأها الله إنشاءً ، منها السر ، ومنها العلانية . فأما العلانية فأن يكون حامده وذامه فى الحق سواء ، وأما السر فيعرف بظهور الحكمة من قلبه على لسانه وبمحبة الناس ، فلا تزهد فى التحبب ، فإن النبيين قد سألوا محبهم ، وإن الله إذا أحب عبداً حببه ، وإذا أبغض عبداً بغضه ، فاعتبر منزلتك عند الله تعالى بمنزلتك عند الناس ممن يشرع معك فى أمرك . ﴾

* * *

وقال يوصيه ومن معه من الأجناد :

﴿ أما بعد ، فإنى آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال ، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيدة فى الحرب ، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم ، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وإنما ينصر

المسلمون بمعصية عدوهم لله ، لولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لأن عددنا ليس كعددهم ، ولا عدتنا كعدتهم ، فإن استوينا فى المعصية ، كان لهم الفضل علينا فى القوة ، إلا ننتصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا ، فأعلموا أن عليكم فى سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا منهم ولا تعملوا بمعاصى الله وأنتم فى سبيل الله ، ولا تقولوا إن عدونا شر منا ، فلن يسلط علينا ، فرب قوم سلط عليهم شر منهم كما سلط على بنى إسرائيل " لما عملوا بمساخط الله " كفار المجوس ، فجاسو خلال الديار وكان وعداً مفعولاً ، وإسألوا الله العون على أنفسكم ، كما تسألونه النصر على عدوكم ، أسأل الله تعالى ذلك لنا ولكم .

وترفق بالمسلمين فى مسيرهم ، حتى يبلغوا عدوهم " والسفر لم ينقص قوتهم " فإنهم سائرون إلى عدو مقيم ، حامى الأنفس والكراع ، وأقم بمن معك فى كل جمعة يوماً وليله ، حتى تكون لهم راحه يحيون فيها أنفسهم ، ويرمون أسلحتهم وأمتعتهم ، ونح منازلهم عن قرى أهل الصلح والذمة ، فلا يدخلها من أصحابك إلا من تثق بدينه ، ولا يرزا أحداً من أهلها شيئاً ، فإن لهم حرمة وذمه أبتليتم بالوفاء بها ، كما أبتلوا بالصبر عليها ، فما صبروا لكم فتولوهم خيراً ولا تستنصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح ، وإذا وطئت أرض العدو فأذك العيون بينك وبينهم ، ولا يخف عليك أمرهم ، وليكن عندك من العرب ، أو من أهل الآرض من تطمئن إلى نصحه وصدقه ، فإن

الكذوب لا ينفعك خبره ، وإن صدقك فى بعضه ، والغاش عين عليك ، وليس عيناً لك ، وليكن منك عند دنوك من أرض العدو أن تكثر الطلائع ، وتبث السرايا بينك وبينهم ، فتقطع السرايا أمدادهم ومرافقهم ، وتتبع الطلائع عوراتهم ، وتنق للطلائع أهل الرأى والبأس من أصحابك ، وتخير لهم سوابق الخيل ، فإن لقوا عدواً كان أول ما تلقاهم القوة من رائك ، وإجعل أمر السرايا إلى أهل الجهاد ، والصبر على الجلاد ، ولا تخص بها أحداً بهوى ، فتضيع من رائك وأمرك ، أكثر مما حابيت به أهل خاصتك ، ولا تبعثن طليعه ، ولا سريه ، فى وجه تتخوف فيه غلبة أو ضيعة ونكاية ، فإذا عاينت العدو ، فأضمم إليك أقاصيك وطلائعك وسراياك ، وإجمع إليك مكيدتك وقوتك ، ثم لا تعاجلهم المناجزة ، ما لم يستكرهك قتال ، حتى تبصر عورة عدوك ومقاتله ، وتعرف الأرض كلها كمعرفة أهلها ، فتصنع بعدوك كصنعه بك ، ثم أذك أحراسك على عسكرك ، وتيقظ من البيات جهدك ، ولا تؤتي بأسير ليس له عقد إلا ضربت عنقه ، لترهب به عدو الله وعدوك ، والله ولي أمرك ومن معك وولي النصر لكم على عدوكم والله المستعان . ﴿

* * *

وكتب إليه يوصيه أيضاً :

﴿ أما بعد ، فتعاهد قلبك ، وحادث جندك بالموعظة والنية الحسنة ، ومن غفل فاليحدثهما ، والصبر الصبر ، فإن المعونة تأتى من الله على قدر النية والآجر على قدر الحسنه ، والحذر الحذر على من أنت عليه ، وما أنت بسبيله ، وأسألوا الله العافية ، وأكثروا من قول " لا حول ولا قوة إلا بالله " واكتب إلي : أين بلغك جمعهم ؟ ومن رأسهم الذى بلي مصادمتكم ؟ فإنه قد منعنى من بعض ما أردت الكتابه به قلة علمي بما هجمتم عليه ، والذى إستقر عليه أمر عدوكم ، فصف لنا منازل المسلمين ، والبلد الذى بينكم وبين " المدائن " صفة كأنى أنظر إليها ، وإجعلنى من أمركم على الجلية وخف الله وارجه ، ولا تدل بشيء ، وإعلم أن الله قد وعدكم ، وتوكل لهذا الأمر بما لا خلف له ، فإحذر أن تصرفه عنك ويستبدل بكم غيركم . ﴾

***

وكتب إليه يوصيه :

﴿ إنى قد ألقيا فى روعى أنكم إذا لقيتم العدو هزمتموهم ، فأطرحوا الشك ، وأثروا التقيه عليه ، فإن لاعب أحد منكم أحداً من العجم بأمان ، أو قرفه بإشارة ، أو بلسان كان لا يدرى الأعجمى ما كلمه به ، وكان عندهم أماناً ، فإجروا ذلك فى مجرى الأمان ، وإياك

والضحك ، والوفاء الوفاء ، فإن الخطأ بالوفاء بقيه ، وإن الخطأ بالغدر الهلكه ، وفيها وهنكم ، وقوة عدوكم ، وذهاب ريحكم وإقبال ريحهم ، وإعلموا أنى أحذركم أن تكونوا شيناً على المسلمين وسبباً لتوهينهم . ﴾

* * *

الفصل الخامس :

وصيته رضى الله عنه لعبيد بن مسعود الثقفى (1)

قال له عمر بن الخطاب يوصيه لما وجهه لقتال الفرس :

﴿ إنك تقدم على أرض المكر والخديعة والخيانة والجبريه ، تقدم على قوم قد جرؤوا على الشر فعلموه ، وتناسوا الخير فجهلوه ، فانظر كيف تكون ، واخزن لسانك ، ولا تفشين سرك فإن صاحب السر متحصن لا يؤتى من وجه يكرهه ، وإذا ضيعه كان بمضيعه ﴾

* * *

1) هو أبو عبيد بن مسعود الثقفي ، قائد شجاع ، أمره عمر بن الخطاب على الجيش الزاحف إلى العراق لقتال الفرس ، وهو أول جيش سيره عمر قتل فى وقعة الجسر .
(الأعلام لخير الدين الزركلي)

الفصل السادس :

وصيته رضى الله عنه لعتبه بن غزوان [1]

قال عمر بن الخطاب يوصيه لما وجهه إلى البصرة :

﴿ يا عتبه ، إنى قد إستعملتك على أرض الهند ، وهى حومة من حومه العدو ، وأرجو أن يكفيك الله ما حولها ويعينك عليها ، وقد كتبت إلى العلاء بن الحضرمى [2] أن يمدك بهرثمه بن عرفجه [3] وهو ذو مجاهدة ومكايدة للعدو ، فإذا قدم عليك فأستشره وادع إلى الله ، فمن أجابك فاقبل منه ، ومن أبى فالجزية وإلا فالسيف .

* * *

١) هو عتبه بن غزوان بن جابر بن وهيب الحارثى المازنى ، بانى مدينة البصرة ، صحابى قديم الإسلام ، هاجر إلى الحبشة ، وشهد بدراً ثم القادسية مع سعد بن أبى وقاص ، وجهه عمر إلى أرض البصرة والياً عليها (الأعلام لخير الدين الزركلي)

٢) هو العلاء بن الحضرمي صحابي من رجال الفتوح فى صدر الإسلام ولاه رسول الله (ﷺ) البحرين وجعل له جبايت الصدقة ، وبعد وفاة الرسول (ﷺ) أقره أبو بكر ثم عمر ، ووجهه عمر إلى البصرة فمات فى الطريق (الأعلام لخير الدين الزركلي)

٣) هو هرثمه بن عرفجه قائد من رجال الفتوح فى صدر الإسلام من أهل البحرين ، وجهه أميرها العلاء بن الحضرمى غازياً ففتح جزيره فى البحر مما يلى فارس ، ثم كتب عمر إلى العلاء بأن يمد به عتبة بن غزوان حين غزا الأبله فشارك فى فتحها .
(الأعلام لخير الدين الزركلي)

واتق الله فيما وليت ، وإياك أن تنازعك نفسك إلى كبر مما يفسد عليك إخوتك ، وقد صحبت رسول الله ﷺ، فعززت به بعد الذله ، وقويت به بعد الضعف ، حتى سرت أميراً مسلطاً ، وملكاً مطاعاً ، تقول فيسمع منك ، وتأمر فيطاع أمرك فيالها نعمه إن لم ترفعك فوق قدرك ، وتبطرك على من دونك .

وإحتفظ من النعمة إحتفاظك من المعصية ، ولهي أخوفهما عندى عليك أن تستدرجك وتخدعك فتسقط سقطة تصير بها إلى جهنم ، اعيذك بالله ونفسى من ذالك .

إن الناس أسرعوا إلى الله حتى رفعت لهم الدنيا فأرادوها فأرد الله ولا ترد الدنيا ، واتق مصارع الظالمين . »

وكتب عمر إليه :

« أن أعزب الناس عن الظلم واتقوا واحذروا أن يدال عليكم لغدر يكون منكم أو بغي ، فإنكم إنما أدركتم بالله ما أدركتم ، على عهد عاهدكم عليه ، وقد تقدم إليكم فيما أخذ عليكم ، فأوفوا بعهد الله وقوموا على أمره يكن لكم عوناً وناصراً . »

* * *

الفصل السابع :

وصيته رضى الله عنه للأحنف بن قيس [1]

قال عمر بن الخطاب يوصيه :

﴿ يا أحنف ، من كثر ضحكه قلت هيبته ، ومن مزح إستخف به ، ومن أكثر من شيء عرف به ، ومن كثر كلامه كثر سقطه ، ومن كثر سقطه قل حياؤه ، ومن قل حياؤه قل ورعه ، ومن قل ورعه مات قلبه . ﴾

كتب له عمر عندما سار إلى خراسان :

﴿ أما بعد : فلا تجوزن النهر ، وإقتصر على ما دونه ، وقد عرفتم بأي شيء دخلتم خراسان ، فداوموا على الذى دخلتم به خراسان يدم لكم النصر ، وإياكم أن تعبروا فتنفضوا . ﴾

* * *

١) هو الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين المري السعدي المنقري التميمي ، سيد تميم ، يضرب به المثل فى الحلم ، ولد فى البصرة ، شهد الفتوح فى خراسان وولي عليها ، كان صديق لمصعب بن الزبير أمير العراق فوفد عليه بالكوفه فتوفى فيها وهو عنده .
(الأعلام لخير الدين الزركلي)

الفصل الثامن :

وصيته رضى الله عنه ليعلي بن أميه [1]

قال عمر بن الخطاب يوصيه عندما وجهه لإجلاء أهل نجران :

﴿ أئتهم ، ولا تفتنهم عن دينهم ، ثم أجلهم من أقام منهم على دينه ، وأقرر المسلم ، وأمسح أرض كل من تجلي منهم ، ثم خيرهم البلدان ، واعلمهم أنا نجليهم بأمر الله ورسوله ألا يترك بجزيرة العرب دينان ، فليخرج من أقام على دينه منهم ، ثم نعطيعهم أرضاً كأرضهم إقراراً لهم بالحق على أنفسنا ، ووفاء بذمتهم ، فيما أمر الله من ذلك بدلاً بينهم وبين جيرانهم من أهل اليمن وغيرهم فيما صار لجيرانهم بالريف . ﴾

* * *

١) هو يعلي بن امية بن أبى عبيده بن همام التميمي الحنظلى ، أول من أرخ الكتب ، صحابى من الولاه ، أسلم بعد الفتح شهد الطائف وحنيناً وتبوك مع النبى (ﷺ)، إستعمله أبو بكر على حلوان فى الرده ، ثم إستعمله عمر على نجران ، وإستعمله عثمان على اليمن ، فأقام بصنعاء ، ولما قتل عثمان إنضم إلى الزبير وعائشة ، ثم صار من أصحاب علي ، وقتل فى صفين (الأعلام لخير الدين الزركلي)

قال يعلي بن أمية لما بعثني عمر بن الخطاب على خراج أرض نجران كتب إلي :

﴿ أنظر كل أرض جلا أهلها عنها ، فما كان من أرض بيضاء تسقى سيحاً ، أوتسقيها السماء ، فما كان فيها من نخيل أو شجر ، فادفعه إليهم يقومون عليه ويسقونه ، فما أخرج الله من شيء فلعمر وللمسلمين منه الثلثان ، ولهم الثلث ، وما كان منها يسقى بغرب ، فلهم الثلثان ، ولعمر وللمسلمين الثلث .

وإدفع إليهم ما كان من أرض بيضاء يزرعونها ، فما كان منها يسقى سيحاً أو تسقيه السماء ، فلهم الثلث ، ولعمر وللمسلمين الثلثان ، وما كان من أرض بيضاء تسقى بغرب ، فلهم الثلثان ولعمر وللمسلمين الثلث . ﴾

***

الفصل التاسع :

وصيته رضى الله عنه لمعاويه بن أبي سفيان [1]

كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى معاوية كتاباً فى القضاء قال فيه : -

﴿ أما بعد ، فإنى كتبت إليك بكتاب فى القضاء لم آلك ونفسى فيه خيراً ، إلزم خمس خصال يسلم لك دينك ، وتأخذ فيه بأفضل حظك : إذا تقدم إليك الخصمان فعليك بالبينة العادلة ، أو اليمين القاطعة ، وأدن الضعيف حتى يشتد قلبه ، وينبسط لسانه ، وتعهد الغريب ، فإنك إن لم تتعهده ترك حقه ، ورجع إلى أهله ،

* * *

١) هو معاويه بن أبى سفيان صخر بن حرب بن أميه بن عبد شمس بن عبد مناف ، القرشى الأموي ، مؤسس الدولة الأموية فى الشام وأحد دهاة العرب المتميزين الكبار ، كان فصيحاً حليماً وقوراً . ولد بمكة وأسلم يوم فتحها ، ولاه أبو بكر قيادة جيش تحت إمرة أخيه يزيد بن أبى سفيان ، وولاه عمر على الأردن ثم دمشق بعد موت أميرها يزيد " أخيه بعد أن رأى فيه حزماً وعلماً ، وجاء عثمان فجمع له الديار الشامية كلها وجعل ولاة أمصارها تابعين له ، وقتل عثمان وولي على بن أبى طالب فتوجه لفوره بعزل معاويه ، وعلم معاويه بالأمر قبل وصول البريد ، فنادى بثأر عثمان وإتهم علياً بدمه ونشبت الحروب الطاحنة بينه وبين على، وإنتهى الأمر بإمامة معاويه فى الشام وإمامة على فى العراق ، ثم قتل على وبويع إبنه الحسن ، فسلم الخلافة إلى معاوية فدامت له إلى أن بلغ سن الشيخوخه فعهد بها إلى إبنه يزيد . ومات فى دمشق وهو أحد عظماء الفاتحين فى الإسلام (الأعلام لخير الدين الزركلي)

وإنما ضيع حقه من لم يرفق به ، وأس بين النـاس فـى لحظـك وطرفك ، وعليك بالصلح بين الناس مالم يستبن لك فصل القضاء . ﴾

وكتب إليه يوصيه أيضاً : -

﴿ أما بعد : فإنى قد وليتك قيسارية ، فسر إليها وإستنصر اللـه عليهم وأكثر مـن قـول : لا حـول ولا قـوة إلا باللـه ، اللـه ربنـا وثقتنـا ورجاؤنا ومولانا ، نعم المولى ، ونعم النصير . ﴾

* * *

الفصل العاشر :

وصيته ضي الله عنه لإبنه عبد الله [1]

قال عمر بن الخطاب يوصى إبنه عبد الله :

﴿ أما بعد ، فإنه من إتق الله وقاه ، ومن توكل عليه كفاه ، ومن شكر له زاده ومن أقرضه جزاه ، فإجعل التقوى جلاء بصرك ، وعماد ظهرك ، فإنه لا عمل لمن لا نية له ، ولا أجر لمن لا حسنة له ، ولا جديد لمن لا خلق له . ﴾

* * *

١) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي ، صحابي نشأ فى الإسلام ، وهاجر إلى المدينة مع أبيه ، شهد فتح مكه ، ولد فيها وتوفى فيها ، غزا إفريقيا مرتين الأولى مع عبد الله بن أبى سرح والثانية مع معاويه بن حديج ، كف بصره فى أخر حياته . (الأعلام لخير الدين الزركلي)

وقال يوصيه عند موته : -

﴿ عليك بخصال الإيمان . قال وما هن ياأبه ؟ قـال : الصوم فـى شدة أيـام الصيف ، وقتـال الأعـداء بالسـيف ، والصـبر علـى المصيبـه ، وإسباغ الوضوء فى اليوم الشاتى ، وتعجيل الصلاة فـى يوم الغيم ، وترك ردغة الخبال ، قال : وما ردغة الخبـال ؟ قـال : شـرب الخمـر . وقال : إذا قبضت فغمضنى ، وإقتصد فـى الكفـن ، ولاتخرجـن إمـرأه ، ولا تزكونى بما ليس فى ، فإن الله تعالى هو أعلم بي ، وأسرعوا بـي فى المشي ، فإنه إن كان لى عند الله خير قدمتموني إلى مـا هـو خـير لـي ، وإن كنـت علـى غير ذلـك كنتـم قد ألقيتم عن رقابكـــم شـراً تحملونه . ﴾

***

الفصل الحادي عشر :

وصيته رضى الله عنه للخليفة من بعده

أوصى عمر بن الخطاب الخليفة من بعده فقال :

﴿ أوصيك بتقوى الله لا شريك له ، وأوصيك بالمهاجرين الأولين خيراً ، أن تعرف لهم سابقتهم ، وأوصيك بالأنصار خيراً ، فاقبل من محسنهم ، وتجاوز عن مسيئهم ، وأوصيك بأهل الأمصار خيراً ، فإنهم ردء العدو ، وجباة الفىء ، لاتحمل فيئهم ، إلا عن فضل منهم ، وأوصيك بأهل البادية خيراً ، فإنهم أصل العرب ، ومادة الإسلام ، أن تأخذ من حواشي أموال أغنيائهم ، فترد على فقرائهم ، وأوصيك بأهل الذمة خيراً ، أن تقاتل من ورائهم ولا تكلفهم فوق طاقتهم ، إذا أدوا ما عليهم للمؤمنين طوعاً ، أو عن يد وهم صاغرون ، وأوصيك بتقوى الله وشدة الحذر منه ، ومخافه مقته ، أن يطلع منك على ريبة ، وأوصيك أن تخشى الله فى الناس ، وتخشى الناس فى الله ، وأوصيك بالعدل فى الرعية ، والتفرغ لحوائجهم وثغورهم ، ولا تؤثر غنيهم على فقيرهم ، فإن ذلك بإذن الله سلامة لقلبك ، وحط لوزرك ، وخير فى عاقبة أمرك ، حتى تفضى من ذلك إلى من يعرف سريرتك ، ويحول بينك وبين قلبك ، وآمرك أن تشتد فى أمر الله ، وفى حدوده ومعاصيه ، على قريب الناس

وبعيدهم ، ثم لا تأخذك فى أحد رأفة حتى تنتهك منه ، مثل ما انتهك من حرمة الله واجعل الناس عندك سواء لا تبالى على من وجب الحق ، ثم لا تأخذك فى الله لومة لائم ، وإياك والأثرة والمحاباه فيما ولاك الله ، مما أفاء الله على المؤمنين ، فتجور وتظلم ، وتحرم نفسك من ذلك ما قد وسعه الله عليك ، وقد أصبحت بمنزلة من منازل الدنيا والآخرة ، وأنت إلى الآخرة جد قريب فإن اقترفت لدنياك عدلاً وعفه عما بسط الله لك ، اقترفت به إيماناً ورضواناً ، وإن غلبك الهوى ، اقترفت به سخط الله ، وأوصيك ألا ترخص لنفسك ولا لغيرك فى ظلم أهل الذمة ، وقد أوصيتك وحضضتك ونصحتك ، فابتغ بذلك وجه الله والدار الآخرة ، واخترت من دلالتك ما كنت دالا عليه نفسى وولدى ، فإن عملت بالذى وعظتك وإنتهيت إلى الذى أمرتك أخذت به نصيباً وافراً وحظاً وافياً وإن لم تقبل ذلك ولم يهمك ، ولم تنزل معاظم الأمور عند الذى يرضى الله به عنك ، يكن ذلك بك انتقاصاً ، ورأيك فيه مدخولاً ، ولأن الأهواء مشتركة ، ورأس كل خطيئة إبليس ، وهو داع إلى كل هلكة ، وقد أضل القرون السالفة قبلك ، فأوردهم النار ، ولبئس الثمن أن يكون حظ امرىء موالاه عدو الله الداعى إلى معاصيه ، ثم اركب الحق وخض إليه الغمرات ، وكن واعظاً لنفسك ، أنشدك الله لما ترحمت على جماعة المسلمين ، فأجلك كبيرهم ورحمت صغيرهم . ووقرت عالمهم ، ولا تضربهم فيذلوا ، ولا تستأثر عليهم بالفىء فتبغضهم ، ولا تحرمهم عطاياهم عند محلها فتفقرهم ،

ولا تجمرهم فى البعوث ، فتقطع نسلهم ، ولا تجعل المال دولة بين الأغنياء منهم ، ولا تغلق بابك دونهم ، فيأكل قويهم ضعيفهم هذه وصيتى إياك ، وأشهد الله عليك ، وأقرأ عليك السلام . ﴾

* * *

الباب الخامس

وصايا الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه

الباب الخامس :

وصايا الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه(١)

عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين بعد مبايعته بناء على ما أوصى به الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه من بين الستة (٢) الذين إختارهم ليتولى أحدهم الخلافه ،

---

١) هوعثمان بن عفان بن أبى العاص بن أميه ، من قريش أمير المؤمنين ، ذو النورين ، ثالث الخلفاء الراشدين ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، من كبار الرجال الذين إعتز بهم الإسلام فى عهد ظهوره ، ولد بمكة وأسلم بعد البعثه بقليل . كان غنياً شريفاً فى الجاهلية ، ومن أعظم أعماله فى الإسلام تجهيزه نصف جيش العسرة بماله ، إفتتحت فى أيامه إرمينيه والقوقاز وخراسان وكرمان وسجستان وإفريقيا وقبرص . نقم عليه الناس إختصاصه أقاربه من بنى أمية بالولايات والأعمال ، قدمت إليه الوفود من الكوفه والبصره ومصر ، فطلبوا منه عزل أقاربه فامتنع ، فحاصروه فى داره يراودونه على أن يخلع نفسه فلم يفعل ، فحاصروه أربعين يوماً وتسور عليه بعضهم الجدار فقتلوه وهو يقرأ القرأن فى بيته بالمدينة (الأعلام لخير الدين الزركلي) .

٢) هم عبد الرحمن بن عوف وعلى بن أبى طالب وعثمان بن عفان والزبير بن العوام وطلحه بن عبيد الله بن الزبير وسعد بن أبى وقاص

كان له رضى الله عنه مكانه عالية بين الناس سواء فى الجاهلية أو الإسلام لتواضعه وكرمه وحبه لفعل الخير ولين جانبه وحيائه الشديد حتى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال عنه فى أحد المواقف ﴿ألا أستحى من رجل تستحيى منه الملائكة﴾ ، وقد شهدت الفتوحات الإسلامية فى عهده إمتداداً كبيراً حيث إنتشرت فى بلدان كثيرة ، وإنتشر معها الإسلام فى تلك البلدان .

وقد قال رضى الله عنه فى أول خطبة له ﴿ الحمد لله : أيها الناس إتقوا الله ، فإن الدنيا كما أخبر الله عنها لعب ولهو وزينه وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد ، كمثل غيث أعجب الكفار نباته ، ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً ، وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ، فخير العبادات فيها من عصم بالله وإستعصم بالله وبكتابه وقد وكلت من أمركم بعظيم ، ولا أرجو العون عليه إلا من الله ولا يوفق للخير إلا هو ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب . ﴾

قتل الثوار عثمان بن عفان بحجة أنه يؤثر أقاربه بتولي أمور الأمصار وإسرافه فى المال العام وعدم تفريقه بين المال الخاص وأموال الدولة ، وإبتدأت الفتنة بعد مقتله ، والتى لا شك أنها أحدثت شرخاً كبيراً بين المسلمين لا زالت أثاره حتى يومنا هذا .

وقد قال جلال الدين السـيوطى فـى ذلـك ﴿ قتـل عثمـان مظلومـاً ومن قتله كان ظالماً ومن خذله كان معذوراً . ﴾

وقد دامت خلافته رضى الله عنه إحدى عشر سـنه وأحـد عشـر شـهراً وإثنين وعشرين يوماً .

ومن وصايا عثمان بن عفان ما سوف نذكره فى الفصول التالية : -

* * *

الفصل الأول :

وصاياه رضى الله عنه لعامة الناس

الوصية الأولى : -

لما بايع أهل الشورى عثمان قال يوصي الناس :

﴿ أنكم فى دار قلعه ، وفى بقية أعمار ، وبادروا أجالكم بخير ما تقدرون عليه ، فقد أتويتم صبحتم أو مسيتم ، ألا وإن الدنيا طويت على الغرور ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ، ولا يغرنكم بالله الغرور ، إعتبروا بمن مضى ثم جدوا ولا تغفلوا ، فإنه لا يغفل عنكم ، أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين أثروها وعمروها ، ومتعوا بها طويلاً ، ألم تلفظهم ؟ أرموا بالدنيا حيث رمى الله بها ، وإطلبوا الآخرة فإن الله قد ضرب لها مثلاً ، والى هو خير ، فقال عز وجل : ﴿ **وإضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناها من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدراً ، المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً** (١). ﴾

* * *

١) سورة الكهف الآية ٤٥ ، ٤٦

الوصية الثانية : -

وقال أيضاً :

﴿ أما بعد فإنى قد حملت وقد قبلت ، ألا وإنى متبع ، ولست بمبتدع ، ألا وإن لكم علي بعد كتاب الله عز وجل ، وسنة نبيه ﷺ ثلاثاً : إتباع من كان قبلي فيما إجتمعتم عليه وسننتم ، وسن سنته أهل الخير فيما لم تسنوا عن ملا ، والكف عنكم إلا فيما إستوجبتم .

ألا وإن الدنيا خضره ، قد شهيت إلى الناس ومال إليها كثير منهم ، فلا تركنوا إلى الدنيا ، ولا تثقوا بها فإنها ليست بثقه ، وإعلموا أنها غير تاركة إلا من تركها . ﴾

***

الوصية الثالثة : -

وقال يوصي الناس ويحذرهم حين نقموا عليه : -

﴿ أما بعد : فإن لكل شيء آفه . وإن لكل نعمه عاهه ، وإن آفة هذه الآمة ، وعاهة هذه النعمه ، عيابون ظنانون ، يظهرون لكم ما تحبون ، ويسرون ما تكرهون ، يقولون لكم وتقولون ، طغام مثل النعام ، يتبعون أول ناعق ، أحب مواردهم إيهام النازح ، لا يشربون إلا نغصاً ، ولا يردون إلا عسكراً ، لا يقوم لهم رائد وقد أعيتهم الأمور ، وتعذرت عليهم المكاسب .

لقد أقررتم لإبن الخطاب بأكثر مما نقمتم عليه ، ولكنه وطئكم برجله ، وضربكم بيده ، ووقمكم وقمعكم وزجركم زجر النعام المخزمه ، فدنتم له على ما أحببتم أو كرهتم ، ولنت لكم وأوطأت لكم كنفي ، وكففت يدي ولساني عنكم ، فاجترأتم علي .

أما والله إني لأقرب ناصراً ، وأعز نفراً ، وأكثر عدداً ، وأقمن - إن قلت هلم - أن تجاب دعوتى من عمر .

ولقد أعددت لكم اقرانكم ، وأفضلت عليكم فضولاً ، وكشرت لكم عن نابي ، وأخرجتم مني خلقاً لم أكن أحسنه ، ومنطقاً لم أنطق به فكفوا عليكم ألسنتكم وطعنكم وعيبكم على ولاتكم ، فإني قد كففت عنكم من لو كان هو الذى يكلمكم لرضيتم منه بدون منطقي هذا .

ألا ما تفقدون من حقكم ؟ فوالله ما قصرت فى بلوغ ما كان يبلغ من كان قبلي ، ومن لم تكونوا تختلفون عليه ، فضل من مالي ، فمالي لا أصنع فى الفضل ما أريد ؟ إذاً فلم كنت إماماً ؟ . ﴾

* * *

الوصية الرابعة : -

وقال رضى الله عنه لعامة الناس : -

﴿ إن الله عز وجل إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ، ولم يعطكموها لتركنوا إليها ، إن الدنيا تفنى والآخرة تبقى ، فلا تبطرنكم الفانيه ، ولا تشغلنكم عن الباقية ، فآثروا ما يبقى على ما يفنى ، فإن الدنيا منقطعه ، وإن المصير إلى الله ، إتقوا الله عز وجل ، فإن تقواه جنه من بأسه ، ووسيله عنده ، واحذروا من الله الغير ، وإلزموا جماعتكم ، لا تصيروا أحزاباً ﴿ **واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا** [1]. ﴾

* * *

---

١) سورة آل عمران الآية ١٠٣

الوصية الخامسة : -

كتب رضى الله عنه :

﴿ أما بعد : فإنكم إنما بلغتم ما بلغتم بالإقتداء والإتباع ، فلا تالفنكم الدنيا عن أمركم ، فإن أمر هذه الأمة صائر إلى الإبتداع بعد إجتماع ثلاث فيكم : تكامل النعم ، وبلوغ أولادكم من السبايا ، وقراءة الأعراب والأعاجم القرأن ، فإن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال : " الكفر فى العجمه " فإذا إستعجم عليهم أمر تكلفوا وإبتدعوا . ﴾

* * *

الفصل الثاني :

وصيته رضى الله عنه لعماله

كتب رضى الله عنه إلى عماله يوصيهم :-

﴿ أما بعد : فإن الله أمر الأئمه أن يكونوا رعاة ، ولم يتقدم إليهم أن يكونوا جباةً ، وإن صدر هذه الأمة خلقوا رعاة ولم يخلقوا جباة ، ولتوشكن أمتكم أن يصيروا جباة ، ولا يكونوا رعاة ، فإذا عادوا كذلك انقطع الحياء والأمانة والوفاء . ألا وإن أعدل السيرة أن تنظروا فى أمور المسلمين ، وفيما عليهم فتعطلوهم ما لهم ، وتأخذوهم بما عليهم ، ثم تثنوا بالذمة فتعطوهم الذى لهم ، وتأخذوهم بالذى عليهم ، ثم العدو الذى تنتابون فاستفتحوا عليهم بالوفاء . ﴾

***

وكتب إليهم أيضاً : -

﴿ أما بعد : استعينوا على الناس وكل ماينوبكم بالصبر والصلاه وأمر الله أقيموه ، ولا تدهنوا فيه ، وإياكم والعجلة فيما سوى ذلك ، وارضوا من الشر بأيسره فإن قليل الشر كثير واعلموا أن الذى ألف بين القلوب هو الذى يفرقها ،

ويباعد بعضها من بعض ، سيروا سيرة قوم يريدون الله لئلا تكون لهم على الله حجة . ﴾

* * *

وكتب إليهم : -

﴿ إن الله ألف بين قلوب المسلمين على طاعته ، وقال سبحانه : ﴿ **لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم** (١) ﴾ وهو مفرقها على معصيته ، ولا تجعلوا على أحد بحد قبل استيجابه ، فإن الله تعالى قال : ﴿ **لست عليهم بمصيطر إلا من تولى وكفر**(٢) ﴾ من كفر داويناه بدوائه ، ومن تولى عن الجماعة أنصفناه وأعطيناه حتى نقطع حجته وعذره ، إن شاء الله . ﴾

* * *

وكتب إليهم : -

﴿ أما بعد : فقوموا على ما فارقتم عليه عمر ولا تبدلوا ، ومهما أشكل عليكم فردوه إلينا نجمع عليه الأمة ثم نرده عليكم ، وإياكم وأن تغيروا فإنى لست قابلا منكم إلا ما كان عمر يقبل . ﴾

* * *

---

١) سورة الأنفال الآية ٦٣

٢) سورة الغاشية الآية ٢٣

الفصل الثالث : -

كتابه رضى الله عنه إلى أهل الموسم

كتب رضى الله عنه لأهل الموسم بالحج بعد حصاره يسألهم أن يأخذوا له بالحق : -

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عثمان أمير المؤمنين إلى المؤمنين والمسلمين :

سلام عليكم ، فإنى أحمد الله إليكم الذى لا إله إلا هو ، أما بعد : فإنى أذكركم بالله جل وعز الذى أنعم عليكم ، وعلمكم الإسلام ، وهداكم من الضلاله ، وأنقذكم من الكفر ، وأراكم البينات ، وأوسع عليكم من الرزق ، ونصركم على العدو ، وأسبغ عليكم نعمته ، فإن الله عز وجل يقول وقوله الحق : ﴿ **وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار**(1) ﴾ وقال عز وجل : ﴿ **يأيها الذين أمنوا إتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، وإعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وأذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنت على شفا حفرة**

1) سورة إبراهيم الآية ٣٤

من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ، ولا تكونوا كالذين تفرقوا وإختلفوا من بعد ماجاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم . (١) ﴾

وقال وقوله الحق : ﴿ إذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا . (٢) ﴾ وقال وقوله الحق : ﴿ يأيها الذين أمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهاله فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ، وأعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه فى قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون ، فضلاً من الله ونعمه والله عليم حكيم. (٣) ﴾ وقال عز وجل : ﴿ إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم فى ألاخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم. (٤) ﴾

---

١) سورة آل عمران الآيات ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ , ١٠٥

٢) سورة المائدة الآية ٧

٣) سورة الحجرات الآيات ٦ ، ٧ ، ٨

٤) سورة آل عمران الآية ٧٧

وقال وقوله الحق : ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وانفقوا خيراً لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون . (١) ﴾

وقال وقوله الحق : ﴿ ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون . ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم أن تكون أمة هى أربى من أمة إنما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون ، ولوشاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضلُ من يشاءُ ويهدْى من يشاءُ ولتسألن عما كنتم تعملون ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم . ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون . ما عندكم ينفذ وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون (٢)

---

١) سورة التغابن الآية ١٦

٢) سورة النحل الآيات ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦

وقال وقوله الحق : ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا. (١) ﴾

وقال وقوله الحق : ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون . (٢) ﴾ وقال وقوله الحق : ﴿ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً . (٣) ﴾

﴿ أما بعد : فإن الله جل وعز رضى لكم السمع والطاعة والجماعة وحذركم والفرقة والاختلاف ، ونبأكم ما قد فعله بالذين من قبلكم ، وتقدم إليكم فيه ، ليكون له الحجة عليكم إن عصيتموه ، فأقبلوا نصيحة الله جل وعز واحذروا عذابه ، فإنكم لن تجدوا أمة هلكت إلا من بعد أن تختلف ، إلا أن يكون لها رأس يجمعها ، ومتى ما تفعلون ذلك لا تقيموا الصلاة جميعاً ،

---

١) سورة النساء الآية ٥٩

٢) سورة النور الآية ٥٥

٣) سورة الفتح الآية ١٠

وساط عليكم عدوكم ويستحل بعضكم حرم بعض ، ومتى يفعل ذلك لا يقيم الله سبحانه دين ، وتكونوا شيعاً ، وقد قال الله جل وعز لرسوله ﷺ : ﴿ **إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون** (١). ﴾ وإني أوصيكم بما أوصاكم الله ، وأحذركم عذابه ، **فإن شعيباً صلى الله عليه وسلم قال لقومه : ﴿ ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد ، واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود** (٢). ﴾

﴿ أما بعد : فإن أقواما ممن كان يقول في هذا الحديث أظهروا للناس ، أنما يدعون إلى كتاب الله عز وجل والحق ، ولا يريدون الدنيا ولا منازعة فيها ، فلما عرض عليهم الحق ، إذا الناس في ذلك شتى منهم آخذ للحق ونازع عنه حين يعطاه ،

---

١) سورة الأنعام الآية ١٥٩

٢) سورة هود الآيات ٨٩ ، ٩٠

ومنهم تارك للحق ونازل عنه فى الأمر ، يريد أن يبتزه بغير الحق ، طال عليهم عمرى وراث عليهم أملهم الإمرة فاستعجلوا القدر ، وقد كتبوا إليكم أنهم قد رجعوا بالذى أعطيتهم ، ولا أعلم أنى تركت من الذى عاهدتهم عليه شيئاً ، كانوا زعموا أنهم يطلبون الحدود فقلت : أقيموها على من علمتم تعداها فى أحد ، أقيموها على من ظلمكم من قريب أو بعيد ، قالوا : كتاب الله يتلى ، فقلت : فليتله من تلاه غير غال فيه بغير ما أنزل الله فى الكتاب ، وقالوا : المحروم يرزق ، والمال يوفى ليستن فيه السنه الحسنه ، ولا يعتدى فى الخمس ولا فى الصدقة ، ويؤمر ذو القوة والأمانة وترد مظالم الناس إلى أهلها ، فرضيت بذلك وأصطبرت له ،

وجئت نسوة النبى ﷺ حتى كلمتهن فقلت : ماتأمرننى ؟ فقلن : تؤمر عمرو بن العاص وعبد الله بن قيس، وتدع معاويه ، فإنما أمره أمير قبلك ، فإنه مصلح لأرضه ، راض به جنده ، واردد عمرا فإن جنده راضون به وأمره فليصلح أرضه ، فكل ذلك فعلت وإنه اعتدى على بعد ذلك ، وعدى على الحق ، كتبت إليكم وأصحابى الذى زعموا فى الأمر استعجلوا القدر ، ومنعوا منى الصلاة وحالوا بينى وبين المسجد ، وابتزوا عليه بالمدينة ، كتبت إليكم كتابى هذا وهم يخيروننى إحدى ثلاث : إما يقيدوننى بكل رجل أصيبة خطأ أو صواباً غير متروك منه شيء ، وإما أعتزل الأمر فيؤمرون آخر غيري ، وإما يرسلون إلى من أطاعهم من الأجناد ، وأهل المدينة فيتبرعون من الذى جعل

الله سبحانه لى عليهم من السمع والطاعة ، فقلت لهم : أما إقادتى من نفسى فقد كان من قبلى خلفاء تخطىء وتصيب ، فلم يستقدم من أحد منهم وقد علمت أنما يريدون نفسى وأما أن أتبرأ من الإمارة ، فإن يكلبونى أحب إلى من أن أتبرأ من عمل الله عز وجل وخلافته وأما قولهم : يرسلون إلى الأجناد وأهل المدينة فيتبرءون من طاعتى ، فلست عليهم بوكيل ، ولم أكن استكرهتم من قبل على السمع والطاعة ، ولكن أتوها طائعين يبتغون مرضاة الله عز وجل وإصلاح ذات البين ، ومن يكن منكم إنما يبتغى الدنيا فليس بنائل منها إلا ما كتب الله عز وجل له ، ومن يكن إنما يريد وجه الله والدار الآخرة وصلاح الأمة وإبتغاء مرضاة الله عز وجل ، والسنة الحسنة التى استن بها رسول الله ﷺ والخليفتان من بعده رضى الله عنهما ، فإنما يجزي بذلكم الله ، وليس بيدى جزاؤكم ، ولو أعطيتكم الدنيا كلها ، ولم يكن فى ذلك ثمن لدينكم ، لم يغن عنكم شيئاً ، فاتقوا الله واحتسبوا ما عنده ، فمن يرض بالنكث منكم فإنى لا أرضاه له ، ولا يرضى الله سبحانه أن تنكثوا عهده ، وأما الذى يخيروننى فإنما كله النزع والتأمير ، فملكت نفسي ومن معي ، وظرت حكم الله وتغيير النعمة من الله سبحانه ، وكرهت سنة السوء وشقاق الأمة وسفك الدماء .

فإنى أنشدكم بالله والإسلام أن لا تأخذوا إلا الحق وتعطوه منى وترك البغي على أهله ، وخذوا بيننا بالعدل كما أمركم الله عز وجل ،

فإنى أنشدكم الله سبحانه الذى جعل عليكم والموازرة فى أمر الله ، فإن الله سبحانه قال وقوله الحق : ﴿ **وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً** (١) ﴾ فإن هذه معذرة إلى الله ولعلكم تذكرون .

﴿ أما بعد : فإنى لا أبرىء نفسى إن النفس لأمارة بالسوء إلا مارحم ربى إن ربى غفور رحيم ، وإن عاقبت أقواما فما أبتغي بذلك إلا الخير ، وإنى أتوب إلى الله عز وجل من كل عمل عملته وأستغفره ، إنه لا يغفر الذنوب إلا هو ، إن رحمة ربى وسعت كل شيء ، إنه لا يقنط من رحمة الله إلا القوم الضالون ، وإنه يقبل التوبة عن عباده ويعفوعن السيئات ويعلم ما يفعلون . وأنا أسأل الله عز وجل أن يغفر لى ولكم ، وان يؤلف قلوب هذه الأمة على الخير ، ويكره إليها الفسق ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته أيها المؤمنون والمسلمون . ﴾

* * *

١) سورة الأسراء الآية ٣٤

الباب السادس

وصايا الخليفة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

الباب السادس

وصايا الخليفة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه(١)

على بن أبي طالب كرم الله وجهه ، رابع الخلفاء الراشدين ، بويع بالخلافة بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه فى ظروف بالغة الصعوبه ، حيث أطلت الفتنة برأسها عليه من ثلاث جهات :

فأم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير من جهة ، ومعاوية ومعه الأمويين من جهة آخرى ، والخوارج من جهة ثالثة .

تربى فى بيت النبوه ، وتأثر بالرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام كان شجاعاً مقداماً حتى أنه أول فدائى بالإسلام - ذكياً - خطيباً بليغاً - قاضياً عادلاً .

***

١) هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمى القرشي ، أمير المؤمنين ، رابع الخلفاء الراشدين ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، وإبن عم النبي وصهره ، وأحد الشجعان الأبطال ، ومن أكابر الخطباء والعلماء بالقضاء ، وأول الناس إسلاماً بعد خديجه . ولد بمكة وتربى فى حجر النبي (ﷺ) ولم يفارقه وكان اللواء بيده فى أكثر المشاهد . تولى الخلافة بعد مقتل عثمان بن عفان ، حاول توقي الفتنة بعد مقتل عثمان ولكنه لم يستطع فحدثت فى عهده وقعة الجمل وصفين والنهروان . أقام علي بالكوفه " دار خلافته " إلى أن قتله عبد الرحمن بن ملجم المرادى غيلة .

لم يتخلف عن معركة من معارك الإسلام إلا فى غزوة تبوك ، عندما إستخلفه الرسول ﷺ على أهله فى المدينة وقال له : (أما يرضيك أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا إنه لا نبي بعدى) وورد عن الرسول ﷺ قوله لعلي : (أنت أخى فى الدنيا والآخرة) وقال عنه الخليفة عمر بن الخطاب : (لولا علي لهلك عمر) .

إستمرت خلافته خمس سنوات حتى قتله عبد الرحمن بن ملجم المرادى غيلة .

وللإمام علي من الوصايا العامة والخاصة مايأتي : -

***

الفصل الأول:

وصاياه كرم الله وجهه لعامة الناس

الوصية الأولى : –

قال الإمام علي كرم الله وجهه :

﴿ أما بعد : فإن الخيلاء من التجبر ، وإن النخوة من التكبر ، وإن الشيطان عدو حاضر ، يعدكم الباطل . ألا إن المسلم أخو المسلم فلا تنابذوا ، ولا تخاذلوا ، ألا إن شرائع الدين واحدة وسبلة قاصدة ، من أخذ بها لحق ، ومن فارقها محق ، ومن تركها مرق ، ليس المسلم بالخائن إذا اؤتمن ، ولا بالمخلف إذا وعد، ولا بالكذاب إذا نطق. ﴾

***

الوصية الثانية : -

وقال كرم الله وجهه يوصي : -

﴿ أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، الذى ضرب لكم الأمثال ، ووقت لكم الآجال ، وجعل لكم أسماعاً تعي ما عناها ، وأبصاراً لتجلو عن غشاها ، وأفئدة تفهم ما دهاها .

إن الله لم يخلقكم عبثاً ولم يضرب عنكم الذكر صفحاً ، بل أكرمكم بالنعم السوابغ ، وأرصد لكم الجزاء .

فاتقوا الله عباد الله ، وجدوا في الطلب ، وبادروا بالعمل قبل هادم اللذات ، فإن الدنيا لا يدوم نعيمها ، ولا تؤمن فجائعها ، غرور حائل ، وسناد مائل ، اتعظوا عباد الله بالعبر ، وازدجروا بالنذر ، وانتفعوا بالمواعظ ، فكأنْ قد علقتكم مخالب المنية ، وضمكم بيت التراب ، ودهمتكم مفظعات الأمور بنفخة الصور ، وبعثرة القبور ، وسياق المحشر ، وموقف الحساب ، بإحاطة قدرة الجبار ، كل نفس معها سائق يسوقها لمحشرها ، وشاهد يشهد عليها .

قال تعالى : ﴿ وأشرقت الأرض بنور ربها ، ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء ، وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون [1] ﴾ .

فارتجت لذلك اليوم البلاد ، ونادى المنادي ، وحشرت الوحوش ، وبدت الأسرار ، وارتجت الأفئدة ، وبرزت الجحيم .

عباد الله ، اتقوا الله تقية من وجل وحذر وأبصر وازدجر ، فاحتث طلباً ، ونجا هرباً ! وقدم للمعاد ! واستظهر الزاد ، وكفى بالله منتقماً ونصيراً ، وكفى بالكتاب خصماً وحجيجاً ، وكفى بالجنة ثواباً ، وكفى بالنار وبالاً وعقاباً . ﴾

***

---

١) سورة الزمر الآية ٦٩

الوصية الثالثة :-

وقال كرم الله وجهه :-

﴿ أوصيكم بخمس لو ضربتم عليها آباط الإبل لكان قليلاً : لا يرجون أحدكم إلا ربه ، ولا يخافن إلا ذنبه ، ولا يستحين إذا سئل عما لا يعلم أن يقول : لا أعلم . ولا يستحين إذا لم يعلم الشيء أن يتعلّمه وآعلموا أن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، فإذا قطع الرأس ذهب الجسد ولا خير فى جسد لا رأس معه ولا إيمان لا صبر معه . ﴾

***

الوصية الرابعة :-

وقال كرم الله وجهه :-

﴿ أما بعد ، فإن الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع ، وإن الآخرة قد أقبلت فأشرفت بأطلاع ، وإن المضمار اليوم وغداً السباق . ألا وإنكم في أيام أمل من ورائه أجل ، فمن قصر في أيام أمله قبل حضور أجله فقد خسر عمله ، ألا فأعملوا لله في الرغبة كما تعملون له في الرهبة ألا وإني لم أر كالجنة نام طالبها ، ولا كالنار نام هاربها . ألا وإنه من لم ينفعه الحق ضرة الباطل ، ومن لم يستقم به الهدى جار به

الضلال ، ألا وإنكم قد أمرتم بالظعن ودللتم على الزاد ؛ وإن أخوف ما أخاف عليكم أتباع الهوى وطول الأمل . ﴾

الوصية الخامسة : -

وقال كرم الله وجهه : -

﴿ لا تؤاخ الفاجر ، فإنه يزين لك فعله ، ويحب لو أنك مثله ، ويزين لك أسوأ خصاله ، ومدخله عليك ومخرجه من عندك شين وعار ولا الأحمق ، فإنه يجتهد بنفسه لك ولا ينفعك ، وربما أراد أن ينفعك فيضرك ، فسكوته خير من نطقه ، وبعده خير من قربه ، وموته خير من حياته ، ولا الكذاب ، فإنه لا ينفعك معه عيش ، ينقل حديثك ، وينقل الحديث إليك حتى إنه ليحدث بالصدق فما يصدق .﴾

***

الفصل الثاني : -

وصيته كرم الله وجهه لإبنه الحسن (١)

قال الإمام علي كرم الله وجهه يوصي إبنه الحسن رضى الله عنه عندما إنصرف من وقعة صفين : -

﴿ من الوالد الفاني ، المقر للزمان ، المدبر العمر ، المستسلم للدهر ، الذام للدنيا ، الساكن مساكن الموتى ، والظاعن عنها غداً ، إلى المولود المؤمل ما لا يدرك ، السالك سبيل من قد هلك ، غرض الأسقام ، ورهينة الأيام ورمية المصائب ، وعبد الدنيا ، وتاجر الغرور ، وغريم المنايا ، وأسير الموت ، وحليف الهموم ، وقرين الأحزان ، ونصب الآفات ، وصريع الشهوات ، وخليفة الأموات .

---

١) هو الحسن بن علي بن أبى طالب الهاشمي القرشي ، ولد فى المدينة المنورة ، وأمه فاطمة الزهراء بنت رسول الله (ﷺ) ، وهو أكبر أولادها وبكرها ، كان عاقلاً حليماً محباً للخير ، فصيح من أحسن الناس منطقاً وبديهه . بايعه أهل العراق بالخلافة بعد مقتل أبيه ، ثم خلع نفسه من الخلافة وسلم الأمر لمعاوية فى بيت المقدس ، وإنصرف إلى المدينة حيث أقام إلى أن توفي فيها (الأعلام لخير الدين الزركلي)

أما بعد : فإن فيما تبينت من إدبار الدنيا عني ، وجموح الدهر علي ، وإقبال الآخرة إلي ، ما يرغبني عن ذكر من سواي والإهتمام بما ورائى ، غير أني حيث تفرد بي دون هموم الناس هم نفسي ، فصدقني رأيي ، وصرفني عن هوائي .

وصرح لي محض أمري ، فأفضى بي إلى جد لا يكون فيه لعب ، وصدق لا يشوبه كذب ، ووجدتك ، بل وجدتك كلي ، حتى كأن شيئاً لو أصابك أصابني ، وكأن الموت لو أتاك أتاني ، فعناني من أمرك ما يعنيني من أمر نفسي ، فكتبت إليك كتابي ، مستظهراً به إن أنا بقيت لك أو فنيت .

فإنى أوصيك بتقوى الله ولزوم أمره ، وعمارة قلبك بذكره ، والاعتصام بحبله ، وأى سبب أوثق من سبب بينك وبين الله إن أنت أخذت به ؟

آحي قلبك بالموعظة ، وأمته بالزهادة ، وقوه باليقين ، ونوره بالحكمة ، وذلله بذكر الموت ، وقرره بالفناء ، وبصره فجائع الدنيا ، وحذره صولة الدهر ، وفحش تقلب الليالي والأيام ، وأعرض عليه أخبار الماضين ، وذكره بما أصاب من كان قبلك من الأولين ، وسر في ديارهم وآثارهم ، فانظر فيما فعلوا ، وعما انتقلوا ، وأين حلوا أو نزلوا ، فإنك تجدهم قد انتقلوا عن الأحبة ، وحلوا ديار الغربة ، وكأنك عن قليل قد صرت كأحدهم ، فأصلح مثواك ، ولا تبع آخرتك بدنياك ، ودع القول فيما لا تعرف ، والخطاب فيما لم تكلف ، وأمسك عن طريق

إذا خفت ضلالته ، فإن الكف عند حيرة الضلال خير من ركوب الأهوال .

وأمر بالمعروف تكن من أهله ، وأنكر المنكر بيدك ، وباين من فعله بجهدك ، وجاهد في الله حق جهاده ولا تأخذك في الله لومة لائم وخض الغمرات للحق حيث كان ، وتفقة في الدين ، وعود نفسك التصبر على المكروه ، ونعم الخلق التصبر في الحق .

وألجىء نفسك في الأمور كلها إلى إلهك ، فإنك تلجئها إلى كهف حريز ، ومانع عزيز ، وأخلص في المسألة لربك فإن بيده العطاء والحرمان ، وأكثر الاستخارة وتفهم وصيتي ، ولا تذهبن عنها صفحاً ، فإن خير القول ما نفع ، وأعلم أنه لا خير في علم لا ينفع ، ولا ينتفع بعلم لا يحق تعلمه .

أي بني ، إني لما رأيتني قد بلغت سناً ، ورأيتني أزداد وهناً ، بادرت بوصيتي إليك ، وأوردت خصالاً منها قبل أن يعجل بي أجلي دون أن أفضي إليك بما في نفسي ، وأن أنفض في رأيي كما نفضت في جسمي ، أو يسبقني إليك بعض غلبات الهوى ، أو فتن الدنيا ، فتكون كالصعب النفور ، وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية ، ما ألقي فيها من شيء قبلته ، فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ، ويشتغل لبك لتستقبل بجد رأيك من الأمر ما قد كفاك أهل التجارب بغيته وتجربته ، فتكون قد كفيت مؤونة الطلب ، وعوفيت من علاج التجربة ، فأتاك من ذلك ما قد كنا نأتيه ، واستبان لك ما ربما أظلم علينا منه .

أي بني ، إني وإن لم أكن عمرت عمر من كان قبلي ، لقد نظرت في أعمالهم ، وفكرت في أخبارهم ، وسرت في آثارهم ، حتى عدت كأحدهم ، بل كأني بما انتهى إلي من أمورهم قد عمرت مع أولهم إلى آخرهم ، فعرفت صفو ذلك من كدره ، ونفعه من ضرره ، فاستخلصت لك من كل أمر نخيله وتوخيت لك جميله ، وصرفت عنك مجهوله ، ورأيت حيث عناني من أمرك ما يعني الوالد الشفيق ، وأجمعت عليه من أدبك أن يكون ذلك وأنت مقبل العمر ومقتبل الدهر ذو نية سليمة ، ونفس صافية ، وأن أبتدئك بتعليم كتاب الله وتأويله ، وشرائع الإسلام وأحكامه ، وحلاله وحرامه لا أجاوز لك إلى غيره ، ثم أشفقت أن يلتبس عليك ما أختلف الناس فيه من أهوائهم وآرائهم مثل الذي ألتبس عليهم ، فكان إحكام ذلك على ما كرهت من تنبيهك له أحب إلي من إسلامك إلى أمر لا آمن عليك به الهلكة ورجوت أن يوفقك الله لرشدك ، وأن يهديك لقصدك ، فعهدت إليك وصيتي هذه .

وأعلم يابني ، أن أحب ما أنت آخذ به إلي من وصيتي ، تقوى الله ، والاقتصار على ما فرضه الله عليك ، والأخذ بما مضى عليه الأولون من آبائك ، والصالحون من أهل بيتك ، فإنهم لم يدعوا أن نظروا لأنفسهم كما أنت ناظر ، وفكروا كما أنت مفكر ، ثم ردهم آخر ذلك إلى الأخذ بما عرفوا ، والامساك عما لم يكلفوا ، فإن أبت نفسك أن تقبل ذلك دون أن تعلم كما علموا ، فليكن طلبك بتفهم وتعلم ، لا بتورط الشبهات ، وعلوا الخصوصيات ، وابدأ قبل نظرك في ذلك

بالاستعانة بإلهك ، والرغبة إليه في توفيقك ، وترك كل شائبة أولجتك في شبهة ، أو أسلمتك إلى ضلالة ، فإذا أيقنت أن قد صفا قلبك فخشع ، وتم رأيك فأجتمع لك ما تحب من نفسك ، وفراغ نظرك وفكرك ، فأعلم أنك إنما تخبط العشواء ، وتتورط الظلماء ، وليس طالب الدين من خبط أو خلط ، والامساك عن ذلك أمثل .

فتفهم يابني ، وصيتي ، واعلم أن مالك الموت هو مالك الحياة ، وأن الخالق هو المميت ، وأن المفني هو المعيد ، وأن المبتلى هو المعافى ، وأن الدنيا لم تكن لتستقر إلا على ما جعلها الله عليه من النعماء ، والابتلاء والجزاء في المعاد أو ما شاء مما لا نعلم ، فإن أشكل عليك شيء من ذلك فاحمله على جهالتك به ، فإنك أول ما خلقت جاهلاً ثم علمت ، وما أكثر ما تجهل من الأمر ، ويتحير فيه رأيك ، ويضل فيه بصرك ، ثم تبصره بعد ذلك ، فأعتصم بالذي خلقك ورزقك وسواك ،وليكن له تعبدك ، وإليه رغبتك ، ومنه شفقتك .

وأعلم يابني ، أن أحداً لم ينبىء عن الله كما أنبأ عنه رسول الله ﴿ﷺ﴾، فأرض به رائداً ، وإلى النجاة قائداً ، فإني لم آلك نصيحة ، وإنك لن تبلغ في النظر لنفسك وإن أجتهدت مبلغ نظري لك .

وأعلم يابني ، أنه لو كان لربك شريك لآتتك رسله ، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه ، ولعرفت أفعاله وصفاته ، ولكنه إله واحد ، كما وصف نفسه ، ولايضاده في ملكه أحد ، ولا يزول أبداً ، ولم يزل ، أول قبل الأشياء بلا أولية ، وآخر بعد الأشياء بلا نهاية ، عظم عن أن

تثبت ربوبيته بإحاطة قلب أو بصر ، فإذا عرفت ذلك فأفعل كما ينبغي لمثلك أن يفعله في صغر خطره ، وقلة مقدرته ، وكثرة عجزه ، وعظيم حاجته إلى ربه في طلب طاعته ، والخشية من عقوبته ، والشفقة من سخطه ، فإنه لم يأمرك إلا بحسن ، ولم ينهك إلا عن قبيح .

يابني ، إني قد أنبأتك عن الدنيا وحالها ، وزوالها وانتقالها ، وأنبأتك عن الآخرة ، وما أعد لأهلها فيها ، وضربت لك فيهما الأمثال لتعتبر بها وتحذو عليها ، إنما مثل من خبر الدنيا كمثل قوم سفر نبا بهم منزل جديب فأموا منزلا خصيباً ، وجناباً مريعاً ، فأحتملوا وعثاء الطريق ، وفراق الصديق ، وخشونة السفر ، وجشوبة المطعم ، ليأتوا سعة دارهم ، ومنزل قرارهم ، فليس يجدون لشيء من ذلك ألماً ، ولا يرون نفقة مغرماً ، ولا شيء أحب إليهم مما قربهم من منزلهم ، وأدناهم من محلهم ، ومثل من أغتر بها كمثل قوم كانوا بمنزل خصيب ، فنبا بهم إلى منزل جديب ، فليس شيء أكره إليهم ولا أقطع عندهم من مفارقة ما كانوا فيه إلى ما يهجمون عليه ، ويصيرون إليه

يابني ، اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك، فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك ، وأكره له ما تكره لها ، ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم ، وأحسن كما تحب أن يحسن إليك ، واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك ، وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك ، ولا تقل ما لا تعلم ، وإن قل ما تعلم ، ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك .

واعلم أن الأعجاب ضد الصواب ، وآفة الألباب ، فاسع فى كدحك ، ولا تكن خـــازناً لغيرك ، وإذا كنت هديـــت لقصدك فكن أخشـــع ما تكون لربك .

واعلم أن أمامك طريقاً ذا مسافه بعيدة ، ومشقة شديدة ، وأنه لا غنى لك فيه عن حسن الارتياد ، وقدر بلاغك من الزاد مع خفة الظهر ، فلا تحملن على ظهرك فوق طاقتك ، فيكون ثقل ذلك وبالاً عليك ، وإذا وجدت من أهل الفاقة من يحمل لك زادك إلى يوم القيامة فيوفيك به غداً حيث تحتاج إليه فاغتنمه ، وحمله إياه وأكثر من تزويده وأنت قادر عليه ، فلعلك تطلبه فلا تجده واغتنم من استقرضك في حال غناك ، ليجعل قضاءه لك فى يوم عسرتك .

واعلم أن أمامك عقبة كؤوداً ، المخف فيهـا أحسن حالاً من المثقل ، والبطيء عليها أقبح حالاً من المسرع ، وأن مهبطك بها لا محالة على جنة أو على نار فأرتد لنفسك قبل نزلك ، ووطىء المنزل قبل حلولك ، فليس بعد الموت مستعتب ، ولا إلى الدنيا منصرف .

واعلم أن الذى بيده خزائن السموات والأرض قد أذن لك في الدعاء وتكفل لك بالإجابه ، وأمرك أن تسأله ليعطيك ، وتسترحمه ليرحمك ، ولم يجعل بينك وبينه من يحجبه عنك ، ولم يلجئك إلى من يشفع لك إليه ، ولم يمنعك إن أسأت من التوبة ، ولم يعاجلك بالنقمة ، ولم يعيرك بالإنابة ولم يفضحك حيث الفضيحة بك أولى ، ولم يشدد عليك في قبول الإنابة ، ولم يناقشك بالجريمة ، ولم يؤسك من الرحمة

بل جعل نزوعك عن الذنب حسنة ، وحسب سيئتك واحده ، وحسب حسنتك عشراً وفتح لك باب المتاب ، وباب الاستيعاب ، فإذا ناديته سمع نداءك ، وإذا ناجيته علم نجواك ، فأفضيت إليه بحاجتك ، وأبثثته ذات نفسك ، وشكوت إليه همومك ، واستكشفته كروبك ، واستعنته على أمورك ، وسألته من خزائن رحمته مالا يقدر على إعطائه غيره من زيادة الأعمار ، وصحة الأبدان ، وسعة الأرزاق ، ثم جعل في يديك مفاتيح خزائنه بما أذن لك من مسألته ، فمتى شئت استفتحت بالدعاء أبواب نعمته ، واستمطرت شابيب رحمته ، فلا يقنطنك إبطاء إجابته ، فإن العطية على قدر النية ، وربما أخرت عنك الإجابة ليكون ذلك أعظم لأجر السائل ، وأجزل لعطاء الآمل ، وربما سألت الشيء فلا تؤتاه وأوتيت خيراً منه عاجلاً أو أجلاً ، أو صرف عنك لما هو خير لك ، فلرب أمر قد طلبته فيه هلاك دينك لو أوتيته ، فلتكن مسألتك فيما يبقى لك جماله ، وينفى عنك وباله ، والمال لا يبقى لك ، ولا تبقى له.

واعلم أنك إنما خلقت للآخرة لا للدنيا ، وللفناء لا للبقاء ، وللموت لا للحياة وأنك في منزل قلعة ، ودار بلغة وطريق إلى الآخرة ، وأنك طريد الموت الذي لا ينجو منه هاربه ، ولا يفر منه طالبه ، ولا بد أنه مدركه ، فكن منه على حذر أن يدركك ، وأنت على حال سيئة ، وقد كنت تحدث نفسك منها بالتوبه ، فيحول بينك وبين ذلك ، فإذا أنت قد أهلكت نفسك .

يابني ، أكثر من ذكر الموت ، وذكر ما تهجم عليه ، وتقضي بعد الموت إليه وحتى يأتيك وقد أخذت منه حذرك ، وشددت له أزرك ، ولا يأتيك بغتة فيبهرك ، وإياك أن تغتر بما ترى من إخلاد أهل الدنيا إليها ، وتكالبهم عليها ، فقد نبأ الله عنها ، ونعت لك نفسها ، وتكشفت لك عن مساوئها ، فإنما أهلها كلاب عاوية ، وسباع ضارية ، يهر بعضها بعضاً ، ويأكل عزيزها ذليلها ، ويقهر كبيرها صغيرها ، نعم معقلة وأخرى مهملة قد أضلت عقولها ، وركبت مجهولها ، سروح عاهة بواد وعث ، ليس لها راع يقيمها ، ولا مقيم يسيمها ، سلكت بهم الدنيا طريق العمى ، وأخذت بأبصارهم عن منار الهدى ، فتاهوا في حيرتها ، وغرقوا في نعمتها ، واتخذوها رباً ، فلعبت بهم ولعبوا بها ، ونسوا ما وراءها . رويداً يسفر الظلام ، كأن قد وردت الأظعان ، يوشك من أسرع أن يلحق .

واعلم يابني ، أن من كانت مطيته الليل والنهار فإنه يسار به وإن كان واقفاً ، ويقطع المسافة وإن كان مقيماً وادعاً .

واعلم يقيناً أنك لن تبلغ أملك ، ولن تعدو أجلك ، وأنك في سبيل من كان قبلك ، فخفض في الطلب ، وأجمل في المكتسب ، فإنه رب طلب قد جر إلى حرب ، فليس كل طالب بمرزوق ، ولا كل مجمل بمحروم . وأكرم نفسك عن كل دنية وإن ساقتك إلى الرغائب ، فإنك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضاً ، ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً ، وما خير خير لا ينال إلا بشر ، ويسر لا ينال إلا بعسر .

وإياك أن توجف بك مطايا الطمع ، فتوردك مناهل الهلكة ، وإن استطعت أن لا يكون بينك وبين الله سبحانه أعظم وأكرم من الكثير من خلقه ، وإن كان كل منه .

وتلافيك ما فرط من صمتك أيسر من إدراكك ما فات من منطقك وحفظ ما في الوعاء بشد الوكاء ، وحفظ ما في يديك أحب إلي من طلب ما في يد غيرك ، ومرارة اليأس خير من الطلب إلى الناس ، والحرفة مع العفة خير من الغنى مع الفجور ، والمرء أحفظ بسره ، ورب ساع فيما يضره . من أكثر أهجر ، ومن تفكر أبصر .

قارن أهل الخير تكن منهم ، وباين أهل الشر تبن عنهم ، بئس الطعام الحرام ، وظلم الضعيف أفحش الظلم ، إذا كان الرفق خرقاً ، كان الخرق رفقاً ، ربما كان الدواء داء ، والداء دواء وربما نصح غير الناصح ، وغش المستنصح ، وإياك واتكالك على المنى فإنها بضائع الموتى ، والعقل حفظ التجارب وخير ماجربت ما وعظك ، بادر الفرصة قبل أن تكون غصة ، ليس كل طالب يصيب ، ولا كل غائب يؤوب ، ومن الفساد إضاعة الزاد ، ومفسدة المعاد ، ولكل أمر عاقبة سوف يأتيك ما قدرلك ، التاجر مخاطر ، ورب يسير أنمى من كثير ولا خير في معين مهين ، ولا في صديق ظنين ، ساهل الدهر ما ذل لك قعوده ، ولا تخاطر بشيء رجاء أكثر منه ، وإياك أن تجمح بك مطية اللجاج . احمل نفسك من أخيك عند صرمه على الصلة ، وعند صدوده على اللطف ، والمقاربة ، وعند جموده على البذل ، وعند

تباعده على الدنو ، وعند شدته على اللين ، وعند جرمه على العذر ، حتى كأنك له عبد ، وكأنه ذو نعمة عليك ، وإياك أن تضع ذلك في غير موضعه ، أو أن تفعله بغير أهله ، ولا تتخذن عدو صديقك فتعادي صديقك ، وأمحض أخاك النصيحة حسنة كانت أو قبيحة ، وتجرع الغيظ فإني لم أر جرعة أحلى منها عاقبة ولا ألذ مغبة ، ولن لمن غالظك ، فإنه يوشك أن يلين لك ، وخذ على عدوك بالفضل فإنه أحلى الظفرين ، وإن أردت قطيعة أخيك فاستبق له من نفسك بقية أن يرجع إليها إن بدا له ذلك يوماً ما ، ومن ظن بك خيراً فصدق ظنه ، ولا تضيعن حق أخيك اتكالاً على ما بينك وبينه فإنه ليس لك بأخ من أضعت حقه ، ولا يكن أهلك أشقى الخلق بك ، ولا ترغبن فيمن زهد عنك ، ولا يكونن أخوك على مقاطعتك أقوى منك على صلته ، ولا يكونن على الإساءة أقوى منك على الإحسان ، ولا يكبرن عليك ظلم من ظلمك ، فإنه يسعى في مضرته ونفعك ،وليس جزاء من سرك أن تسوءه .

واعلم يابني ، أن الرزق رزقان ، رزق تطلبه ، ورزق يطلبك ، فإن أنت لم تأته أتاك . ما أقبح الخضوع عند الحاجة ، والجفاء عند الغنى ، إن لك من دنياك ما أصلحت به مثواك ، وإن جزعت على ما تفلت من يديك ، فأجزع على كل ما لم يصل إليك ، استدل على ما لم يكن بما قد كان فإن الأمور أشباه ، ولا تكونن ممن لا تنفعه العظة إلا

إذا بالغت في إيلامه ، فإن العاقل يتعظ بالآداب ، والبهائم لا تتعظ إلا بالضرب .

اطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصبر وحسن اليقين ، من ترك القصد جار ، والصاحب مناسب ، والصديق من صدق غيبه ، والهوى شريك العناء ، رب قريب أبعد من بعيد ، ورب بعيد أقرب من قريب ، والغريب من لم يكن له حبيب ، من تعد الحق ضاق مذهبه ، ومن اقتصر على قدره كان أبقى له ، وأوثق سبب أخذت به سبب بينك وبين الله ، ومن لم يبالك فهو عدوك ، قد يكون اليأس إدراكاً إذا كان الطمع هلاكاً . ليس كل عورة تظهر ، ولا كل فرصة تصاب ، وربما أخطأ البصير قصده ، وأصاب الأعمى رشده ، أخر الشر فإنك إذا شئت تعجلته ، وقطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل ، من أمن الزمان خانه ، ومن أعظمه أهانه ، وليس كل من رمى أصاب ، إذا تغير السلطان تغير الزمان ، سل عن الرفيق قبل الطريق ، وعن الجار قبل الدار ، إياك أن تذكر من الكلام ما كان مضحكاً ، وإن حكيت ذلك عن غيرك ، وإياك ومشاورة النساء ، فإن رأيهن إلى أفن ، وعزمهن إلى وهن ، وأكفف عليهن من أبصارهن بحجابك إياهن ، فإن شدة الحجاب أبقى عليهن ، وليس خروجهن بأشد من إدخالك من لا يوثق به عليهن ، وإن إستطعت أن لا يعرفن غيرك فافعل ، ولا تملك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها ، فإن المرأة ريحانه وليست بقهرمانه ، ولا تعد بكرامتها نفسها ، ولا تطمعها فى أن تشفع بغيرها ، وإياك والتغاير فى غير

موضع غيره ، فإن ذلك يدعو الصحيحة إلى السقم ، والبريئه إلى الريب ، وإجعل لكل إنسان من خدمك عملاً تأخذه به ، فإنه أحرى أن لا يتواكلوا فى خدمتك ، وإكرم عشيرتك فإنهم جناحك الذى به تطير ، وأصلك الذى إليه تصير ، ويدك التى بها تصول .

أستودع الله دينك ودنياك وأسأله خير القضاء لك فى العاجلة والأجلة ، والدنيا والآخرة . والسلام . ﴾

وقال كرم الله وجهه يوصى أبنه الحسن أيضاً :

﴿ هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب ، وأوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، ثم ﴿ **إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لاشريك له ، بذلك أمرت وأنا أول المسلمين**(١) ﴾

وإني أوصيك ياحسن ، وجميع ولدي ، ومن بلغة كتابي هذا بتقوى الله ربكم ﴿ **ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا** (٢) ﴾ ، فإني سمعت حبيبي رسول الله ﴿ﷺ﴾ يقول : "**صلاح ذات البين أفضل من عامة الصيام والصلاة**" .

أنظروا ذوى أرحامكم فصلوهم يهون الله عليكم الحساب والله الله في الأيتام ، فلا تغيرون أفواههم بحضرتكم ، والله الله في الضعيفين ، فإن آخر ما تكلم به الرسول الله ﴿ﷺ﴾ أن قال : " **أوصيكم بالضعيفين خيراً** "

---

١) سورة الأنعام الآية ١٦٣

٢) سورة آل عمران الآيات ١٠٢ ، ١٠٣

والله الله في القرآن ، فلا يسبقكم بالعمل به غيركم ، والله الله في الصلاة ، فإنها عمود دينكم ، والله الله في الزكاة فإنها تطفيء غضب ربكم عنكم .

والله الله في صيام رمضان فإن صيامه جنة لكم من النار ، والله الله في الحج فإن بيت الله إذا خلا لم تناظروا ، والله الله في الفقراء والمساكين ، فشاركوهم في معايشكم وأموالكم .

عليكم يابني بالبر والتواصل التبار ، وإياكم والتقاطع والتدابر والتفرق : ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان** ﴾ (١) حفظكم الله من أهل بيت ، وحفظ فيكم نبيكم ﴿ﷺ﴾.

* * *

---

١) سورة المائده الآية ٢

وقال له في وصية أخرى :

﴿ هذا ما أوصى به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، ﴿ **إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين** ﴾ .

أوصيك ياحسن وجميع أهل بيتي ، ومن بلغه كتابي هذا بتقوى الله ربنا ﴿ **ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا** ﴾ ، فإني سمعت رسول الله ﴿ﷺ﴾ يقول : " **صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام** " وأن المبيرة الحالقة للدين فساد ذات البين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

أنظروا ذوى أرحامكم فصلوهم يهون الله عليكم الحساب ، الله الله في الأيتام ، فلا تغبوا أفواههم ، ولا يضيعوا بحضرتكم ، والله الله في جيرانكم ، فإنها وصية رسول الله ﴿ﷺ﴾، مازال يوصينا بها حتى ظننا أنه سيورثهم ، والله الله في القرآن فلا يسبقكم إلى العمل به غيركم ، والله الله في الصلاة ، فإنها عماد دينكم ، والله الله في بيت ربكم فلا يخلو منكم ما بقيتم ، فإنه إن ترك لم تناظروا ، وإنه إن خلا منكم لم تنظروا، والله الله في صيام شهر رمضان ، فإنه جنة من

النار ، والله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، والله الله في زكاة أموالكم ، فإنها تطفيء غضب ربكم ، والله الله في ذرية نبيكم ، فلا يظلمن بين أظهركم ، والله الله في أصحاب نبيكم ، فإن رسول الله ﴿ﷺ﴾ أوصى بهم ، والله الله في الفقراء والمساكين فأشركوهم في معايشكم ، والله الله فيما ملكت أيمانكم ، ثم قال الصلاة الصلاة ، لا تخافوا في الله لومة لائم فإنه يكفيكم من بغى عليكم ؛ وأرادكم بسوء . قولوا للناس حسناً كما أمركم الله ، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فيتولى الأمر غيركم ، وتدعون فلا يستجاب لكم .

عليكم بالتواضع والتباذل ، وإياكم والتقاطع والتفرق والتدبر ﴿ **تعاونو على البر والتقوى ولا تعاونو على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب** ﴾ حفظكم الله من أهل بيت ، وحفظ فيكم نبيه ﴿ﷺ﴾ أستودعكم الله خير مستودع ، وأقرأ عليكم سلام الله ورحمته. ﴾

***

وقال له في وصية أخرى أيضاً :

﴿ يابني ، فإن فيما تفكرت فيه من إدبار الدنيا عني ، وإقبال الآخرة إلي ، وجموح الدهر علي ما يرغبني عن ذكر سواي ، والاهتمام بما ورائي ، غير أنه حين تفرد بى هم نفسي دون هم الناس ، فصدقني رأيي ، وصرفني عن هواي ، وصرح بي محض أمري فأفضى بي إلى جد لا يزري به لعب وصدق لا يشوبه كذب ، ووجدتك يابني بعضي ، بل وجدتك كلي ، حتى كأن شيئاً لو أصابك لأصابني ، وحتى كأن الموت لو أتاك أتاني ، فعند ذلك عناني من أمرك ما عناني من أمر نفسي ، كتبت إليك كتابي هذا يابني مستظهراً به إن أنا بقيت لك أو فنيت ، فإني موصيك بتقوى الله وعمارة قلبك بذكره والاعتصام بحبله فإن الله تعالى يقول ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً** ﴾

وأي سبب يابني أوثق من سبب بينك وبين الله تعالى إن أنت أخذت به .

أحي قلبك بالموعظة ، ونوره بالحكمة ، وامنه بالزهد وذلله بالموت ، وقوه بالغنى عن الناس ، وحذره صولة الدهر ، وتقلب الأيام والليالي ، واعرض عليه أخبار الصين وسر في ديارهم وآثارهم فانظر ما فعلوه وأين حلوا ، فإنك تجدهم قد انتقلوا عن دار الأحبة ونزلوا دار

الغربه ، وكأنك عن قليل يابني قد صرت كأحدهم ، فبع دنياك بآخرتك ، ولا تبع آخرتك بدنياك ، ودع القول فيما لا تعرف ، والأمر فيما تكلف ، وأمر بالمعروف بيدك ولسانك ، وأنه عن المنكر بيدك ولسانك ، وباين من فعله ، وخض الغمرات للحق ، ولا تأخذك فى الله لومة لائم .

واحفظ وصيتي ، ولا تذهب عنك صفحاً ، فلا خير في علم لا ينفع واعلم أن أمامك طريقاً ذا مسافة بعيدة ، ومشقة شديدة وأنه لا غنى لك فيه عن حسن الارتياد ، مع بلاغك من الزاد فإن أصبت من أهل الفاقة من يحمل عنك زادك ، فيوافيك به في معادك فاغتنمه ، فإن أمامك عقبة كؤوداً ، لا يجاوزها إلا أخف الناس حملاً ، فأجمل في الطلب ، وأحسن المكتسب ، فرب طلب قد جر إلى حرب ، وإنما المحروب من حرب دينه والمسلوب من سلب يقينه ، واعلم أنه لا غنى يعدل الجنة ولا فقر يعدل النار . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . ﴾

* * *

وقال له في وصية أخرى :

﴿ يابني ، احفظ عني أربعاً وأربعاً ، لا يضرك ماعملت معهن : أغنى الغنى العقل ، وأكبر الفقر الحمق ، وأوحش الوحشة العجب ، وأكرم الحسن حسن الخلق .

يابني إياك ومصادقة الأحمق ، فإنه يريد أن ينفعك فيضرك ، وإياك ومصادقة البخيل ، فإنه يبعد عنك أحوج ما تكون إليه ، وإياك ومصادقة الفاجر ، فإنه يبيعك بالتافه ، وإياك ومصادقة الكذاب ، فإنه كالسراب ، يقرب عليك البعيد ويبعد عليك القريب . ﴾

***

وقال له فى وصيه أخرى أيضاً :

﴿ لا تدعون أحداً إلى المبارزة ، وإن دعيت إليها فأجب ، فإن الداعي إليها باغ والباغي مصروع . ﴾

***

الفصل الثالث :

وصيته كرم الله وجهه لإبنه محمد بن الحنفية [1]

قال الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يوصي ابنه محمد بن الحنفية .

﴿ تفقه في الدين ، وعود نفسك الصبر على المكروه ، وكل نفسك في أمورك كلها إلى الله عز وجل ، فإنك تكلها إلى كهف وأخلص المسألة لربك ، فإن بيده العطاء والحرمان ، وأكثر الاستخارة له ، واعلم أن من كانت مطيته الليل والنهار ، فإنه يسار به وإن كان لايسير ، فإن الله تعالى قد أبى إلا خراب الدنيا وعمارة الآخرة ، زهدك كله فافعل ذلك ، وإن كنت غير قابل نصيحتي إياك فاعلم علماً يقيناً أنك لن تبلغ أملك ، ولن تعدو أجلك ، وإنك في سبيل من كان قبلك ، فأكرم نفسك عن كل دنية ، وإن ساقتك إلى الرغائب ، فإنك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضاً .

---

١) هو محمد بن علي بن أبي طالب ، الهاشمي القرشي ، أبو القاسم المعروف بابن الحنفية أخو الحسن والحسين ، وأمه خولة بنت جعفر الحنيفية ، ينسب إليها تمييزاً عنهما . كان واسع العلم ، ورعاً وكان المختار الثقفي يدعو الناس إلى إمامته ، ويزعم أنه المهدي . مولده ووفاته في المدينة (الأعلام لخير الدين الزركلي)

وإياك أن توجف بك مطايا الطمع وتقول : متى ما أخرت نزعت فإن هذا أهلك من هلك قبلك ، وأمسك عليك لسانك فإن تلافيك ما فرط من صمتك أيسر عليك من إدراك ما فات من منطقك .

واحفظ ما في الوعاء بشد الوكاء فحسن التدبير مع الإقتصاد أبقى لك من الكثير مع الفساد ، والحرفة مع العفة خير من الغنى مع الفجور ، والمرء أحفظ لسره ولربما سعى فيما يضره .

وإياك والاتكال على الأماني ، فإنها بضائع النوكى ، وتثبط عن الآخرة والأولى ، ومن خير حظ الدنيا القرين الصالح ، فقارن أهل الخير تكن منهم ، وباين أهل الشر تبن عنهم ، ولا يغلبن عليك سوء الظن ، فإنه لن يدع بينك وبين خليل صلحاً .

أذك قلبك بالأدب كما تذكي النار بالحطب ، واعلم أن كفر النعمة لؤم ، وصحبة الأحمق شؤم ، ومن الكرم منع الحرم ، ومن حلم ساد ومن تفهم ازداد .

امحض أخاك النصيحة ، حسنة أو قبيحة ، لا تصرم أخاك على إرتياب ، ولا تقطعه دون استعتاب ، وليس جـزاء من سرك أن تسوءه ، الرزق رزقان ، رزق تطلبه ورزق يطلبك فإن أنت لم تأته أتاك .

واعلم يابني أن ما لك من دنياك إلا ما أصلحت به من مثواك ، فانفق من خيرك ، ولا تكن خازناً لغيرك، وإن جزعت على ما يفلت من

يديك ، فاجزع على ما لم يصل إليك ، ربما أخطأ البصير قصده وأبصر الأعمى رشده ، ولم يهلك امرؤ اقتصد ، ولم يفتقر من زهد .

من ائتمن الزمان خانه ، ومن تعظم عليه أهانه ، رأس الدين اليقين ، وتمام الإخلاص اجتناب المعاصي ، وخير المقال ماصدقته الفعال ، سل عن الرفيق قبل الطريق ، وعن الدار قبل الدار ، واحمل لصديقك عليك ، واقبل عذر من اعتذر إليك ، وأخر الشر ما استطعت ، فإنك إذا شئت تعجلته. لا يكن أخوك على قطيعتك أقوى منك على صلته ، وعلى الإساءة أقوى منك على الإحسان .

لا تملكن المرأة من الأمر ما يجاوز نفسها ، فإن المرأة ريحانة وليست بقهرمانة ، فإن ذلك أدوم لحالها ، وأرخى لبالها .

واغضض بصرك بسترك ، اكففها بحجابك ، وأكرم الذين بهم تصول ، واذا تطاولت بهم تطول .

أسأل الله أن يلهمك الشكر والرشد ، ويقويك على العمل بكل خير ويصرف عنك كل محذور برحمته ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . ﴿

* * *

الفصل الرابع :

وصيته كرم الله وجهه لولديه الحسن والحسين (١)

قال الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يوصي الحسن والحسين(٢) رضي الله عنهما لما ضربه ابن ملجم (٣) :

﴿ أوصيكما بتقوى الله ، ولا تبغيا الدنيا وإن بغتكما ، ولا تبكيا على شيء منها زوي عنكما ، وقولا الحق ، وارحما اليتيم ، وأعينا الضائع ، وأضيفا الجائع ، وكونا للظالم خصماً ، وللمظلوم عوناً ، ولا تأخذكما في الله لومة لائم . ثم نظر إلى ابن الحنفية فقال :

---

٢) هو الحسين بن علي بن أبي طالب ، الهاشمي ، أبو عبد الله ابن فاطمة الزهراء ، ولد في المدينة ، ونشأ في بيت النبوة ، خرج من مكة في مواليه ونسائه وذرارية ونحو الثماني من رجاله ، وعلم يزيد بسفره ، فوجه إليه جيشاً اعترضه في كربلاء ، فنشب قتال عنيف أصيب الحسين فيه بجراح شديدة ، وسقط عن فرسه ، فقتله سنان بن أنس النخعي (وقيل الشمر بن ذي الجوشن) ، وكان مقتله يوم الجمعة عاشر المحرم (الأعلام لخير الدين الزركلي) .

(٣) هو عبد الرحمن بم ملجم المرادي الحميري من أشداء الفرسان ، شهد فتح مصر وسكنها ، كان من شيعة علي بن أبي طالب ، وشهد معه صفين ، ثم خرج عليه واتفق مع (البرك) و (عمرو بن بكر) على قتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص في ليلة واحدة ، قتل في الكوفة بعد ثلاثة أيام من مقتل علي (الأعلام لخير الدين الزركلى) .

هل فهمت ما أوصيت به أخويك ؟ قال : نعم ، قال :

أوصيك بمثله ، وأوصيك بتوقير أخويك ، وتزيين أمرهما ، ولا تقطع أمراً دونهما ، وقال لهما :

أوصيكما به ، فإنه شقيقكما ، وابن أبيكما ، وقد علمتما أن أباكما كان يحبه فأحباه . ﴾

* * *

الفصل الخامس :

وصيته كرم الله وجهه لمالك بن الحارث الأشتر (١)

قال الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عنه يوصي مالك بن الحارث الأشتر حين ولاه مصر :

﴿ هذا ما أمر به عبد الله علي أمير المؤمنين إلى مالك بن الحارث الأشتر في عهده إليه حين ولاه مصر ، جباية خراجها ، وجهاد عدوها ، واستصلاح أهلها ، وعمارة بلادها ، أمره بتقوى الله وإيثار طاعته ، واتباع ما أمر به في كتابه من فرائضه وسننه التي لا يسعد أحد إلا باتباعها ، ولا يشقى إلا بالعدول عنها ، وأن ينصر الله تعالى بيده وقلبه ولسانه ، فإنه جل اسمه قد تكفل بنصر من نصره ، وإعزاز من أعزه ، وأمره أن يكسر نفسه عند الشهوات ويزعها عند الجمحات ، فإن النفس لأمارة بالسوء .

ثم اعلم يامالك أني وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك ، من عدل وجور ، وأن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمر الولاة قبلك ، ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم ،

---

١) هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي ، المعروف بالأشتر ، كان رئيس قومه ، أدرك الجاهلية . وسكن الكوفة ، وكان له نسل فيها ، شهد اليرموك وذهبت عينه فيها ، وشهد يوم الجمل ، وأيام صفين مع علي وولاه علي "مصر" فقصدهـا ، فمات في الطريق . له شعر جيد (الأعلام لخير الدين الزركلي) .

إنما يستدل على الصالحين بما يجري لهم على ألسن عباده ، فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح ، فاملك هواك وشح بنفسك عما لا يحل لك ، فإن الشح بالنفس الإنصاف منها فيما أحببت أو كرهت .

وأشعر قلبك الرحمة للرعية ، والمحبة لهم ، والطف بهم ، ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم ، فإنهم صنفان ، إما أخ في الدين ، وإما نظير لك في الخلق ، يفرط منهم الزلل ، وتعرض لهم العلل ، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ ، فأعطهم من صفحك وعفوك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه ، فإنك فوقهم ، ووالي الأمر عليك فوقك والله فوق من ولاك ، وقد استكفاك أمرهم وابتلاك بهم ، فلا تنصبن نفسك لحرب الله فإنه لا قوة لك بنقمه ، ولا غنى بك عن عفوه ورحمته ، ولا تندمن على عفوه ولا تبجحن بعقوبة ، ولا تسرعن إلى بادرة ؛ وجدت منها مندوحة ، ولا تقولن : إنى مؤمر آمر فأطاع ، فإن ذلك إدغال في القلب ، ومنهكه للدين ، وتقرب من الغير فإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهة أو مخلية فانظر إلى عظم ملك الله تعالى فوقك ، وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك ، فإن ذلك يطامن إليك من طماحك ويكف عنك من غربك ، ويضيء إليك بما عزب عنك من عقلك .

وإياك ومساماة الله في عظمته ، والتشبه به في جبروته ، فإن الله يذل كل جبار ، ويهين كل مختال .

أنصف الله ، وأنصف الناس من نفسك ، ومن خاصة أهلك ، وممن لك فيه هوى من رعيتك ، فإنك إلا تفعل تظلم ، ومن ظلم عباد الله كان خصمه دون عباده ، ومن خاصمة الله أدحض حجته ، وكان لله حرباً حتى ينزع ويتوب ، وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم ، فإن الله سميع دعوة المضطهدين ، وهو للظالمين بالمرصاد .

وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق ، وأعمها في العدل وأجمعها لرضا الرعية فإن سخط الخاصة يغتفر برضا العامة ، وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤونة في الرخاء ، وأقل معونة في البلاء وأكره للإنصاف وأسأل بالإلحاف ، وأقل شكراً عند الإعطاء وأبطأ عذراً عند المنع ، وأضعف صبراً عند ملمات الدهر من أهل الخاصة ، وإن عمود الدين ، وجماع المسلمين والعدة للأعداء العامة من الأمة ، فليكن صغوك لهم وميلك معهم ، وليكن أبعد رعيتك منك وأشنؤهم عندك أطلبهم لعيوب الناس ، فإن في الناس عيوباً الوالي أحق بسترها ، فلا تكشفن عما غاب عنك منها ، فإنما عليك تطهير ما ظهر لك ، والله حكم على ما غاب عنك منها ، فاستر العورة ما استطعت ، يستر الله ما تحب ستره من عيبك .

أطلق عن الناس عقدة كل حقد واقطع عنهم سبب كل وتر ، وتغاب عن كل ما لا يصح لك ، ولا تعجلن إلى تصديق ساع ، فإن الساعي غاش وإن تشبه بالناصحين .

ولا تدخلن في مشورتك ، بخيلاً فيعدل بك عن الفضل ، ويعدك الفقر ، ولا جباناً فيضعفك عن الأمور ، ولا حريصاً فيزين لك الشره بالجور ، فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله .

واعلم أن شر وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيراً ، ومن شركهم في الآثام فلا يكونن لك بطانة فإنهم الأثمة ، وإخوان الظلمة وأنت واجد منهم خير الخلف ممن له مثل آرائهم ونفاذهم ، وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم ممن لم يعاون ظالماً على ظلمه ، ولا آثماً على إثمه ، أولئك أخف عليك مؤونة ، وأحسن لك معونة ، وأحنى عليك عطفاً ، وأقل لغيرك إلفاً ، فاتخذ أولئك خاصة لخواتك وحفلاتك ، ثم ليكن آثرهم عندك أقولهم للحق ، وأقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله تعالى لأوليائه واقعاً من هواك حيث وقع ، ثم رضهم على ألا يطروك ولا يبجحوك بباطل لم تفعله ، فإن كثرة الإطراء تحدث الزهو ، وتدني إلى العزة ، ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة واحدة ، فإن في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان في الإحسان ، وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة وألزم كلاً منهم ما ألزم نفسه .

واعلم أنه ليس شيء أدعى إلى حسن ظن وال برعيته من إحسانه إليهم وتخفيف المؤونات عنهم ، وترك استكراهه إياهم على ماليس له قبلهم ، وليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك ، فإن حسن الظن يقطع عنك نصباً طويلاً ، وإن أحق من

حسن ظنك به من حسن بلاؤك عنده ، وأن أحق من أساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده .

ولا تنقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة ، واجتمعت بها الإلفة ، وصلحت عليها الرعية ، ، ولا تحدثن سنة تضر بسيء من ماضي تلك السنن ، فيكون الأجر لمن سنها ، والوزر عليك بما نقضت منها .

وأكثر مدارسة العلماء ، ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك ، وإقامة ما استقام به الناس قبلك .

واعلم أن الرعية طبقات ، لا يصلح بعضها إلا ببعض ولا غنى ببعضها عن بعض ، فمنها جنود الله ومنها كتاب العامة والخاصة ، ومنها قضاة العدل ، ومنها عمال الإنصاف والرفق ، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس ، ومنها التجار وأهل الصناعات ، ومنها الطبقة السلفى من ذوي الحاجة والمسكنة ، وكل قد سمى الله سهمه ، ووضع على حده فريضته في كتابه وسنة نبيه ﴿ﷺ﴾ ، عهداً منه محفوظاً .

فالجنود بإذن الله حصون الرعية ، وزين الولاة ، وعز الدين ، وسبل الأمن ، وليس الرعية إلا بهم ، ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به في جهاد عدوهم ، ويعتمدون عليه فيما يصلحهم ، ويكون من وراء حاجتهم ، ثم لا قوام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاه والعمال والكتاب ، لما يحكمون من

المعاقد ، ويجمعون من المنافع ، ويؤتمنون عليه من خواص الأمور وعوامها ، ولا قوام لهم جميعاً إلا بالتجار وذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم ، ويقومون به في أسواقهم ، ويكفونهم من الرفق بأيديهم ما لا يبلغه رفق غيرهم ، ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم ، وفي الله لكل سعة ولكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه .

وليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألزمه الله من ذلك إلا بالإهتمام والأستعانة بالله ، وتوطين نفسه على لزوم الحق والصبر عليه فيما خف عليه أوثقل ، فول من جنودك أنصحهم في نفسك لله تعالى ولرسوله ، ولإمامك ، وأنقاهم جيباً ، وأفضلهم حلماً ، ممن يبطيء عن الغضب ويستريح إلى العذر ، ويرفق بالضعفاء ، وينبو عن العنف ، ولا يقعد به الضعيف ، ثم ألحق بذوي الأحساب وأهل البيوتات الصالحة ، والسوابق الحسنة أهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة ، فإنهم جماع الكرام ، وشعب العرف ، ثم تفقد من أمورهم ما يتفقده الوالدان من ولدهما ، ولا يتفاقمن في نفسك شيء قويتهم به ، ولا تحقرن لطفاً ، تعاهدهم به وإن قل ، فإنه داعية لهم إلى بذل النصيحة لك ، وحسن الظن بك .

ولا تدع تفقد لطيف أمورهم اتكالاً على جسيمها ، فإن لليسير من لطفك موضعاً ينتفعون به ، وللجسيم موقعاً لا يستغنون عنه .

وليكن آثر رؤوس جندك عندك من واساهم في معونته ، وأفضل عليهم من جدته بما يسعهم ، ويسع من وراءهم من خلوف أهليهم حتى يكون همهم هماً واحداً في جهاد العدو ، فإن عطفك عليهم يعطف عليك قلوبهم ، وإن أفضل قرة عين الولاة استقامة العدل في البلاد ، وظهور مودة الرعية ، وإنه لا تظهر مودتهم إلا بسلامة صدورهم ، ولا تصح نصيحتهم إلا بحيطتهم على ولاة أمورهم ، وقلة استثقال دولهم ، وترك استبطاء انقطاع مدتهم ، فافسح في آمالهم ، وواصل في حسن الثناء عليهم ، وتعديد ما أبلى ذوو البلاء منهم ، فإن كثرة الذكر لحسن فعالهم تهز الشجاع ، وتحرض الجبان إن شاء الله .

ثم اعرف لكل امرىء منهم ما أبلى ، ولا تضيفن بلاء امرىء إلى غيره ، ولا تقصرن به دون غاية بلائه ، ولا يدعونك شرف امرىء إلى أن تعظم من بلائه ما كان صغيراً ، ولا صنعة أمرىء إلى أن تستصغر من بلائه ما كان عظيماً .

واردد إلى الله ورسوله مايضلعك من الخطوب ، ويشتبه عليك من الأمور ، فقد قال الله تعالى لقوم أحب إرشادهم : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله تعالى وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول** (١) ﴾ ، فالراد إلى الله هو الآخذ بمحكم كتابه ، والراد إلى الرسول الآخذ بسنته الجامعة غير المتفرقة .

---

١) سورة النساء الآية ٥٩

ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الأمور ، ولا تمحكه الخصوم ، ولا يتمادى في الزلة ، ولا يحصر من ألفيء إلى الحق إذا عرفه ، ولا تشرف نفسه على طمع ، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه ، أوقفهم في الشبهات ، وآخذهم بالحجج ، وأقلهم تبرماً بمراجعة الخصم ، وأصبرهم على تكشف الأمور وأحرمهم عند إيضاح الحكم ممن لا يزدهيه إطراء ، ولا يستميله إغراء وأولئك قليل .

ثم أكثر تعاهد قضائه ، وافسح له في البذل ما يريح علته ، وتقل معه حاجته إلى الناس ، وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ، ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك فانظر في ذلك نظراً بليغاً ، فإن هذا الدين قد كان أسيراً في أيدي الأشرار ، يعمل فيه بالهوى ، وتطلب به الدنيا .

ثم انظر أمور عمالك فاستعملهم اختباراً ، ولا تولهم محاباة وأثرةً فإنهما دماع من شعب الجور والخيانة ، وتوخ منهم أهل التجربة . والحياء من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام المتقدمة ، فإنهم أكرم أخلاقاً ، وأصح أعراضاً وأقل في المطامع إسرافاً وأبلغ في عواقب الأمور نظراً ، ثم أسبغ عليهم الأرزاق ، فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم ، وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم ، وحجة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك ، ثم تفقد

أعمالهم ، وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم ، فإن تعاهدك في السر لأمورهم حدوة لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعية .

وتحفظ من الأعوان ، فإن أحد منهم بسط يده إلى خيانة أجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهداً ، فبسطت عليه العقوبة في بدنه ، وأخذته بما أصاب من عمله ، ثم نصبته بمقام الذلة ، ووسمته بالخيانة ، وقلدته عار التهمة .

وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله ، فإن صلاحهم وصلاحه صلاح لمن سواهم ، ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم ، لأن الناس كلهم عيال على الخراج ، لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة ، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد ، وأهلك العباد ، ولم يستقم أمره إلا قليلاً ، فإن شكوا ثقلاً أو علة أو انقطاع شرب أو بالة أو إحالة أرض أغتمرها غرق أو أجحف بها عطش خففت عنهم بما ترجوا أن يصلح به أمرهم ، ولا يثقلن عليك شيء خففت به المؤونة عنهم ، فإنه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك ، وتزيين ولا يتك مع استجلابك حسن ثنائهم ، وتبجحك بأستفاضة العدل فيهم ، معتمداً فضل قوتهم بما ذخرت عندهم من إجمامك لهم ، والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم ، ورفقك بهم فربما حدث من الأمور ما إذا عولت فيه عليهم من بعد احتملوه طيبة أنفسهم به فإن العمران يحتمل ما حملته ، وإنما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها ، وإنما يعوز أهلها لإسراف أنفس الولاة على الجميع ، وسوء ظنهم بالبقاء وقلة انتفاعهم بالعبر

واستعمل من يحب أن يدخر حسن الثناء من الرعية ، والمثوبة من الله عز وجل والرضا من الإمام .

ثم انظر في حال الكتاب ، فول أمورك خيرهم ، واخصص رسائلك التي تدخل فيها مكايدك وأسرارك بأجمعهم لوجود صالح الأخلاق ممن لا تبطره الكرامة فيجترىء بها عليك في خلاف لك بحضرة ملأ ، ولا تقصر به الغفلة عن إيراد مكاتبات عمالك عليك ، وإصدار جوابها على الصواب منها عنك ، وفيما يؤخذ لك ويعطى منك ، ولا يضعف عقداً اعتقده لك ، ولا يعجز عن إطلاق ما عقد عليك ، ولا يجهل مبلغ قدر نفسه في الأمور ، فإن الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل .

ثم لا يكن أختيارك إياهم على فراستك واستنامتك ، وحسن الظن منك ، فإن الرجال يتعرضون لفراسات الولاة بتصنعهم وحسن خدمتهم وليس وراء ذلك من النصيحة والأمانة شيء ، ولكن أختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك ، فأعمد لأحسنهم كان في العامة أثراً وأعرفهم بالأمانة وجهاً ، فإن ذلك دليل على نصيحتك لله ولمن وليت أمره .

واجعل لرأس كل أمر من أمورك رأساً منهم ، ولا يقهره كبيرها ولا يتشتت عليه كثيرها ، ومهما كان في كتابك من عيب فتغابيت عنه ألزمته .

ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات ، وأوص بهم خيراً ، المقيم منهم ، والمضطرب بماله ، والمترفق ببدنه ، فإنهم مواد

المنافع وأسباب المرافق وجلابها من المباعد والمطارح في برك وبحرك وسهلك وجبلك ، وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها ، ولا يجترئون عليها ، فإنهم سلم لا تخاف بائقته ، وصلح لا تخشى غائلته.

وتفقد أمورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك ، واعلم أن في كثير منهم ضيقاً فاحشاً ، وشحاً قبيحاً ، واحتكاراً للمنافع في المبايعات ، وذلك باب مضرة للعامة ، وعيب على الولاة فأمنع من الاحتكار فإن رسوا الله ﴿ﷺ﴾ منع منه ، وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل ، وأسعار لا تجحف بالفريقين ، البائع والمبتاع ، فمن قارف حكره بعد نهيك إياه فنكل به وعاقبه من غير إسراف .

ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم والمساكين والمحتاجين وأهل البؤسى والزمنى فإن فى هذه الطبقة قانعاً ومعتراً فأحفظ الله ما استحفظك من حقه فيهم ، واجعل لهم قسماً من بيت مالك ، وقسماً من غلات صوافي الإسلام في كل بلد فإن للأقصى منهم مثل الذي للأدنى ، وكل قد استرعيت حقه فلا يشغلنك عنهم بطر ، فإنك لا تعذر بتضييعك التافه لإحكامك الكثير المهم ، فلا تشخص همك عنهم ، ولا تصعر خدك لهم ، وتفقد أمور من لا يصل إليك منهم ممن تقتحمه العيون ، وتحقره الرجال ، ففرغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع ، فليرفع إليك أمورهم ثم أعمل منهم بالأعذار إلى الله سبحانه وتعالى يوم تلقاه فإن هؤلاء من بين الرعية أحوج إلى الإنصاف من غيرهم ، وكل فأعذر إلى الله في تأدية حقه إليه .

وتعهد أهل اليتم ، وذوي الرقة في السن ممن لا حيلة له ، ولا ينصب للمسألة نفسه ، وذلك على الولاة ثقيل والحق كله ثقيل ، وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العاقبة فصبروا أنفسهم ، ووثقوا بصدق موعود الله لهم .

واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تفرغ لهم فيه شخصك ، وتجلس لهم فيه مجلساً عاماً ، فتتواضع فيه لله الذى خلقك ، وتبعد عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشرطك حتى يكلمك متكلمهم غير متعتع فإنى سمعت رسول الله (ﷺ) يقول في غير موطن " **لن تقدس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متعتع** " .

ثم احتمل الخرق منهم والعي ، ونح عنك الضيق والأنف يبسط الله عليك بذلك أكناف رحمته ، ويوجب لك ثواب طاعتك ، وأعط ما أعطيت هنيئاً وامنع في إجمال وإعذار .

ثم أمور من أمورك لا بد لك من مباشرتها ، منها إجابة عمالك بما لا يغني عنه كتابك ، ومنها إصدار حاجات الناس عند ورودها عليك مما تحرج به صدور أعوانك ، وأمض لكل يوم عمله ، فإن لكل يوم ما فيه واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله أفضل تلك المواقيت ، وأجزل تلك الأقسام ، وإن كانت كلها لله إذا صلحت فيها النية ، وسلمت منها الرعية .

وليكن في خاصة ما تخلص لله به دينك إقامة فرائضه التي هي له خاصة ، فأعط الله من بدنك في ليلك ونهارك ، ووف ما تقربت به

إلى الله تعالى من ذلك كاملاً غير مثلوم ، ولا منقوص بالغاً من بدنك ما بلغ .

وإذا قمت في صلاتك للناس فلا تكونن منفراً ولا مضيعاً ، فإن في الناس من به العلة وله الحاجة ، وقد سألت رسول الله ﴿ﷺ﴾ حين وجهني إلى اليمن كيف أصلي بهم ؟ قال : " كصلاة أضعفهم ، وكن بالمؤمنين رحيماً "

وأما بعد : هذا فلا يطولن احتجابك عن رعيتك ، فإن احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق ، وقلة علم بالأمور ، والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه ، فيصغر عندهم الكبير ، ويعظم الصغير ، ويقبح الحسن ، ويحسن القبيح ، ويشاب الحق بالباطل ، وإنما الوالي بشر لا يعرف ما يواري عنه الناس من الأمور ، وليست على الحق سمات تعرف بها ضروب الصدق من الكذب ، وإنما أنت أحد رجلين ، إما أمرؤ سخت نفسك بالبذل في الحق ، ففيم احتجابك من واجب حق تعطيه ، أو فعل كريم تسديه ؟ وإما امرؤ مبتلى بالمنع ، فما أسرع كف الناس عن مسألتك إذا يئسوا من ذلك ! مع أن أكثر حاجات الناس إليك مما لا مؤنة فيه عليك من شكاة مظلمة أو طلب إنصاف في معاملة .

ثم إن للوالي خاصة وبطانة ، فيهم استئثار متطاول وقلة إنصاف في معاملة ، فاحسم مادة ذلك بقطع أسباب تلك الأحوال ، ولا تقطعن لأحد من حاشيتك وخاصتك قطيعة ، ولا يطمعن منك في اعتقاد

عقده تضر بمن يليها من الناس في شرب أو عمل مشترك يحملون مؤونته على غيرهم ، فيكون مهنأ ذلك لهم دونك ، وعيبه عليك في الدنيا والآخرة .

والزم الحق من لزمه من القريب والبعيد ، وكن في ذلك صابراً محتسباً ، واقعاً ذلك من قرابتك وخاصتك حيث وقع ، وابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه ، فإن مغبة ذلك محمودة .

وإن ظنت الرعية بك حيفاً فأصحر لهم بعذرك ، واعدل عنك ظنونهم بإصحارك ، فإن ذلك إعذاراً تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق .

ولا تدفعن صلحاً دعاك إليه عدوك ولله فيه رضاً ، فإن في الصلح دعة لجنودك ، وراحة من همومك ، وأمناً لبلادك ، ولكن احذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه ، فإن العدو ربما قارب ليتغفل ، فخذ بالحزم واتهم فى ذلك حسن الظن ، فإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة وألبسته منك ذمة فحط عهدك بالوفاء وارع ذمتك بالأمانة ، واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت ، فإنه ليس من فرائض الله شيء الناس أشد عليه أجتماعاً مع تفرق أهوائهم ، وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود ، وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوبلو من عواقب الغدر ، فلا تغدرن بذمتك ، ولا تخيسن بعهدك ، ولا تختلن عدوك ، فإنه لا يجترىء على الله إلا جاهل شقي ، وقد جعل الله عهده وذمته أمناً قضاه بين العباد برحمته ، وحرماً يسكنون

إلى منعته ، ويستفيضون إلى جواره ، فلا إدغال ولا مدالسة ولا خداع فيه .

ولا تعقد عقداً تجوز فيه العلل ، ولا تعولن على لحن قول إلا بعد التأكيد والتوثقة ، ولا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله إلى طلب أنفساخه بغير الحق ، فإن صبرك على ضيق ترجو انفراجة وفضل عاقبته خير من عذر تخاف تبعته ، وأن تحيط بك من الله طلبة فلا تستقيل فيها دنياك ولا آخرتك .

وإياك والدماء وسفكها بغير حلها ، فإنه ليس شيء أدعى لنقمة ولا أعظم تبعة ، ولا أحرى بزوال نعمة وانقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقها ، والله سبحانه مبتدىء بالحكم بيت العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة ، فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام ، فإن ذلك مما يضعفه ويوهنه بل يزيله وينقله ، فلا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد ، لأن فيه قود البدن ؛ فإن ابتليت بخطإ وأفرط عليك سوطك أو سيفك أو يدك بعقوبة ، فإن في الوكزة فما فوقها مقتلة ، فلا تطمحن بك نخوة سلطانك عن أن تؤدي إلى أولياء المقتول حقهم .

وإياك والإعجاب بنفسك ، والثقة بما يعجبك منها ، وحب الإطراء فإن ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين .

وإياك والمن على رعيتك بإحسانك ، والتزيد فيما كان من فعلك وأن تعدهم فتتبع موعدك بخلف ، فإن المن يبطل الإحسان ، والتزيد يذهب بنور الحق ، والخلف يوجب المقت عند الله والناس .

قال الله تعالى ﴿ كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون (١) ﴾

وإياك والعجلة بالأمور قبل أوانها ، أو التسقط فيها عند إمكانها ، أو اللجاجة فيها إذا تنكرت ، أو الوهن عنها إذا استوضحت ، فضع كل أمر موضعه وأوقع كل عمل موقعه .

وإياك والإستئثار بما الناس فيه أسوة والتغابي عما يعنى به مما قد وضح لعيون الناظرين ، فإنه مأخوذ منك لغيرك ، وعما قليل تنكشف عنك أغطية الأمور ، وينتصف منك للمظلوم .

املك حمية أنفك ، وسورة حدك ، وسطوة يدك ، وغرب لسانك واحترس من كل ذلك بكف البادرة ، وتأخير السطوة يسكن غضبك فتملك الإختيار ، ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد إلى ربك .

والواجب عليك أن تتذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة عادلة ، أو سنة فاضلة أو أثر من نبينا ﴿ﷺ﴾ أو فريضة في كتاب الله فتقتدي بما شاهدت مما عملنا به فيها ، وتجتهد لنفسك في اتباع ما عهدت إليك في عهدي هذا ،

---

١) سورة الصف الآية ٣

واستوثقت به من الحجة لنفسي عليك ، لكيلا تكون لك علة عند تسرع نفسك إلى هواها .

وأنا أسأل الله بسعة رحمته ، وعظيم قدرته على إعطاء كل ذي رغبة ، أن يوفقني وإياك لما فيه رضاه من الإقامة على العذر الواضح إليه وإلى خلقه ، مع حسن الثناء في العباد وجميل الأثر في البلاد ، وتمام النعمة ، وتضعيف الكرامة ، وأن يختم لي ولك بالسعادة والشهادة ﴿ **وإنا لله وإنا إليه راجعون** (١) ﴾ .

* * *

---

١) سورة البقرة الآية ١٥٦

الفصل السادس :

وصيته كرم الله وجهه لعثمان بن حنيف (١)

بلغ علياً كرم الله وجهه أن عامله على البصرة عثمان بن حنيف دعى إلى وليمة قوم من أهلها فمضى إليها فكتب إليه : –

« أما بعد : يابن حنيف ، فقد بلغني أن رجلا من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة فأسرعت إليها ، تستطاب لك الألوان وتنقل لك الجفان وما ظننت أنك تجيب إلى طعام قوم عائلهم مجفو ، وغنيهم مدعو ، فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم ، فما اشتبه عليك علمه فالفظه ، وما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه .

ألا وإن لكل مأموم إماماً يقتدي به وتستضيء بنور عمله ، ألا وإن إمامكم قد اكتفي من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه ، ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك ، ولكن أعينوني بورع واجتهاد ، وعفة وسداد فوالله ما كنزت من ديناياكم تبراً ، ولا ادخرت من غنائمها وفراً ، ولا أعددت لبالي ثوبي طمرا ».

١) هو عثمان بن حنيف بن وهب الأنصاري الأوسي ، أبو عمرو ، من الصحابه شهد أحداً وما بعدها ، ولاه عمر السواد ثم ولاه علي البصرة ، ولما نشبت فتنة الجمل بين عائشة وعلي دعاه أنصار عائشة إلى الخروج معهم على علي فأمتنع ، فنتفوا شعر رأسه ولحيته وحاجبيه ، وأستأذنوا به عائشة فأمرتهم بإطلاقه ، فلحق بعلي وحضر معه الوقعة ، ثم سكن الكوفة ، وتوفي فى خلافة معاوية . (الأعلام لخير الدين الزركلي)

ولا حـــزت مـن أرضهـا شبراً ولا أخـذت منهـا إلا كقـوت أتـان

دبرة ، ولـهي فـي عينـي أوهى وأهون من عفصة مقره

بلى كانت " فدك " من كل ما أظلته السماء فشـحت عليهـا نفـوس قـوم وسخت عنها نفوس قوم آخرين ، ونعم الحكم اللـه ، ومـا أصنـع بفـدك وغير فدك ، والنفس مظانها في غد جدث ، تنقطع فيه آثارها ، وتغيب أخبارها ، وحفرة لوزيد في فسحتها ، وأوسعت يدا حافرها ، لأضغطهـا الحجـر والمـدر ، وسـد فرجهـا التـراب المـتراكم ، وإنمـا هـي نفسـي أروضها بالتقوى ، لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر ، وتثبت على جوانـب المزلق .

ولو شئت لا هتديت الطريق إلى مصفي هـذا العسل ولبـاب هـذا القمح ، ونسائج هذا القز ، ولكن هيهات أن يغلبنـي هـواي ، ويقودنـي جشعي إلى تخير الأطعمة ، ولعل بالحجاز وباليمامة من لا طمع له فـي القرص ، ولا عهد لـه بالشبع ، أو أبيت مبطاناً وحولي بطـون غرثـى ، وأكباد حرى ، أو أكون كما قال القائل :

وحسبك عاراً أن تبيت ببطنة

وحـــولك أكباد تحن إلى القد

أأقنـع مـن نفسـي بـأن يقـال : هـذا أمـير المؤمنين ، ولا أشـاركهم فـي مكـاره الدهـر ، أو أكـون أسـوة لهـم فـي جشـوبة العيـش ، فمـا خلقـت ليشغلني أكل الطيبات ، كالبهيمة المربوطة ، همها علفها ، أو المرسلة

شغلها تقممها ، تكترش من أعلافها ، وتلهو عما يراد بها ، أو أترك سدي وأهمل عابثاً ، أو أجر حبل الضلالة ، أو أعتسف طريق المتاهة.

وكأني بقائلكم يقول : إذا كان هذا قوت ابن أبي طالب ، فقد قعد به الضعف عن قتال الأقران ، ومنازلة الشجعان ، ألا وإن الشجرة البرية أصلب عوداً والروائع الخضرة أرق جلودا ، والنابتات البدوية أقوى وقودا .

وأنا من رسول الله كالصنو من الصنو ، والذراع من العضد ، والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها ، ولو أمكنت الفرص من رقابها لسارعت إليها ، وسأجهد في أن أطهر الأرض من هذا الشخص المعكوس ، والجسم المركوس ، حتى تخرج المدره من بين حب الحصيد .

إليك عنى يادنيا ، فحبلك على غاربك ، قد أنسللت من مخالبك ، وأفلت من حبائلك ، وإجتنبت الذهاب فى مداحضك ، أين القوم الذين غررتهم بمداعبك ؟ أين الأمم الذين فتنتهم بزخارفك ؟ هاهم رهائن القبور ، ومضامين اللحود ، والله لو كنت شخصاً مرئياً ، وقالباً حسياً لا أقمت عليك حدود الله فى عباد غررتهم بالأمانى ، وأمم ألقيتهم فى المهاوي ، وملوك أسلمتهم إلى التلف ، وأوردتهم موارد البلاء ، إذ لا ورد ولا صدر ، هيهات من وطىء دحضك زلق ، ومن ركب لججك غرق ، ومن أزورا عن حبائلك وفق ، والسالم منك لا يبالي إن ضاق به مناخه ، والدنيا عنده كيوم حان إنسلاخه ، إعزبي عني فوالله لا

أذل لك فتستذليني ، ولا أسلس لك فتقوديني ، وأيم الله يميناً أستثني فيها بمشيئة الله لأروضن نفسي رياضه تهش معها إلى القرص إذا قدرت عليه مطعوماً ، وتقتنع بالملح مأدوماً ، ولا أدعن مقلتي كعين ماء نضب معينها ، مستفرغة دموعها .

أتمتليء السائمه من رعيها فتبرك ، وتشبع الربيضه من عشبها فتربض ، ويأكل علي من زاده فيهجع ، قرت إذن عينه إذا إقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة والسائمة المرعية .

طوبى لنفس أدت إلى ربها فرضها ، وعركت بجنبها بؤسها ، وهجرت فى الليل غمضها ، حتى إذا غلب الكرى عليها ، إفترشت أرضها ، وتوسدت كفها ، في معشر أسهر عيونهم خوف معادهم ، وتجافت عن مضاجعهم جنوبهم ، وهمهمت بذكر ربهم شفاههم ، وتقشعت بطول إستغفارهم ذنوبهم ، ﴿ **أولئك حزب الله ، ألا إن حزب الله هم المفلحون** (١) ﴾ .

فاتق الله يابن حنيف ولتكفك أقراصك ، ليكون من النار خلاصك . ﴾

***

١) سورة المجادلة الآية ٢٢

الفصل السابع :

وصيته كرم الله وجهه لكميل بن زياد [1]

قال الإمام علي كرم الله وجهه يوصي كميل بن زياد : -

﴿ ياكميل بن زياد ، القلوب أوعيــة ، فخيرها أوعاها ، إحفظ ما أقول لك : الناس ثلاثة ، فعالم ربانى ، ومتعلم علـى سبيل نجاة ، وهمج رعاع أتباع كل نـاعق ، يميلون مع كل ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق .

العلم خير من المال ، العلم يحرسك ، وأنت تحرس المال ، العلم يزكو على العمل ، والمال تنقصه النفقة ، ومحبة العالم دين يدان بها ، العلم يكسب العالم الطاعة فى حياته ، وجميل الأحدوثة بعد موته ، وصنيعة المال تزول بزواله ، مات خزان الأموال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقي الدهر ، أعيانهم مفقـوده ، وأمثالهم فـى القلوب موجودة ، هاه ، إن ههنا وأشار بيده إلى صدره علماً لو أصبت له حملة ، بلى أصبته لقباً غير مأمون عليه .

* * *

---

١) هو كميل بن زياد بن نهيك النخاعي ، تابعى من أصحاب علي بن أبى طالب ، شهد صفين مع علي ، سكن الكوفة ، قتلـه الحجـاج (الأعلام لخير الدين الزركلي) .

يستعمل آلة الدين للدنيا يستظهر بحجج الله على كتابه ، وبنعمه على عباده ، أو منقاداً لأهل الحق ، لا بصيرة له فى إحيائه ، يقتدح الشك فى قلبه بأول عارض من شبهه ، لاذا ولا ذاك ، أو مفهوم باللذات ، سلس القياد للشهوات ، أو مغرى بجمع الأموال والإدخار ، وليس من دعاة الدين ، أقرب شبهاً بهما الأنعام السائمة ، كذلك يموت العلم بموت حامليه .

اللهم بلى ، لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة ، لئلا تبطل حجج الله وبيناته ، أولئك هم الأقلون عدداً ، الأعظمون عند الله قدراً ، بهم يدفع الله عن حججه حتى يؤدوها إلى نظرائهم ، ويزرعوها فى قلوب أشباههم ، هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فآستلانوا ما استوعر منه المترفون ، وانسوا بما استوحش منه الجاهلون ، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة ، بالمنظر الأعلى ، أولئك خلفاء الله في بلاده . ودعاته إلى دينه ، هاه هاه شوقاً إلى رؤيتهم ، وأستغفر الله لي ولك . إذا شئت فقم . ﴾

***

الفصل الثامن :

وصيته كرم الله وجهه لشريح بن هانىء [1]

قال الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يوصي شريح بن هانىء لما جعله على مقدمة الجيش إلى الشام :-

﴿ اتق الله في كل صباح ومساء وخف على نفسك الدنيا الغرور ، ولا تأمنها على حال ، واعلم أنك لم تردع نفسك عن كثير مما تحب مخافة مكروهه سمت بك الأهواء إلى كثير من الضرر ، فكن لنفسك ما نعاً رادعاً ، ولنزوتك عند الحفيظة قامعاً . ﴾

* * *

١) هو شريح بن هانىء بن يزيد الحارثي راجز ، شجاع ، من مقدمي أصحاب علي ، كان من أمراء جيشه يوم الجمل ، ولما كان يوم التحكيم بعث علي أبا موسى ، ومعه أربعمائة رجل ، عليهم شريح بن هانىء . قتل غازياً بسجستان (الأعلام لخير الدين الزركلي) .

الفصل التاسع :

وصيته كرم الله وجهه لمعقل بن قيس الرياحي [1]

قال الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يوصي معقل بن قيس الرياحى حين أنفذه إلى الشام : –

﴿ اتق الله الذي لا بد لك من لقائه ، ولا منتهى لك دونه ، ولا تقاتلن إلا من قاتلك ، وسر البردين ، وغور بالناس ، ورفه باليسر ، ولا تسر أول الليل ، فإن الله جعله سكناً ، وقدره مقاماً لا ظعناً ، فأرح فيه بدنك وروح ظهرك ، فإذا وقفت حين ينبطح السحر ، أو حين ينفجر الفجر ، فسر على بركة الله ، فإذا لقيت العدو فقف من أصحابك وسطاً ولا تدن من القوم دنو من يريد أن ينشب الحرب ، ولا تباعد عنهم تباعد من يهاب البأس حتى يأتيك أمري ، ولا يحملنكم شنآنهم على قتالهم قبل دعائهم والإعذار إليهم . ﴾

* * *

١) هو معقل بن قيس (أو عبد قيس) الرياحي ، من بني يربوع أدرك عصر النبوة ، ثم كان من أمراء الصفوف يوم الجمل . وولي شرطة علي بن أبي طالب ، فلما خرج المستورد بن علفة ، جهز المغيرة معقلاً في ثلاثة آلاف ، وسيره لقتاله فنشبت بينهما معركة على شاطيء دجلة ، فتبارزا فقتلا معاً (الأعلام لخير الدين الزركلي) .

الفصل العاشر :

وصيته كرم الله وجهه لقيس بن سعد [1]

قال علي بن أبي طالب ، كرم الله وجهه ، يوصي قيس بن سعد حين ولاه مصر : –

﴿ سر إلى مصر فقد وليتكها ، واخرج إلى رحلك ، واجمع إليك ثقاتك ، ومن أحببت أن يصحبك حتى تأتيها ومعك جند ، فإن ذلك أرعب لعدوك ، وأعز لوليك ، فإذا أنت قدمتها إن شاء الله فأحسن إلى المحسن ، واشتد على المريب ، وارفق بالعامة والخاصة ، فإن الرفق يمن . ﴾

* * *

١) هو قيس بن سعد بن عبادة وال صحابي ، من دهاة العرب ، ذوي الرأي والمكيدة في الحرب والنجدة ، وأحد الأجواد المشهورين . كان شريف قومه غير مدافع ، وكان يحمل راية الأنصار مع النبى «ﷺ» ، ويلي أموره ، صحب علياً في خلافته ، فاستعمله على مصر (الأعلام لخير الدين الزركلي) .

الفصل الحادى عشر :

وصيته كرم الله وجهه لعبد الله بن العباس [1]

قال الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يوصي عبد الله بن عباس عندما ولاه البصرة : -

﴿ سع الناس بوجهك ومجلسك وحكمك ، وإياك والغضب فإنه طيرة من الشيطان ، وأعلم أن ما قربك من الله يباعدك من النار ، وما باعدك من الله يقربك من النار . ﴾

وقال يوصيه لما بعثه للاحتجاج على الخوارج : -

﴿ لا تخاصمهم بالقرآن ، فإن القرآن حمال ذو وجوه تقول ويقولون ولكن حاججهم بالسنة ، فإنهم لن يجدوا عنها محيصاً . ﴾

* * *

١) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي ، أبو العباس حبر الأمة ، ولد بمكة فلازم رسول الله (ﷺ)، وروى عنه الأحاديث الصحيحة . وشهد مع علي الجمل وصفين ، وكف بصره في آخر عمره ، فسكن الطائف ، وتوفي بها .
(الأعلام لخير الدين الزركلي) .

الفصل الثاني عشر :

وصيته كرم الله وجهه لمن إستعمله على جمع الصدقات

قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوصي من يستعمله على الصدقات : -

انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له ، ولا تروعن مسلماً ، ولا تجتازن عليه كارهاً ، ولا تأخذن منه أكثر من حق الله في ماله ، فإذا قدمت على الحي فأنزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم ، ثم أمض إليهم بالسكينة والوقار حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم ، ولا تخدج بالتحية لهم ، ثم تقول :

عباد الله ، أرسلني إليكم ولي الله وخليفته لآخذ منكم حق الله في أموالكم ، فهل لله في أموالكم حق فتؤدوه إلى وليه ؟ فإن قال قائل : لا : فلا تراجعه ، وإن أنعم لك منعم فانطلق معه من غير أن تخيفه أو توعده أو تعسفه أو ترهقه ، فخذ ما أعطاك من ذهب أو فضة ، فإن كان له ماشية أو إبل ، فلا تدخلها إلا بإذنه ، فإن أكثرها له ، فإذا أتيتها فلا تدخل عليها دخول متسلط عليه ، ولا عنيف به ، ولا تنفرن بهيمة ، ولا تفزعنها ، ولا تسوءن صاحبها فيها وأصدع المال صدعين ، ثم خيره فإذا اختار فلا تعرضن لما اختاره ، فلا تزال كذلك حتى يبقى ما فيه وفاء لحق الله في ماله ، فأقبض حق الله منه

فإن استقالك فأقله ، ثم أخلطهما ، ثم أصنع مثل الذي صنعت أولاً حتى تأخذ حق الله في ماله ، ولا تأخذن عوداً ولا هرمة ، ولا مكسورة ، ولا مهلوسة ، ولا ذات عوار ، ولا تأمنن عليها إلا من تثق بدينه ، رافقاً بمال المسلمين حتى يوصله إلى وليهم فيقسمه بينهم ، ولا توكل بها إلا ناصحاً شفيقاً ، وأميناً حفيظاً ، غير معنف ؛ ولا مجحف ، ولا ملغب ولا متعب ، ثم احدر إلينا ما اجتمع عندك نصيره حيث أمر الله به ، فإذا أخذها أمينك فأوعز إليه ألا يحول بين ناقة وبين فصيلها ، ولا يمصر لبنها فيضر ذلك بوليدها ، ولا يجهدنها ركوباً ، وليعدل بين صواحباتها في ذلك وبينها ، وليرفه على اللاغب وليستأن بالنقيب والظالع وليوردها ما تمر به من الغدر ، ولا يعدل بها عن نبت الأرض إلى جواد الطريق ، وليروحها في الساعات ، وليمهلها عند النطاف والأعشاب حتى تأتينا بإذن الله بدناً منقيات غير متعبات ولا مجهودات ، لنقسمها على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله ، فإن ذلك أعظم لأجرك ، وأقرب لرشدك إن شاء الله . ﴾

***

الفصل الثالث عشر :

وصيته كرم الله وجهه لجيشه وعساكره

قال علي كرم الله وجهه يوصي جيشه : -

﴿ فإذا نزلتم بعدو أو نزل بكم ؛ فليكن معسكركم في قبيل الأشراف أو سفاح الجبال ، أو أثناء الأنهار ؛ كيما يكون لكم ردءاً ودونكم مرداً ، ولتكن مقاتلتكم من وجه واحد أو اثنين ، واجعلوا لكم رقباء في صياصي الجبال ، ومناكب الهضاب لئلا يأتيكم العدو من مكان مخافة أو أمن .

واعلموا أن مقدمة القوم عيونهم ، وعيون المقدمة طلائعهم ، وإياكم والتفرق ، فإذا نزلتم فانزلوا جميعاً ، وإذا ارتحلتم فأرتحلوا جميعاً ، وإذا غشيكم الليل فأجعلوا الرماح كفة ، ولا تذوقوا النوم إلا غراراً أو مضمضة . ﴾

وقال يوصي عسكره : -

﴿ لا تقاتلوهم حتى يبدأوكم ، فإنكم بحمد الله على حجة ، وتركتم إياهم حتى يبدأوكم حجة أخرى لكم عليهم ، فإذا كانت الهزيمة بإذن الله ، فلا تقتلوا مدبراً ، ولا تصيبوا معوراً ، ولا تجهزوا على جريح ، ولا تهيجوا النساء بأذى وإن شتمن أعراضكم وسبين

أمراءكم ، فإنهن ضعيفات القوى والأنفس والعقول ، وإن كنا لنؤمر بالكف عنهن وإنهن لمشركات ، وإن كان الرجل ليتناول المرأة في الجاهلية بالفهر أو الهراوة فيعير بها وعقبه من بعده . ﴾

* * *

الفصل الرابع عشر :

وصيته كرم الله وجهه لما يعمل فى أمواله بعد مماته

وقال الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يوصي بما يعمل في أمواله ، كتبها بعد منصرفه من صفين : -

﴿ هذا ما أمر به عبد الله علي بن أبي طالب في ماله ابتغاء وجه الله ليولجه به الجنة ، ويعطيه به الأمنة ، وأنه يقوم بذلك الحسن بن علي يأكل منه بالمعروف ، وينفق في المعروف ، فإن حدث بحسن حدث وحسين حي قام بالأمر بعده ، وأصدره مصدره .

وإن لأبني فاطمة من صدقة علي مثل الذي لبني علي ، وإني إنما جعلت القيام بذلك إلى ابني فاطمة ابتغاء وجه الله ؛ وقربة إلى رسول الله ، وتكريماً لحرمته ، وتشريفاً لوصلته .

ويشترط على الذي يجعله إليه أن يترك المال على أصوله ، وينفق من ثمرة حيث أمر به وهدي له ، وأن لا يبيع من أولاد نخل هذه القرى ودية حتى تشكل أرضها غراساً .

ومن كان من إمائي اللاتي أطوف عليهن لها ولد ، أو هي حامل فتمسك على ولدها ، وهي من حظه ، فإن مات ولدها وهي حية فهي عتيقة ، قد أخرج عنها الرق ، وحررها العتق . ﴾

* * *

الفصل الخامس عشر :

وصيته كرم الله وجهه لأولاده عند موته

قال الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يوصي يوم موته : -

﴿ كل امرىء ملاقيه ما يفر منه ، والأجل تساق النفس إليه ، والهرب منه موافاته ، كم طردت الأيام أتحينها من مكنون هذا الأمر ، فأبى الله عز وجل إلا إخفاءه ، هيهات علم مكنون ، أما وصيتي :

فالله لا تشركوا به شيئاً ، ومحمداً لا تضيعوا سنته ، أقيموا هذين العمودين . حمل كل أمرىء منكم مجهوده ، وخفف عن الحملة رب رحيم ، ودين قويم ، وإمام عليم .

كنا في إعصار ذي رياح تحت ظل عمامة اضمحل راكدها فمحطها من الأرض حياً وبقي من بعدي جنة جأواء ، ساكنة بعد حركة كاظمة بعد نطق .

ليعظكم هدوئي ، وخفوت أطرافي ، إنه أوعظ لكم من نطق البليغ ، ودعتكم وداع أمرىء مرصد لتلاق ، وغداً ترون ويكشف عن ساق عليكم السلام إلى يوم المرام ، كنت بالأمس صاحبكم ، واليوم عظة لكم ، وغداً مفارقكم ، إن أفق فأنا ولي دمي ،

وإن أمت فالقيامة ميعادي ، والعفو أقرب للتقوى ﴿ **ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم** [1] ﴾

وقال يوصيهم بعد أن ضربه ابن ملجم : -

﴿ وصيتى لكم أن لا تشركوا بالله شيئاً ، ومحمد صلى الله عليه وآله فلا تضيعوا سنته ، أقيموا ، أقيموا هذين العمودين وخلاكم ذم . أنا بالأمس صاحبكم ، واليوم عبرة لكم ، وغداً مفارقكم ، إن أبق فأنا ولي دمي ، وإن أفن فالفناء ميعادي ، وإن أعف فألعفو لي قربة ، وهو لكم حسنة فاعفوا .﴿ **ألا تحبون أن يغفر الله لكم** [2] ﴾

والله ما فجأني من الموت وارد كرهته ، ولا طالع أنكرته ، وما كنت إلا كقارب ورد ؛ وطالب وجد ﴿ **وما عند الله خير للأبرار** [3] ﴾ .

* * *

---

1) سورة النور الآية ٢٢

2) سورة النور الآية ٢٢

3) سورة آل عمـــران : ١٩٨

وقال يوصي أبنائه بعد أن ضربه ابن ملجم : –

﴿ يابني ، إياكم أن تخوضوا في دماء المسلمين ، وأن تقولوا : قتل أمير المؤمنين ، ألا لا يقتلن في إلا قاتلي ، وضربة بضربة ، فإياك ياحسن والمثلة ، فإن رسول الله ﷺ نهى عنها ، ولو بالكلب العقور . ﴾

* * *

الباب السابع

وصايا الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

الباب السابع

وصايا الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه (١)

عمر بن عبد العزيز الخليفة العادل ، واطلق عليه الخليفة الراشد الخامس نظراً لما تمتع به من علم وصلاح وعفة وورع وتقوى وإيثار الحق والجراءة فيه ومناصرة العدل .

لله در عمر بن الخطاب جد عمر بن عبد العزيز عندما قال لأبنه عاصم : إذهب فتزوج الفتاه الهلالية التى أبت غش اللبن فى عهده ، لأن الله تعالى يراها فما أحراها أن تأتى بفارس يسود العرب فتزوجها عاصم ، وأنجبت له أم عاصم ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب فتزوجها عبد العزيز بن مروان وأنجبت له عمر بن عبد العزيز .

لقد صدق حدس عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقد أنجبت أم عاصم رجلاً أخذ كثيراً من صفات جده فساد وعدل فى وقت كانت الأمة الإسلامية أحوج ما تكون إلى العدل من أى شىء أخر .

---

١) هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي ، أبو حفص الخليفة الصالح والملك العادل ، وربما قيل له خامس الخلفاء الراشدين تشبيهاً له بهم . وهو من ملوك الدولة المروانية الأموية بالشام . ولد ونشأ بالمدينة ، وولى أمارتها للوليد ثم إستوزره سلمان بن عبد الملك بالشام . وولى الخلافة بعهد من سليمان فبويع فى مسجد دمشق وسكن الناس فى أيامه ، فمنع سب على بن أبى طالب ، لم تطل مدته، قيل دس له السم وهو بدير سمعان من أرض المعرة فتوفى به ، وكان يدعى " أشج بنى أمية " رمحته دابه وهو غلام فشجته (الأعلام لخير الدين الزركلي .)

وعمر بن عبد العزيز قال فى أول خطبة له : ﴿ أيها الناس أصلحوا سرائركم تصلح لكم علانيتكم ، وأصلحوا أخرتكم تصلح دنياكم ، وإن أمرأ ليس بينه وبين آدم أب حى لمعرق فى الموت . ﴾

دامت مدة خلافته سنتان ونصف .

ولعمر بن عبد العزيز من الوصايا الكثيرة والتى يجب أن نستفيد منها : -

* * *

الفصل الأول :

وصاياه رضي الله عنه لعامة الناس

الوصية الأولى :-

قال رضى الله عنه : -

﴿ أيها الناس ما الجزع مما لا بد منه ، وما الطمع فيما لايرجى ، وما الحيلة فيما سيزول ؟ وإنما الشيء من أصله ، فقد مضت قبلنا أصول نحن فروعها ، فما بقاء فرع بعد أصله ؟ إنما الناس فى الدنيا أغراض تنتضل فيهم المنايا ، وهم فيها نهب للمصائب ، مع كل جرعة شرق وفى كل أكلة غصص ، لا ينالون نعمة إلا بفراق أخرى ، ولا يعمر معمر يوماً من عمره إلا بهدم آخر من أجله ، وأنتم أعوان الحتوف على أنفسكم ، فأين المهرب مما هو كائن ؟ وإنما نتقلب فى قدرة الطالب ، فما أصغر المصيبة اليوم ، ومع عظيم الفائدة غداً ، وأكبر خيبة الخائب فيه ، والسلام . ﴾

* * *

الوصية الثانية :

﴿ أيها الناس أوصيكم بتقوى الله ، فإن تقوى الله خلف من كل شيء ، وليس من تقوى الله عز وجل خلف ، واعملوا لآخرتكم ، فإنه من عمل لآخرته كفاه الله تبارك وتعالى أمر دنياه وأصلحوا سرائركم ، يصلح الله الكريم علانيتكم ، وأكثروا ذكر الموت وأحسنوا الاستعداد قبل أن ينزل بكم ، فإنه هادم اللذات ، وإن من لايذكر من آبائه فيما بينه وبين آدم عليه السلام أباً حياً لمعرق في الموت ، وإن هذه الأمة لم تختلف في ربها عز وجل ، ولا في نبيها ﴿ﷺ﴾، ولا في كتابها ، وإنما اختلفوا في الدينار والدرهم ، وإني والله لا أعطي أحداً باطلا ، ولا أمنع أحداً حقا ، إني لست بخازن ، ولكني أضع حيث أمرت أيها الناس : إنه قد كان قبلي ولاة تجترون مودتهم ، بأن تدفعوا بذلك ظلمهم عنكم ، الا لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، من أطاع الله وجبت طاعته ، ومن عصى الله فلا طاعة له ، أطيعوني ما أطعت الله فيكم ، فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم . أقول قولي هذا ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم . ﴾

* * *

الوصية الثالثة :

﴿ يأيها الناس من صحبنا فليصحبنا بخمس ، وإلا فلا يقربنا : يرفع إلينا حاجة من لا يستطيع رفعها ، ويعيننا على الخير بجهده ، ويدلنا من الخير على مالا نهتدى إليه ولا يغتابن عندنا الرعية ، ولا يعترض فيما لا يعنيه ﴾

* * *

الوصية الرابعة :-

﴿ أيها الناس : إنما الدنيا أمل مخترم ، واجل منتقص ، وبلاغ إلى دار غيرها ، وسير إلى الموت ليس فيه تعريج ، فرحم الله امرءً فكر فى أمره ، ونصح لنفسه ، وراقب ربه ، واستقال ذنبه ، ونور قلبه ، أيها الناس : إن أباكم قد أخرج من الجنة بذنب واحد ، وإن ربكم وعد على التوبة ، فليكن أحدكم من ذنبه على وجل ، من ربه على أمل ﴾

* * *

الوصية الخامسة :-

﴿ إيها الناس : إن الدنيا ليست بدار قرار ، دار كتب الله عليها الفناء ، وكتب على أهلها منها الظعن ، فكم عامر موثق عما قليل يخرب ، وكم مقيم مغتبط عما قليل يظعن ، فأحسنوا رحمكم الله منها الرحلة ، بأحسن ما يحضركم من النقلة : وتزودوا فإن خير الزاد التقوى إنما الدنيا كفىء ظلال قلص فذهب ، بينا ابن آدم فى الدنيا منافس ، وبها قرير عين إذ دعاه الله بقدره ورماه بيوم حتفه فسلبه آثاره ودياره ودنياه ، وصير لقوم آخرين مصانعه ومغناه ، وإن الدنيا لا تسير بقدر ما تضر ، إنها تسر قليلاً ، وتجر حزناً طويلا . ﴾

***

الوصية السادسة :-

﴿ أما بعد أيها الناس : ، فلا يطولن عليكم الأمد ، ولا يبعدن عنكم يوم القيامة ، فإن من زافت به منيته ، فقد قامت قيامته ، ولا يستعتب من سيء ، ولا يزيد فى حسن ، ألا لاسلامة لامرىء فى خلاف السنة ، ولا طاعة لمخلوق فى معصية الله ، ألا وإنكم تعدون الهارب من ظلم إمامه عاصياً ، ألا وإن أولاهما بالمعصية الإمام الظالم ألا وإنى أعالج أمراً لا يعين عليه إلا الله ، قد فنى عليه الكبير

وكبر عليه الصغير ، وفصح عليه الأعجمى ، وهاجر عليه الأعرابى ، حتى حسبوه ديناً ، لا يرون الحق غيره . ثم قال " إنه لحبيب إلى أن أوفر أموالكم وأعراضكم إلا بحقها ، ولا قوة إلا بالله . ﴾

* * *

الوصية السابعة :-

﴿ وخطب فقال يأيها الناس : إن لكل سفر زاداً لا محالة ، فتزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة ، وكونوا كمن عاين ما عد الله له من ثوابه وعقابه ، فرغبوا ورهبوا ، ولا يطولن عليكم الأمد ، فتقسو قلوبكم ، وتنقادوا لعدوكم ، فإنه والله ما بسط أمل من لا يدري لعله لايصبح بعد إمسائه ، ولا يمسى بعد إصباحه ، وربما كانت بين ذلك خطفات المنايا ، فكم رأينا ورأيتم من كان بالدنيا مغترا ، فأصبح فى حبائل خطوبها ومناياها أسيراً ، وإنما تقر عين من وثق بالنجاة من عذاب الله ، وإنما يفرح من أمن من أهوال يوم القيامة ، فأما من لايبرأ من كلم إلا أصابه جارح من ناحية أخرى ، فكيف يفرح ؟ أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى عنه نفسى ، فتخسر صفقتى ، وتظهر عورتى وتبدو مسكنتى ، فى يوم يبدو فيه الغني والفقير ، والموازين منصوبة ، والجوارح ناطقة فلقد عنيتم بأمر لوعنيت به النجوم لا نكدرت ، ولو عنيت به الجبال لذابت ، أو الأرض لا نفطرت ، أما

تعلمون أنه ليس بين الجنة والنار منزلة ، وأنكم صائرون إلى إحداهما ؟ . ﴾

* * *

الوصية الثامنة :-

﴿ أيها الناس : من وصل أخاه بنصيحة له فى دينه ، ونظر له فى صلاح دنياه ، فقد أحسن صلته وأدى واجب حقه ، فاتقوا الله فإنها نصيحة لكم فى دينكم ، فاقبلوها ، وموعظة منجية فى العواقب ، فالزموها ، الرزق مقسوم ، فلن يعدو المؤمن ما قسم له ، فأجملوا فى الطلب ، فإن فى القنوع سعه وبلغة ، وكفافاً ، إن أجل الدنيا فى أعناقكم وجهنم أمامكم ، وما ترون ذاهب ، وما مضى فكأن لم يكن وكل أموات عن قريب وقد رأيتم حالات الميت وهو يسوق ، وبعد فراغة وقد ذاق الموت ، والقوم حوله يقولون قد فرغ رحمه الله ،وعاينتم تعجيل إخراجه ، وقسمة تراثه ، ووجهه مفقود ، وذكره منسي ، وبابه مهجور كأن لم يخالط إخوان الحفاظ ، ولم يعمر الديار ، فأتقوا هول يوم لا يحقر فيه مثقال ذرة فى الموازين . ﴾

* * *

الوصية التاسعة :-

﴿ أيها الناس : إنكم لم تخلقوا عبثاً ، ولم تتركوا سدى ، وإن لكم معاداً يحكم الله فيه بينكم ، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله التى وسعت كل شيء ، وحرم الجنة التى عرضها السموات والأرض ، اعلموا أن الأمان غداً لمن خاف ربه ، وباع قليلاً بكثير وفانياً بباق ، ألا ترون أنكم فى أسلاب الهالكين ؟ وسيخلفها من بعدكم الباقون ، كذلك حتى تردوا إلى الخير الوارثين ، ثم أنتم فى كل يوم تشيعون غادياً ورائحاً إلى الله ، قد مضى نحبه وبلغ أجله ، ثم تغيبونه فى صدع من الأرض ، ثم تدعونه غير موسد ولا ممهد ، قد خلع الأسباب ، وفارق الأحباب ، وواجه الحساب ، مرتهنا بعمله ، غنيا عما ترك ، فقيراً إلى ما قدم ، وايم الله إنى لأقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثر مما عندي ، فأستغفر الله لى ولكم وما تبلغنا عن أحد منكم حاجة يتسع لها ما عندنا إلا سددناها ، ولا أحد منكم إلا وددت أن يده مع يدي ، ولحمتى الذين يلونني ، حتى يستوي عيشنا وعيشكم ، وايم الله إنى لو أردت غير هذا من عيش أو غضارة لكان اللسان منى ناطقاً ذلولا ، عالما بأسبابه ، لكنه مضى من الله كتاب ناطق وسنة عادلة دل فيها على طاعته ونهى فيها عن معصيته . ﴾

***

الفصل الثانى :

وصيته رضي الله عنه لبعض عماله

قال رضى الله عنه يوصى بعض عماله : -

﴿ أما بعد ، فكأن العباد قد عادوا إلى الله ، ثم ينبئهم بما عملوا ، ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى ، فإنه لا معقب لحكمه ولا منازع لأمره ، وإنى أوصيتك بتقوى الله وأحثك على الشكر فيما أصطنع عندك من نعمة ، وآتاك من كرامته ، فإن نعمه يمدها شكره ، ويقطعها كفره ، وأكثر ذكر الموت الذى لا تدري متى يغشاك ، فلا مناص ولا فوت ، وأكثر ذكر يوم القيامة وشدته ، فإن ذلك يدعوك إلى الزهادة فيما رغبت فيه ، والرغبة فيما زهدت فيه ، ثم كن مما أوتيت من الدنيا على وجل ، فإن من لا يحذر ذلك ولا يتخوفه توشك الصرعة أن تدركه فى الغفلة ، وأكثر النظر فى عملك فى دنياك بالذى أمرت به ، ثم اقتصر عليه فإن فيه لعمري شغلا عن دنياك ، ولن تدرك العلم حتى تؤثره على الجهل ، ولا الحق حتى تذر الباطل ، نسأل الله لنا ولك حسن معونته ، وأن يدفع عنا وعنك بأحسن دفاعه ، برحمته . ﴾

وكتب إليهم أيضاً : -

﴿ أوصيك بتقوى الله ، والاقتصاد فى أمره ، واتباع سنة رسوله ، وترك ما أحدث المحدثون بعده مما قد جرت به سنته وكفوا مئونته ، واعلم أنه لم يبتدع إنسان قط بدعة إلا قد مضى قبلها ما هو دليل عليها ، وعبرة فيها ، فعليك بلزوم السنة ، فإنها لك بإذن الله عصمة . واعلم أن من سن سنة قد علم ما فى خلافها من الخطأ والزلل والتعمق والحمق ، فإن السابقين الماضين على علم توقفوا وببصر ناقد كفوا . ﴾

* * *

الفصل الثالث :

وصيته رضي الله عنه لبعض الأجناد

قال رضى الله عنه لبعض الأجناد :

﴿ أما بعد ، فإنى أوصيك بتقوى الله ولزوم طاعته والتمسك بأمره والمعاهدة على ما حملك الله عز وجل من دينه ، واستحفظك من كتابه ، فإن بتقوى الله عز وجل نجاء أولياء الله عز وجل من سخطه ، وبها تحق لهم ولا يته ، وبها رافقوا أنبياءه ، وبها نضرت وجوههم ، ونظروا إلى خالقهم ، وهى عصمة فى الدنيا من الفتن ، والمخرج من كرب يوم القيامة ، ولن يقبل ممن بقى إلا مثل مارضى به ممن مضى ، ولمن بقى عبره فيمن مضى ، وسنة الله عز وجل فيهم واحدة ، بادر بنفسك قبل أن يؤخذ بكظمك ، ويخلص إليك كما خلص إلى من كان قبلك ، فقد رأيت الناس كيف يموتون وكيف يتفرقون ؟ ورأيت الموت كيف يعجل التائب عن توبته ، وذا الأمل عن أمله ، وذا السلطان عن سلطانه ؟ وكفى بالموت موعظة بالغة ، وشاغلا عن الدنيا ، ومرغبا فى الآخرة ، فنعوذ بالله عز وجل من شر الموت وما بعده ، ونسأل الله تعالى خيره وخير ما بعده .

لا تطلبن شيئاً من عرض الدنيا بقول ولا فعل تخاف أن يضر بآخرتك ، ويزري بدينك ، ويمقتك عليه ربك ، واعلم أن القدر سيجري

إليك برزقك ، ويوافيك أكلك من دنياك ، غير مزيد فيه بحول منك ولا قوة ، ولا منقوص منه بضعف ، إلا ابتلاك الله بفقر فتعفف فى فقرك ، وأخبت لقضاء ربك ، واعتبر بما قسم الله لك من الإسلام ، وما زوى عنك من نعمة دنياك ، فإن فى الإسلام خلفاً من الذهب والفضه والدنيا الفانية ، واعلم أنه لن يضر عبداً صار إلى رضوان الله عز وجل وإلى الجنة ما أصابه فى الدنيا من فقر وبلاء - وأنه لن ينفع عبداً صار إلى سخط الله عز وجل وإلى النار ما أصاب فى الدنيا من نعمة ورخاء ، مايجد أهل الجنة مس مكروه أصابهم فى الدنيا ، وما يجد أهل النار طعم لذة نعموا بها فى دنياهم ، كأن سائر ذلك لك يكن ، فمن كان راغباً فى الجنة وهارباً من النار ، فالآن فى هذه الأيام الخالية ، والتوبة مقبولة ، والذنب مغفور ، قبل نفاد الأجل ، وانقضاء المدة ، فراغ من الله عز وجل للثقلين ليدينهم بأعمالهم فى موطن لا تقبل فيه الفدية ، ولا تنفع فيه الحيلة ، تبرز فيه الخفيات ، وتبطل فيه الشفاعات ، ويرده الناس جميعاً بإعمالهم ، وينصرفون منه أشتاتاً إلى منازلهم ، فطوبى يومئذ لمن أطاع الله عز وجل ، وويل يومئذ لمن عصى الله عز وجل ، فإن ابتلاك الله بالغنى ، فاقتصد فى غناك ، وضع لله نفسك ، وأد لله عز وجل فرائض حقه من مالك ، وقل عند ذلك ما قال العبد الصالح : " هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربى غنى كريم " ، وإياك أن تفخر بطولك ، وأن تعجب بنفسك ، أو يخيل إليك أن مارزقته

لكرامتك على ربك عز وجل ، وتفضيله إياك على غيرك ممن لم يـرزق مثل غناك ، فإذا أنت أخطأت باب الشكر ، ونزلـت منـازل أهل الفقـر ، وكنت ممن أطغاه الغنى ، وتعجل طيباته فى الدنيـا ، فـإنى أعظك بهـذا وإنى لكثير الإسراف على نفسى ، غير محكم لكثير مـن أمـوري . ولـو أن المرء لا يعظ أخاه حتى يحكم نفسه ، ويعمل فى الذى خلـق لـه مـن عبـادة ربـه عـز وجـل ، إذن لتواكـل النـاس الخـير ، وإذن لرفـع الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر إذن لا ستحلت المحارم ، وقل الواعظون والساعون لله عز وجل بالنصيحة فى الأرض . ﴾

* * *

الفصل الرابع :

وصيته رضي الله عنه لأهل الموسم

وقال رضى الله عنه إلى أهل الموسم :

﴿ أما بعد : فإنى أشهد الله وأبرأ إليه فى الشهر الحرام ، والبلد الحرام ، ويوم الحج الأكبر ، أنى برىء من ظلم من ظلمكم ، وعدوان من إعتدى عليكم ، أن أكون أمرت بذلك أو رضيت أو تعمدته ، إلا أن يكون وهماً منى وأمر خفى على لم أتعمده ، وأرجو أن يكون ذلك موضوعاً عنى مغفوراً لى ، إذا علم منى الحرص والإجتهاد ، ألا وإنه لا إذن على مظلوم دونى ، وأنا معول كل مظلوم ، ألا وأي عامل من عمالى رغب عن الحق ولم يعمل بالكتاب والسنة ، فلا طاعة له عليكم ، وقد صيرت أمره إليكم ، حتى يراجع الحق وهو ذميم ، ألا وإنه لا دولة بين أغنيائكم ولا أثرة على فقرائكم فى شىء من فيئكم ، ألا وأيما وارد ورد فى أمر يصلح الله به خاصة أو عامة ، فله ما بين مائة دينار إلى ثلثمائة دينار ، على قدر ما نوى من الحسبة وتجشم من المشقة .

فرحم الله امرىءً لم يتعاظمـــه سفر يحيى الله بـه حقـا لمـن وراءه ، ولولا أن أشغلكم عن مناسككم لرسمت لكم أموراً من الحق أحياها اللــه لكم ، وأموراً من الباطل أماتهـا اللـه عنـك ، فـلا تحمـدوا غـيره ، ولـو وكلني إلى نفسي كنت كغيري والسلام عليكم . ﴾

* * *

الفصل الخامس :

وصيته رضي الله عنه لإبنه عبد الملك (١)

وقال رضى الله عنه يوصي أبنه عبد الملك :

أما بعد ، فإن أحق من تعاهدت بالوصية والنصيحة بعد نفسي أنت وأن أحق من وعى ذلك وحفظه عنى أنت ، إن الله له الحمد قد أحسن إلينا إحساناً كثيراً بالغا فى لطيف أمرنا وعامته ، وعلى الله إتمام ما غبر من النعمة ، وإياه نسأل العون على شكرها ، فإذكر فضل الله عليك وعلى أبيك ، ثم أعن أباك على ما قوى عليه وعلى ما ظننت أن عنده فيه عجزاً عن العمل ، فيما أنعم به عليه وعليك فى ذلك ، فراغ نفسك وشبابك وصحتك ، وإن استطعت أن تكثر تحريك لسانك بذكر الله تحميداً وتسبيحاً وتهليلاً فافعل ، فإن أحسن ماوصلت به حديثاً حسنا حمد الله وشكره ، وإن أحسن ما قطعت به حديثاً سيئاً حمد الله وذكره ، فلا تفتتن بما أنعم الله به عليك فما عسيت أن تقرظ به أباك بما ليس فيه ،

١) هو عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز ، أمير أموي عاش ملازماً أباه الخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز ، ومات قبيل وفاته وكان من أحب الناس إليه ، قال ابن الحكم : أعان الله عمر بن عبد العزيز بثلاثة أحدهم ابنه عبد الملك . (الأعلام لخير الدين الزركلي)

وإن أباك كان بين ظهري إخوته ، يفضل عليه الكبير ، ويدني دونه الصغير ، وأن كان الله وله الحمد رزقني من والدى حبا جميلاً كنت به راضياً ، أرى ببره أفضل ولده عليه حقا ، حتى ولدت وولدت طائفة من إخوتك ، ولا أخرج بكم من المنزل الذى أنا فيه . ﴾

* * *

الفصل السادس :

وصيته رضي الله عنه ليزيد بن عبد الملك (١)

وقال رضى الله عنه إلى يزيد بن عبد الملك :

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى يزيد بن عبد الملك ، السلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد ، فإنى كتبت إليك وأنا دنف من وجعي ، وقد علمت أنى مسئول عما وليت ، يحاسبنى عليه مليك الدنيا والآخرة ، ولست أستطيع أن أخفى عليه من عملي شيئاً ، يقول تعالى فيما يقول ﴿ **فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين** (٢) ﴾ فإن يرض عنى الرحيم ، فقد أفلحت ونجوت من الهوان الطويل ،

---

١) هو يزيد بن عبد الملك بن مروان ، من ملوك الدولة الأموية فى الشام ، ولد فى دمشق ، وولي الخلافة بعد وفاة عمر بن عبد العزيز بعهد من أخيه سليمان بن عبد الملك ، فيه مروءه مع إفراط فى الإنصراف فى اللذات مات فى إربد من بلاد الأردن أو بالجولان بعد موت قينه له إسمها حبابه بأيام يسيره وكان لحبابة هذه أثر فى أحكام التولية والعزل على عهده .
(الأعلام لخير الدين الزركلي)

٢) سورو الأعراف الآية ٧

وإن سخط على فيا ويح نفسى ! إلام أصير ؟ أسأل الله الذى لا إلــه إلا هو أن يجيرنى من النار برحمتــه ، وأن يمن على برضوانه والجنــة ، وعليك بتقوى الله ، والرعية الرعيــة ، فـإنك لـن تبقـى بعدي إلا قليـلاً حتى تلحق باللطيف الخبير والسلام . ﴾

* * *

الفصل السابع :

وصيته رضي الله عنه لمؤدب ولده

قال رضى الله عنه إلى مؤدب ولده :

﴿ من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى سهل مولاه . أما بعد ، فإنى اخترتك على علم مني بك لتأديب ولدي ، فصرفتهم إليك عن غيرك من موالى وذوى الخاصة بى ، فخذهم بالجفاء فهو أمعن لإقدامهم ، وترك الصحبة فإن عادتها تكسب الغفلة ، وقلة الضحك فإن كثرته تميت القلب ، وليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهي التى بدوها من الشيطان وعاقبتها سخط الرحمن ، فإنه بلغني عن الثقات من أهل العلم أن حضور المعازف واستماع الأغانى واللهج بها ينبت النفاق فى القلب كما ينبت العشب الماء ، ولعمري لتوقى ذلك بترك حضور تلك المواطن أيسر على ذي الذهن من الثبوت على النفاق فى قلبه ، وهو حين يفارقها لا يعتقد مما سمعت أذناه على شىء مما ينتفع به وليفتتح كل غلام منهم بجزء من القرآن يتثبت فى قراءته فإذا فرغ تناول قوسه ونبله ، وخرج إلى الغرض حافياً فرمى سبعة أرشاق ، ثم انصرف إلى القائلة ، فإن ابن مسعود رضى الله عنه كان يقول " يابني قيلوا ، فإن الشياطين لا تقيل . ﴾

* * *

الفصل الثامن :

وصيته رضي الله عنه لعمر بن الوليد بن عبد الملك

كتب رضي الله عنه إلى عمر بن الوليد بن عبد الملك عندما إتهمه الأخير بالظلم والجور لأقربائه فقال :

﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم** من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عمر بن الوليد : السلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين ، أما بعد : فإنه بلغني كتابك وسأجيبك بنحو منه :

أما أول شأنك يابن الوليد ، فإن أمك بنانة أمة السكون ، كانت تطوف فى أسواق حمص وتدخل فى حوانيتها ، ثم الله أعلم بها ، اشتراها ذبيان بن ذبيان من فىء المسلمين ، فأهداها لأبيك ، فحملت بك فبئس الحامل وبئس المحمول ، ثم نشأت فكنت جباراً عنيداً .

تزعم أنى من الظالمين ، لأنى حرمتك وأهل بيتك فىء الله عز وجل الذى هو حق القرابة والمساكين والأرامل ، وإن أظلم مني وأترك لعهد الله من استعملك صبياً سفيهاً على جند المسلمين تحكم بينهم برأيك ، ولم تكن له فى ذلك نية إلا حب الوالد لولده ، فويل لك وويل لأبيك ، وما أكثر خصماءكما يوم القيامة ! وكيف ينجوا أبوك من خصمائه ؟

وإن أظلم مني وأترك لعهد الله من استعمل الحجاج بن يوسف على خمس العرب يسفك الدم الحرام ، ويأخذ المال الحرام .

وإن أظلم مني وأترك لعهد الله من استعمل قرة بن شريك أعرابياً جافياً على مصر ، وأذن له فى المعازف واللهو والشرب .

وإن أظلم مني وأترك لعهد لله من جعل لعالية البربرية سهماً فى الخمس .

فرويدا يابن بنانه ، فلو التقت حلقتا البطان ورد الفىء إلى أهله ، لتفرغت لك ولأهل بيتك ، فوضعتكم على المحجة البيضاء ، فطالما تركتم الحق ، وأخذتم فى بنيات الطريق ومن وراء هذا من الفضل ماأرجو أن أكون رأيته بيع رقبتك وقسم ثمنك بين اليتامى والمساكين والأرامل فإن لكل فيك حقاً ، والسلام علينا ولاينال سلام الله الظالمين . ﴾

* * *

الفصل التاسع :

وصيته رضي الله عنه لأولاده

وقال رضى الله عنه لأولاده :

﴿ حينما أحس عمر بدنو أجله ، استدعى أولاده ، فودعهم وعزاهم وأوصاهم بوصية خالدة تضمنتها محاورته مع مسلمة بن عبد الملك الذى قال له ياأمير المؤمنين إنك قد أقفرت أفواه ولدك من هذا المال ، فلو أوصيت بهم إلي أو إلى نظرائى من قومك ، فكفوك مؤونتهم ، فلما سمع مقالته : قال أجلسوني ، فأجلسوه ، فقال : قد سمعت مقالتك يامسلمة ، أما قولك ، إنى قد أقفرت أفواه ولدي من هذا المال ، فوالله ماظلمتهم حقاً هو لهم ، ولم أكن لأعطيهم شيئاً لغيرهم ،

وأما ما قلت في الوصية ، فإني وصيي فيهم : (**الله الذى نزل الكتاب ، وهو يتولى الصالحين** (١)) .

وإنما ولد عمر بين أحد رجلين : إما رجل صالح فسيغنيه الله ، وإما غير ذلك ، فلن أكون أول من أعانه بالمال على معصية الله ، ادع لي بني فأتوه ، فلما رآهم ترقرقت عيناه ، وقال : بنفسي فتية تركتهم عالة لا شيء لهم ، وبكى .

---

١) سورة الأعراف الآية ١٩٦

يابني ، إنى قد تركت لكم خيراً كثيراً ، لاتمرون بأحد من المسلمين وأهل ذمتهم إلا رأوا لكم حقاً .

يابني ، إنى قد مثلت بين أمرين ، إما أن تستغنوا وأدخل النار ، أو تفتقروا إلى آخر يوم الأبد ، وأدخل الجنة ، فأرى أن تفتقروا ، إلى ذلك أحب إلي ، قوموا عصمكم الله قوموا رزقكم الله ، وأحسن الخلافة عليكم .)

* * *

الباب الثامن

وصايا فقهاء وحكماء المسلمين

الباب الثامن :

وصايا فقهاء وحكماء المسلمين

الفصل الأول :

وصايا لقمان الحكيم (1) فى غير القرآن الكريم : -

قال لقمان الحكيم يوصي إبنه خلاف الوصايا التى وردت فى القرآن الكريم فى عدة مواضع :

﴿ يابني : جالس العلماء بركبتيك فإن الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل السماء ﴾ .

﴿ يابني : إذا أتيت مجلس قوم فارمهم بالسلام ثم اجلس فلا تنطلق حتى تراهم قد نطقوا فإن أفاضوا في ذكر الله فاجلس معهم وإن أفاضوا في غير ذلك فتحول عنهم إلى غيرهم . ﴾

1) هو لقمان بن باعوراء بن تارح بن آذر ابن أخي إبراهيم ، وقيل هو لقمان بن باعوراء ابن أخت أيوب أو ابن خالته ، وهو حكيم معمر ، عرف فى الجاهلية قبل أن يعرف فى الإسلام وكان قاضياً فى زمن داود ويفتي قبل بعثته ، وفى القرآن سورة بإسمه تعرض نماذج من حكمه والتى تنصب خاصة على وصيته لإبنه ، كان نوبياً من أهل أيله ، وقيل عبداً حبشياً ، كان يعمل نجاراً وقيل خياطاً وكان يرعى الغنم ، كان رجلاً صالحاً ، زاهداً ، تقياً ، ناسكاً حكيماً (البداية والنهاية للحافظ بن كثير) .

﴿ يابني : لا تركـــن إلى الدنيـــا ولا تشغل قلبك بها ، فـإنك لـم تخلـق لها ، وما خلق الله خلقاً أهون عليه من الدنيا فإنـه لـم يجعل نعيمهـا ثوابـــا للمطيعيـــــن ، ولا بلاؤهـــــا عقوبـــــة للعـــــاصين . ﴾

﴿ يابني : أن الدنيا بحر عريض قد هلـك فيـه الأولين والآخرين فـإن استطعت فأجعل سفينتك تقوى بالله وعدتك التوكل على الله ، وزادك العمل الصالح ، فإن نجوت فبرحمة الله وإن هلكت فبذنوبك . ﴾

﴿ يابني : اتخذ تقوى الله تجارتك يأتيك الربح من غير بضاعـة . ﴾

﴿ يابني : اتق الله ولا تر الناس انك تخشى الله ليكرموك بذلك وقلبـك فاجر . ﴾

﴿ يـــابني : لا تؤخـــر التوبـــة فـــإن المـــوت يـــأتي بغـــت . ﴾

﴿ يابني : احضر الجنائز ولا تحضر العرس فإن الجنائز تذكرك الآخرة والعرس يشهيك الدنيا . ﴾

﴿ يـابني : ثلاثـة لا تعرفهم إلا عنـد ثلاثـة ، لا تعرف الحليم إلا عنـد الغضب ، ولا الشجاع إلا عند الحرب ، ولا أخاك إلا إذا إحتجت إيه. ﴾

﴿ يـابني : إن الحكمـة أجلســت المســاكين مجـالس الملـوك . ﴾

﴿ يابني : ان من الكلام ما هو أشد من الحجر ، وأمر مـن الصبـر ،

وأحر من الجمر ، وإن القلوب مزارع ، فازرع فيها طيب الكلام فإن لم ينبت كله نبت بعضه . ﴾

﴿ يابني : كن على حذر من اللئيم إذا أكرمته ومن الكريم إذا أهنته ومن الفاجر إذا خاصمته . ﴾

﴿ يابني : كن مقتصداً ولا تكن مبذراً ولا تمسك المال تقتيراً ولا تعطه تبذيراً . ﴾

﴿ يابني : خداع القلوب يظهر من كلمة على اللسان أو نظرة في العين . ﴾

﴿ يابني : لا تضحك من غير عجب ولا تمشي في غير أرب ولا تضيع مالك وتصلح مال غيرك فإن مالك ما قدمت ومال غيرك ما تركت . ﴾

﴿ يابني : انه من يرحم ، يرحم ومن يصمت يسلم ، ومن يقل الخير يغنم ، ومن يقل الباطل يأثم ، ومن لا يملك لسانه يندم . ﴾

﴿ يابني :استعذ بالله من شرارالناس وكن من خيارهم على حذر. ﴾

﴿ يابني : كن عبداً للأخيار ولا تكن خليلاً للأشرار . ﴾

﴿ يابني : كن أمينا تكن غنيا . ﴾

﴿ يابني : من حمل ما لا يطيق عجز ، ومن أعجب بنفسه هلك ، ومن تكبر على الناس ذل ، ومن لم يشاور ندم ، ومن جالس العلماء علم ، ومن قل كلامه سلم . ﴾

﴿ يابني : لا تأمر الناس بالخير وتنسى نفسك فيكون مثلك مثل السراج الذي يضيء للناس ويحرق نفسه . ﴾

﴿ يابني : اجعل معروفك في أهلك ، ولا تضعه في غير أهله فتخسره في الدنيا ، وتحرم ثوابه في الآخرة . ﴾

﴿ يابني : لقد أكلت الحنظل وذقت الصبر ولكنني لم أجد مرارة في فمي أشد من مرارة الفقر ، فإذا افتقرت فلا تحدث به الناس كي لا ينتقصوك ، فمن ذا الذي سأل الله ولم يعطه ، ومن الذي دعا الله ولم يجبه ، ومن الذي تاب إلى الله ولم يقبله . ﴾

﴿ يابني : للحاسد ثلاث علامات : يغتاب صاحبه إذا غاب ، ويتملقه اذا شهده ، ويشمت فيه عند المصيبة . ﴾

﴿ يابني : لا تتعلم ما لم تعلم حتى تعمل بما تعلم . ﴾

﴿ يابني : اعتزل الشر فإن الشر للشر خلق . ﴾

﴿ يابني : إياك والدين فإنه ذل بالنهار وهم بالليل . ﴾

﴿ يابني : إياك وشدة الغضب فإن شدة الغضب ممحقة لفؤاد الحكيم. ﴾

﴿ يـابني : مـا ندمـت علـى السكوت قط وان كـان الكــلام مــن فضــة فالسكوت من ذهب . ﴾

﴿ يابني : اني موصيك بامور : احفظ قلبك في الصلاة ، واحفظ نظـرك في بيوت النـاس ، واحفظ بطنك من حلقومك ، واذكر اثنين وانس اثنين اذكر الله والموت ، وانس احسانك إلى النـاس واساءتهم إليك . ﴾

﴿ يابنـي : إياك والكـذب فإنـه يفسـد عليـك دينـك ، ويمحـو عليـك عنـد النـاس مروءتك ، ويضيع منزلتك ، ويضيع جاهك ، فلا يسمع أحد منـك إذا حدثت ولا يصدق إذا قلت ، ولا خيرلك فـي الحيـاة إذا كنـت كذلـك ، وإذا اطلع النـاس على ذلك في أمرك ثم صدقت اتهموك وحقروا شأنك ، وأبغضوا مجلسك ، واخفوا عنك اسرارهم ، وختموا حديثهم ، وكتموه وحذروك في أمر دينهم ، ولا يأمنوك فـي شـيء مـن أحوالهـم ، وهـذه حالتك في قلوب النـاس ، وأكبر من ذلك مقت الله في الدنيـا وعقوبتـه في الآخرة . ﴾

﴿ يابني : لا يأكل طعامك إلا الأتقيـاء وشـاور فـي أمـرك العلمـاء . ﴾

﴿ يابني : لتكن كلمتك طيبـة ، وليكـن وجهك بسـطا ، تكـن أحـب إلـى النـاس ممن يعطيهم العطاء . ﴾

﴿ يابني : إن افتقرت يوما فاجعل فقرك فيما بينك وبين الله عـز وجـل ولا تحــدث النــاس بفقــرك فتهــون عليهــم . ﴾

﴿ يابني : ان شر الناس من لا يبالى أن يراه الناس مسيئاً . ﴾

﴿ يابني : لا ترغب في ود الجاهل فيرى أنك ترضى عن عمله ، ولا تهاون بمقت الحكيم فيزهده فيك . ﴾

﴿ يابني : لا كنز أنفع من العلم ، ولا شيء أربح من الأدب ، ولا قرين أزين من العقل ، ولا غائب أقرب من الموت ، ولا شيء أنفع من الصدق ، ولا سيئة اسوأ من الكذب ، ولا عبادة أفضل من الصمت ، ولا عاراً أقبح من البخل . ﴾

﴿ يابني : إن العالم الحكيم يدعو الناس إلى علمه بالصمت والوقار ، وإن العالم الأحمق يطرد الناس من علمه بسقط الكلام والإكثار منه. ﴾

* * *

الفصل الثاني :

وصية الإمام مالك (١) لهارون الرشيد (٢)

كتب الإمام مالك بن أنس رضى الله عنه إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد

١) هو مالك بن أنس بن مالك الأصبحى الحميري ، أبو عبد الله ، إمام دار الهجرة ، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، وإليه تنسب المالكية ، مولده ووفاته فى المدينة ، كان صلباً فى دينه ، بعيداً عن الأمراء والملوك ، وشي به إلى جعفر عم المنصور العباسي ، فضربه سياطاً إنخلعت لها كتفه . ووجه إليه الرشيد العباسي ليأتيه فيحدثه فقال العلم يؤتى ، فقصد الرشيد منزله وإستند إلى الجدار فقال مالك : يأمير المؤمنين من إجلال رسول الله إجلال العلم ، فجلس بين يديه فحدثه ، وسأله المنصور أن يضع كتاباً للناس يحملهم على العمل به فصنف " كتاب الموطأ " ، وله بعض الرسائل والكتب (الأعلام لخير الدين الزركلى) .

٢) هو هارون بن محمد بن المنصور العباسى ، خامس خلفاء الدولة العباسية في العراق وأشهرهم . ولد بالري ، لما كان أبوه أميراً عليها وعلى خرساء . ونشأ فى دار الخلافة فى بغداد . وولاه أبوه غزو الروم فى القسطنطينية . بويع بالخلافة بعد وفاة أخيه الهادي وإزدهرت الدولة فى أيامه . كان عالم بالأدب وأخبار العرب والحديث والفقه ، وكان فصيحاً ، له شعر ومحاضرات مع علماء عصره ، شجاعاً كثير الغزوات ، يلقب بجبار بنى العباس ، حازماً كريماً متواضعاً يحج سنه ويغزو سنه ، لم ير خليفة أجود منه ، ولم يجتمع على باب خليفة ماإجتمع على بابه من العلماء والشعراء والكتاب والندماء . كان يطوف أكثر الليالي متنكراً ، هو صاحب وقعت البرامكة ، وهو من أصل فارسي ، دامت ولايته ثلاث وعشرون سنة وشهران وأيام . توفى فى سناباذ من قرى طوس وبها قبره . (الأعلام لخير الدين الزركلى) .

ووزيره يحيى بن خالد البرمكى [1] :

(بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ، فإنى كتبت إليك بكتاب لم آلك فيه رشداً ، ولم أدخرك فيه نصحاً ، تحميداً لله ، وأدباً عن رسول الله ﷺ فتدبره بعقلك ، وردد فيه بصرك ، وإرعه سمعك ، ثم إعقله بقلبك ، وإحضره فهمك ، ولا تغيبن عنه ذهنك ، فإن فيه الفضل فى الدنيا ، وحسن ثواب الله تعالى فى الآخرة ، إذكر نفسك فى غمرات الموت وكربه وما هو نازل بك منه ، وما أنت موقوف عليه بعد الموت من العرض على الله سبحانه ، ثم الحساب ، ثم الخلود بعد الحساب ، وأعد لله عز وجل ما يسهل به عليك أهوال تلك المشاهد وكربها ،

فإنك لو رأيت أهل سخط الله تعالى ، وما صاروا إليه من ألوان العذاب ، وشدة نقمته عليهم ، وسمعت زفيرهم فى النار وشهيقهم ،

---

1) هو يحيي بن خالد بن برمك الوزير السري الجواد ، سيد بني برمك وأفضلهم ، وهو مؤدب الرشيد العباسي ومعلمه ومربيه ، رضع الرشيد من زوجة يحيي مع إبنها الفضل ، فكان يدعوه يأبي ، ولما ولى هارون الرشيد الخلافة دفع خاتمه إلى يحيي وقلده أمره فبدأ يعلوا شأنه ، وإشتهر يحيى بجوده وحسن سياسته ، وإستمر إلى أن نكب الرشيد بالبرامكة فقبض عليه وسجنه فى الرقة إلى أن مات ، فقال الرشيد مات أعقل الناس وأكملهم . (الأعلام لخير الدين الزركلي)

مع كلوح وجوههم ، وطول غمهم ، وتقلبهم في دركاتها على وجوههم ، لا يسمعون ولا يبصرون ، ويدعون بالويل والثبور ، وأعظم من ذلك حسرة إعراض الله تعالى عنهم ،

وانقطاع رجائهم ، وإجابته إياهم بعد طول الغم بقوله " اخسئوا فيها ولا تكلمون " .

لم يتعاظمك شيء من الدنيا إن أردت النجاة من ذلك ، ولا أمنك من هوله ، ولو قدمت في طلب النجاة منه جميع ماملك أهل الدنيا ، كان في معاينتك ذلك صغيراً ، ولو رأيت أهل طاعة الله تعالى ، وما صاروا إليه من كرم الله عز وجل ومنزلتهم مع قربهم من الله عز وجل ، ونضرة وجوههم ، ونور ألوانهم ، وسرورهم بالنعيم المقيم ، والنظر إليه والمكانة منه ، لتقلل في عينك عظيم ما طلبت به صغير ما عند الله ، ولصغر في عينك جسيم ما طلبت به صغير ذلك من الدنيا ، فاحذر على نفسك حذراً غير تغرير ، وبادر بنفسك قبل أن تسبق إليها وما تخاف الحسرة منه عند نزول الموت ، وخاصم نفسك على مهل وأنت تقدر بإذن الله على جر المنفعة إليها ، وصرف الحجة عنها قبل أن يتولى الله حسابها ، ثم لا تقدر على صرف المكروه عنها ، واجعل من نفسك لنفسك مصيباً بالليل والنهار ، وصل من النهار اثني عشرة ركعة ، واقرأ فيهن ما أحببت ، إن شئت صلهن جميعاً ، وإن شئت متفرقات ، فإنه بلغني عن النبي ﴿ﷺ﴾، أنه قال : " من صلى من النهار اثني عشرة ركعة بنى الله له بيتاً في الجنة " .

وصل من الليل ثمان ركعات بجزء من القرآن ، واعط كل ركعة حقها ، والذي ينبغي فيها من تمام الركوع والسجود ، وصلهن مثنى مثنى ، فإنه بلغني عن النبي (ﷺ)، أنه كان يصلي من الليل ثمان ركعات ، والوتر ثلاث ركعات سوى ذلك يسلم من كل اثنتين ، وصم ثلاثة أيام من كل شهر : الثالث عشر ، والرابع عشر والخامس عشر ، فإنه بلغني عن النبي (ﷺ)، أنه قال : " ذلك صيام الدهر " .

واعط زكاة مالك طيبة بها نفسك حين يحول عليه الحول ، ولا تؤخرها بعد حلها ، وضعها فيمن أمر الله تعالى ، ولا تضعها إلا في أهل ملتك من المسلمين ، فإنه بلغني عن النبي (ﷺ) ، أنه قال: إن الله تعالى لم يرض من الصدقة بحكم نبي ولا غيره حتى حدها هو على ثمانية أجزاء . قال عز وجل : ﴿ **إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل**(١) ﴾ .

واحجج الإسلام من أطيب مالك ، وأزكاه عندك فإن الله تعالى لا يقبل إلا طيباً ، وبلغني قوله تعالى : ﴿ **فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه** (٢) ﴾ .

---

١) سورة التوبة الآية ٦٠

٢) سورة البقرة الآية ٢٠٣

مر بطاعة الله وأحبب عليها ، وأنه عن معاصي الله تعالى ، وابغض عليها ، فإنه بلغني عن النبى ﴿ﷺ﴾ أنه قال : " مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ، فإنما هلك من كان قبلكم بتركهم نهيهم عن المعاصي ، ولم ينههم الربانيون والأحبار " . فمروا بالمعروف ، وانهوا عن المنكر من قبل أن ينزل بكم الذى نزل بهم ، فإن الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر لا يقدم أجلا ، ولايقطع رزقاً .

أحسن إلى من خولك الله تعالى ، واشكر تفضيله إياك عليهم ، فإنه بلغني عن النبي ﴿ﷺ﴾ أنه كان يصلي فانصرف ، وقال " أطت السماء ، وحق لها أن تئط ، ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه جبهة ملك ساجد ، فمن كان له خول فليحسن إليه ، ومن كره فليستبدل ، ولا تعذبوا خلق الله " .

الزم الأدب من وليت أمره وأدبه ، ومن يجب عليك النظر في أمره ، فإنه بلغني عن النبي ﴿ﷺ﴾ أنه قال للفضل بن العباس : " لا ترفع عصاك عن أهلك وأخفهم في الله " .

لا تستسلم إلى الناس واستجرهم في طاعة الله ، ولا تغمص الناس ، واخفض لهم جناحك ، فإنه بلغني عن النبي ﴿ﷺ﴾ أنه قال " ألا أحدثكم بوصية نوح أبنه . قال : آمرك باثنين ، وأنهاك عن اثنتين ، آمرك بقول لا إله إلا الله ، فإنها لو كانت في كفة ، والسموات والأرض في كفة وزنتها ، ولو وضعتها على حلقة قصمتها وقل : سبحان الله وبحمده فإنها عبادة الخلق ، وبها تقطع أرزاقهم ،

فإنهما يكثران لمن قالهما الولوج على الله عز وجل ، وأنهاك عن الشرك والكبر ، فإن الله محتجب عنهما ، فقال له بعض أصحابه ، أمن الكبر أن يكون لي الدابة النجيبة ؟ قال : لا . قال : أمن الكبر أن يكون لي الثوب الحسن ، قال : – لا ، قال : – أفمن الكبر أن يكون لي الطعام أجمع عليه الناس ؟ قال : – لا . إنما الكبر أن تسفه الحق وتغمص الخلق ، وإياك والكبر والزهو ، فإن الله عز وجل لا يحبهما ، وبلغني عن بعض العلماء أنه قال : – " يحشر المتكبرون يوم القيامة في صور الذر تطؤهم الناس بتكبرهم على الله عز وجل ".

لا تأمن على شيء من أمرك من لا يخاف الله ، فإنه بلغني عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أنه قال : شاور في أمرك الذين يخافون الله ، احذر بطانة السوء ، وأهل الردى على نفسك ، فإنه بلغني عن النبي ﴿ﷺ﴾ أنه قال : " ما من نبي ولا خليفة إلا وله بطانتان : بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر ، وبطانة لا تألوه خبالا ، وهو مع التي استولت عليه ، ومن وقي بطانة السوء فقد وقي " .

واستبطن أهل التقوى من الناس ، وأكرم ضيفك فإنه يحق عليك إكرامه ، وارع حق جارك ببذل المعروف ، وكف الأذى عنه ، فإنه بلغني عن النبي ﴿ﷺ﴾ أنه قال : " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه " .

وتكلم بخير أو اسكت ، فإنه بلغني عن النبي (ﷺ) أنه قال " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليمسك " .

واتق فضول المنطق ، فإنه بلغني عن ابن مسعود أنه قال : أنذركم فضول المنطق . وأكرم من وادك ، وكافئه بمودته ، وإياك والغضب في غير الله ، ولاتأمر بخير إلا بدأت بفعله ، ولا تنه عن سوء إلا بدأت بتركه ، ودع من الأمر ما لا يعنيك ، فإنه بلغني عن النبي (ﷺ) أنه قال : " من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه " صل من قطعك ، واعف عمن ظلمك ، واعط من حرمك ، فإنه بلغني عن النبي (ﷺ) أنه قال : " إنها أفضل أخلاق الدنيا والآخرة " .

اتق كثرة الضحك ، فإنه يدعو إلى السفه ، فإنه بلغني عن النبي (ﷺ) أن ضحكه كان تبسماً . ولا تمزح فتذم نفسك ، فإنه بلغني عن النبي (ﷺ) أنه قال : " إني لآمزح ولا أقول إلا حقاً " .

لا تخالف إلى ما نهيت عنه ، وإذا نطقت فأوجز ، فإنه بلغني عن النبي (ﷺ) أنه قال : " وهل يكب الناس في نار جهنم إلا هذا " . يعني لسانه .

لا تصعر خدك للناس ، فإنه بلغني عن النبي (ﷺ) أنه قال : " إن أهل الجنة كل هين لين سهل طلق " .

اترك من أعمال السر ما لا يحسن بك أن تعمله في العلانية . اتق كل شيء تخاف فيه تهمة في دينك ودنياك ، بلغني عن النبي

ﷺ أنه قال : " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقف مواقف التهم " .

أقلل طلب الحوائج من الناس ، فإن في ذلك غضاضة ، وبلغني عن النبي ﷺ أنه قال لرجل : " لا تسأل الناس ، وليكن مجلسك بيتك أو مسجدك : وبلغني عن النبي ﷺ أنه قال : " المساجد بيوت المتقين " .

لا تكثر الشخوص من بيتك إلا في أمر لا بد منه ، فإنه بلغني عن النبي ﷺ أنه قال : " ستة مجالس المسلم ضامن على الله ما كان في شيء منهن : في سبيل الله ، أو في بيت الله ، أو في عيادة مريض ، أو شهود جنازة أو جمعة ، أو عند إمام مقسط يعزره ويوقره " .

أحسن خلقك مع أهلك ، ومن اعتز بك ، فإن ذلك رضا لربك ، ومحبة في أهلك ، ومثراة في مالك ، ومنسأة في أجلك . إنه بلغني عن بعض العلماء من الصحابة أنه قال ذلك . أحسن البشر إلى عامة الناس ،

واتق شتمهم وغيبتهم فإن الله تعالى قال : ﴿ **أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه**(1) ﴾ . وبلغني عن النبي ﷺ أنه قال : " لا تشتم الناس "

اتق أهل الفحش ، ومجالسة أهل الردى ، ومحادثة الضعفة من الناس ، فإنه بلغني عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : اعتبر الناس بأخدانهم فإنما يخادن الرجل الرجل مثله .

أكرم اليتيم ، وارحمه ، واعطف عليه ، فإنه بلغني عن النبي ﷺ أنه قال : " من كفل يتيماً له أو لغيره كنت أنا وهو في الجنة كهاتين " . وأشار بأصبعيه فضمهما .

اعرف لابن السبيل حقه ، واحفظ وصية الله تعالى فيه ، فإنه بلغني أن أول من ضاف الضيف إبراهيم الخليل عليه السلام .

أعن المظلوم ، وانصر ما استطعت ، وخذ على يد الظالم ، وادفعه عن ظلمه ، فإنه بلغني عن النبي ﷺ أنه قال : " من مشى مع مظلوم حتي يثبت له حقه ، ثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام "

اتق اتباع الهوى في ترك الحق ، فإن بلغني عن النبي ﷺ

---

1) سورة الحجرات الآية ١٢

أنه قال : " إني أخاف عليكم اثنتين : اتباع الهوى ، وطول الأمل " ، فإن اتباع الهوى يصد عن الحق ، وطول الأمل ينسي الآخرة .

أنصف الناس من نفسك ولا تستطل عليهم ، فإنه بلغني عن النبي ﴿ﷺ﴾ أنه قال : " أشرف الأعمال ثلاثة : ذكر الله على كل حال ، ومواساة الأخ من المال ، وإنصاف الناس من نفسك " .

اغضض بصرك عن محارم الله ، فإن بلغني عن علي كرم الله وجهه أنه قال : لا تتبع النظرة النظرة ، فإنما لك النظرة الأولى ، وليست لك الأخرى .

اتق المطعم الوبي ، والمشرب الوبي ، والملبس الوبي فإن ذلك تذهب أنفته ، وتبقى عاقبته ، وإن الله سبحانه أدب رسله ، فقال : ﴿ **كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً** (١) ﴾ وقال النبي عليه الصلاة والسلام : " من أكل بأخيه المسلم أكلة ، أطعمه الله مكانها أكلة من نار ، ومن سمع بأخيه المسلم ، سمع الله به يوم القيامة ، ومن لبس بأخيه المسلم ثوباً ، ألبسه الله مكانه ثوباً من نار " .

اقبل عذر من اعتذر إليك ، وارجع عما كرهت ، فإنه بلغني عن النبي ﴿ﷺ﴾ أنه قال : " من اعتذر إلى أخيه المسلم فلم يعذره كان عليه مثل وزر صاحب مكس " .

---

١) سورة المؤمنين الاية ٥١

لتكن يدك العليا على كل من خالطت ، فإنه بلغني عن النبي ﷺ أنه قال : " اليد العليا خير من اليد السفلى " .

اصحب الأخيار فإنهم يعينونك على أمر الله عز وجل ، فإنه بلغني عن النبي ﷺ أنه قال : " ما تحاب رجلان في الله إلا كان أفضلهما أشدهما حبا لصاحبه " .

صل رحمك وإن قطعك ، ولا تكافئه بمثل ما أتي إليك ، فإنه بلغني عن النبي ﷺ : " أن رجلا قال له : " لي أقرباء ، أعفوا ويظلموني ، وأصل ويقطعوني ، وأحسن ويسيئوني ، أفأكافئهم ؟ " فقال ﷺ : إذن تتركوا جميعاً ، ولكن إذا أساءوا فأحسن فإنه لن يزال لك عليهم من الله ظهير " .

ارحم المسكين المضطر ، والغريب المحتاج ، وأعنه على ما استطعت من أمره ، فإنه بلغني عن ابن عباس أنه قال : " كل معروف صدقة "

ارحم السائل ، واردده من بابك بفضل معروفك ، بالبذل منك ، أو قول معروف تقوله له ، فإنه بلغني عن النبي ﷺ أنه قال : " رد عنك مذمة السائل بمثل رأس الطير من الطعام " .

لا تزهد في المعروف عند من تعرفه ، وعند من لا تعرفه ، فإنه بلغني عن النبي ﷺ أنه قال : " لا تزهد في المعروف ولو أن تصب من دلوك في إناء المستقي " .

أرد بكل ما يكون منك من خير إلى أحد الله ، فإنه بلغني عن النبي ﴿ﷺ﴾: " أن قوله عز وجل: ﴿ **فويل للمصلين الذين هم** [1] ﴾ الآية . قال : المنافق الذي إن صلى راءي ، وإن فاتته لم يبلغ إليها ﴿ **ويمنعون الماعون** [2] ﴾ قال : الماعون : الزكاة التي فرضها الله عز وجل .

إياك والرياء ، فإنه بلغني أنه لا يصعد عمل المرائي إلى الله عز وجل ، ولا يزكيه عنده . إن استطعت أن تعمل بعمل ما عملت فيما بينك وبين الله فافعل ، فإنه بلغني عن النبي ﴿ﷺ﴾ أنه قال : " نضر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها حتي يبلغها غيره ، فرب غائب أحفظ من شاهد ، ورب حامل فقه غير فقيه " .

لا يغفل قلب امرىء مسلم عن ثلاث خصال : إخلاص العمل لله ، والنصيحة للإمام العادل ، والنصيحة لعامة المسلمين ، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم .

إياك وسوء الخلق ، فإنه يدعو إلى معاصي الله تعالى ، وقد بلغني عن النبي ﴿ﷺ﴾ أنه قال : " خياركم أحسنكم أخلاقاً " .

---

١) سورة الماعون الآية ٤

٢) سورة الماعون الآية ٧

اخضع لله إذا خلوت بعملك ، فإنه بلغني عن النبي ﴿ﷺ﴾ " أن ملكاً أتاه فقال : إن ربك يقرئك السلام ويقول : إن شئت أجعلك ملكاً نبيا أو عبداً نبيا ، فأشار إليه جبريل عليه السلام أن تواضع ، فما أكل متكئاً حتي مات " .

لا تظلم الناس فيديلهم الله عليك ، فإنه بلغني عن بعض العلماء من الصحابة أنه قال : ما ظلمت أحداً أشد علي ظلماً من أحد لا يستعين علي إلا بالله تعالى .

احذر البغي فإنه عاجل العقوبة ، بلغني عن النبي ﴿ﷺ﴾ أنه قال : " إن أعجل الخير ثواباً صلة الرحم ، وإن أعجل الشر عقوبة اليمين الغموس تترك الديار بلاقع " .

لا تحلف بغير الله في شيء ، فإنه بلغني عن النبي ﴿ﷺ﴾ أنه قال : " لا تحلفوا بآبائكم ، ليحلف حالف بالله أو ليسكت " . ولا تحلف بالله في كل شيء فإنه بلغني أن ذلك قوله تعالى :

﴿ **ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم** [1] ﴾

ارحم الناس يرحمك الله . بلغني عن النبي ﴿ﷺ﴾ أنه قال : " من لا يرحم الناس لا يرحمه الله " .

---

١) سورة البقرة الآية ٢٢٤

أحبب طاعة الله يحبك الله ، ويحببك إلى خلقه ، قال عز وجل لنبيه : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله[1] ﴾ وقال عليه الصلاة والسلام (إن الله جعل قرة عيني فى السجود) وقال بعض العلماء ما أسر عبد سريره قط خير إلا البسه الله رداءها ولا أسر سريرة شر قط إلا البسه الله رداءها .

وليكن عليك السكينة والوقار في منطقك ومجلسك ومركبك ، فإنه بلغني عن النبي ﷺ أنه قال : " والناس يزحفون حوله " عليكم بالسكينة " .

أعط دابتك إذا ركبتها حظها من الأرض ، وحظها من المقصد عليها ، بلغني عن النبي ﷺ أنه قال : " إذا ركبتم هذه الدواب العجم فاعطوها حظها من الأرض " .

عليك بالحلم والإغضاء عما كرهت ، ولا تتبع ذلك من أحد بلغك عنه أذى ، ولاتكافئه فإن في ذلك الفضل في الدنيا والآخرة ، بلغني عن النبي ﷺ أنه قال : " إن الله يحب الحليم الحي العفيف المتعفف " .

---

١) سورة آل عمران الآية ٣١

ادفع السيئة بالتي هي أحسن ، بلغني عن النبي (ﷺ) أنه قال : " أيها السلمي اتق العقوق وقطيعة الرحم ، فإن في ذلك شيناً في الدنيا وتباعداً في الآخرة وبلغني عن النبي (ﷺ) أنه قال : " اشتكت الرحم إلى الله عز وجل ممن يقطعها ، فرد الله عليها أما ترضين أن أصل من وصلك ، وأقطع من قطعك " .

إذا غضبت من شيء من أمر الله فاذكر ثواب الله على كظم الغيظ ، قال عز وجل : ﴿ **والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس** ﴾ (١)

وبلغني عن النبي (ﷺ) أنه قال : " ماامتلأ رجل غيظاً فكظمه لله إلا ملأه الله رضواناً يوم القيامة " .

إذا وعدت موعداً في طاعة الله فلا تخلفه ، وإذا قلت قولا فيه رضا الله فاوف به ودم عليه ، بلغني عن النبي (ﷺ) أنه قال : " من تكفل بست أتكفل له بالجنة : إذا حدث لم يكذب ، وإذا وعد لم يخلف ، وإذا ائتمن لم يخن ، وغض بصره ، وحفظ فرجه ، وكف يده.

إذا حلفت على يمين ليست من طاعة الله فلا تهمن بها وكفرها ، فإنه بلغني عن النبي (ﷺ) أنه قال : " لا نذر في معصية الله وكفارتها كفارة يمين والنذر يمين وإذا حلفت على يمين ثم رأيت غيرها خيراً منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك " .

---

١) سورة آل عمران الآية ١٣٤

فإنه بلغني عن النبي (ﷺ) أنه قال ذلك .

إياك والتزيد في القول ، وأن تقول قولا وأنت تعلم أنه لم يكن ، فإنه بلغني عن النبي (ﷺ) أنه قال : " ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ، الإمام الكذاب ، والعائل المزهو ، والشيخ الزاني " .

بر والديك وخصهما منك بالدعاء في كل صلاة وأكثر لهما الإستغفار ، وابدأ بنفسك قبلهما ، فإن إبراهيم عليه السلام قال : " رب اغفر لي ولوالدي " . فبدأ بنفسه قبل والديه . وبلغني عن النبي (ﷺ) أنه قال : " من سره أن ينسأ له في عمره ، ويزاد في رزقه فليتق الله ربه ، وليصل رحمه " .

اشكر الناس ما أتوا إليك من خيرهم ، وكافئهم إن قدرت عليه ، فإنه بلغني عن النبي(ﷺ) أنه قال : " من لم يشكر الناس لم يشكر الله " .

إذا ركبت دابة فوضعت رجلك فى الركاب فقل بسم الله وإذا إستويت راكباً فقل : ﴿ سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين (١) ﴾ فإنه بلغني عن النبي (ﷺ) أنه كان يقول ذلك كلما ركب دابة .

إذا أكلت وشربت فاذكر إسم الله ، فإن نسيت في أول حالك فاذكره إذا ذكرت ،

---

١) سورة الزخرف الآية ١٣

بلغني عن ابن مسعود : رضى الله عنه : أنه قال : تذكر إسم الله حين تذكر ، فإنه يحول بين الخبيث ، وبين أن يأكل معك ويتقيأ ما أكل ، فإذا فرغت فقل : الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين ، فإنه بلغني عن النبي (ﷺ) أنه كان يقول ذلك إذا أكل وشرب ، وإذا أكلت ومعك آخر فكل مما يليك بيمينك ، ولا تأكل من فوق الطعام ولا من بين يدي أحد ، فإنه بلغني عن النبي (ﷺ) أنه قال لرجل يفعله : " اذكر إسم الله وكل مما يليك " وكل بيمينك ولا تأكل بشمالك ، ولا تشرب بشمالك وبلغني عن النبي (ﷺ) أنه قال : " إنها إكلة الشيطان " .

لا تسافر ما استطعت إلا في يوم الخميس ، فإنه بلغني عن النبي (ﷺ) أنه كان يستحب أن يسافر يوم الخميس لا يسافر إلا فيه .

إذا أصابك كرب فقل : ياحي ياقيوم برحمتك أستغيث ، فإنه بلغني عن النبي (ﷺ) أنه كان يقول ذلك عند الكرب .

أحترس ممن يقرب إليك بالنميمة ، ويبلغ الكلام عن الناس بلغني عن النبي (ﷺ) أنه قال : " ملعون من لعن أباه ، ملعون من لعن أمه ، ملعون من غير تخوم الأرض ، ملعون كل صقار " وهو النمام .

لا تجر ثيابك فإن الله لا يحب ذلك ، وبلغني عن النبي ﷺ أنه قال : " من جر ثيابه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة " .

أطع في معصية الناس ، ولا تطع الناس في معصية الله ، بلغني عن النبي ﷺ أنه قال : " لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق " .

إذا أصابك حزن أو سقم أو ذلة أو لأواء يعنى الجوع فقل : الله ربي لا أشرك به شيئاً : ثلاث مرات ، بلغني عن النبي ﷺ أنه كان يأمر بذلك من أصابه شيء من ذلك .

اصبر على ما أصابك من فجائع الدنيا وأحزانها لقول الله تعالى : ﴿ **إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب** [1] ﴾. والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد .

لا تمارين أحداً وإن كنت محقاً ، بلغني أن قول الله عز وجل : ﴿ **فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج** [2] ﴾ أنه المراء .

إذا هممت بأمر من أمر الدنيا ففكر في عاقبته ، بلغني عن النبي ﷺ أنه قال : " إذا هممت بأمر من أمور الدنيا ففكر في عاقبته ، فإن كان رشداً فامضه ، وإن كان غيا فانته عنه "

---

١) سورة الزمر الآية ١٠

٢) سورة البقرة الآية ١٩٧

إياك والتجريد خالياً ،فإنه ينبغي لك أن تستحيي من الله إذا خلوت ، فإنه بلغني عن النبي (ﷺ) أنه قال : " لا أحب أن يلي شيئاً من لا يستحيي من الله في الخلاء " . وإياك أن تدخل الحمام والماء إلا بإزار ولا يدخل معك أحد الحمام إلا بإزار ولن تقدر على ذلك فإن لم تقدر ، فغض طرفك عن كل أحد كان مكشوفاً بلغني عن النبي (ﷺ) أنه قال : " لا يحل لامريء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يدخل الحمام إلا بإزار " .

أفش السلام . وإن استطعت أن لا يسبقك أحد إليه فافعل ، تعط بذلك فضلا عن الناس ، وبلغني عن ابن مسعود أنه قال : السلام إسم من أسماء الله ، وضعه فيكم فافشوه فيكم ، فإن الرجل إذا سلم كتب له عشر حسنات .

أدب ولدك ، ومن وليت أمره على خلقك وأدبك ، حتى يتأدبوا على ما أنت عليه ، فيكونوا لك عوناً على طاعة الله . بلغني عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : كل مؤدب يحب أن يؤخذ بأدبه ، وإن أدب الله هو القرآن .

وإذا استشارك أحد فإن شئت تكلمت ، وإن شئت سكت ، واجتهد رأيك فإنه بلغني عن النبي(ﷺ) أنه قال : " المستشار بالخيار إن شاء تكلم وإن شاء سكت " .

لا تفش على أحد سرا أفشاه إليك ، فإنما هي أمانة استودعكها وائتمنك عليها إلا أن يكون إفشاؤه خيراً له في دنياه وآخرته ،

فافشها عليه وانصحه فيها ، بلغني عن النبي ﷺ أنه قال : " من حق المسلم على المسلم إذا استنصحه أن ينصحه " .

إذا تعلمت علماً من طاعة الله فلير عليك أثره ، ولير فيك سمته ، وتعلم للذي تعمله ، وتعلم له السكينة والحلم والوقار ، بلغني عن النبي ﷺ أنه قال : " العلماء ورثة الأنبياء " .

رد جواب الكتاب إلى كل أحد كتب إليك ، فإنما هو كرد السلام قال عز وجل : ﴿ **وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها**[1] ﴾ وقال ابن عباس رضي الله عنه :

أرى رجع الكتاب على حقا كما أني أرى رجع السلام .

الزم الحياء فإنه خلق الإسلام ، وفيه قال ﷺ: " لكل شيء خلق ، وخلق الإسلام الحياء " .

إذا سافرت فقل : " اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر ، وكآبة المنقلب ، ودعوة المظلوم ، وسوء المنظر في الأهل والمال والحور بعد الكور " . بلغني عن النبي ﷺ أنه كان يقول ذلك إذا سافر .

إياك وظلم الضعيف ، ومن لا يستعين عليك إلا بالله لقول النبي ﷺ: " ثلاثة لا ترد دعوتهم .

---

١) سورة النساء الآية ٨٦

الإمـام العـادل ، والصـائم حتـي يفطـر ودعـوة ، المظلـوم فإنهـا تصعد فوق الغمام ، فيقول الله لها : وعزتي وجلالـي . لأنصرنـك ولـو بعد حين " .

إذا ودعت مسافراً فقل : " زودك الله التقوى ، وغفر لك ذنبك ، ويسر لك الخير حيثمـا كنـت ، أستودع اللـه دينـك وأمـانتك وخواتيـم عملك " . لأنـه ﷺ: كان يأمر أصحابه بها .

إذا حضرت أمراً ليس لله بطاعة ، ولا تقدر على أن تدفعـه فقـم عنه ولا تقعد لقول النبي عليه الصلاة والسلام " لا يمنعن أحدكم مخافة الناس أن يقول الحق إذا شهده أو علمه " .

الزم السواك فإنه سـنة بلغنـي عن النبـي ﷺ أنـه قـال : " السواك من سنن المرسلين .

افش الصدقة فإنها تدفع ميته السوء ، وليكن ذلك من أطيب مـالك فـإن اللـه تعـالى لا يقبـل إلا الطيـب ، بلغنـي عنـه ﷺ أنـه قـال : " إن أحدكـم ليتصـدق بـالتمرة إذا كـانت مـن طيـب ولا يقبـل اللـه إلا الطيـب فيجعلها في كفة ، فيربيها له كما يربي أحدكـم فلـوه أو فصيلـه ، حتـي تكون في يده مثل الجبل " .

إذا نزلت بك كربة من كرب الدنيا ، فليكن مفزعك فيها إلى اللـه عز وجل حين تـنزل بـك ، بلغنـى عـن النبـي ﷺ أنـه قـال : " لـن ينزل بعبد قط أمر كان مفزعه فيه إلى الله إلا فرج الله عنه " .

لا تضطجع على بطنك إذا نمت ، ولا في غير نومك لما بلغني عن النبي ﴿ﷺ﴾ أنه قال : " إنها لضجعة يبغضها الله " .

أوف بالعهد إذا أعطيته من نفسك لكل أحد ، لقول النبي ﴿ﷺ﴾: " أحق ما وفي به عهد الله " .

إذا حضرت السلطان فاشفع بخير ، وإياك والكلام عنده إلا بما يرضي الله ، لقول النبي ﴿ﷺ﴾ – : " إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن بها أن تبلغ ما بلغت يكتب له بها سخطه إلى يوم القيامة ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ، مايظن أنها تبلغ ما بلغت ، يكتب له بها رضوانه إلى يوم القيامة " .

أرد ما أردت به الله ما استطعت ، بلغني عن النبي ﴿ﷺ﴾ أنه قال : " صدقة السر تطفي غضب الرب " .

اتق كثرة التزكية لنفسك ، أو ترضى بها من أحد يقولها لك في وجهك ، بلغني أن رجلا امتدح رجلا عند النبي ﴿ﷺ﴾ فقال : " ويحك قطعت عنقه ، ولو سمعها ما أفلح أبداً " .

إياك ومدح الناس والثناء عليهم في وجوههم ، لقول النبي ﴿ﷺ﴾ : " احثوا التراب في وجوه المداحين " .

طهر ثيابك ونقها من معاصي الله تعالى ،

فإنـه بلغنـي أن قولـه تعـالى : ﴿ وثيابك فطهر (1) ﴾ ، يـأمره أن لا يلبسها على عذرة .

واكره لكل أحد ما تكرهه لنفسك ، بلغني عن النبي ﴿ ﷺ ﴾ أنه بايع جريراً البجلي على الإسلام ، والنصيحة لكل مسلم .

إياك والحسد والشر فهما خلقـان مرديان لصاحبهما في الدنيا والآخرة ، وقال صلى الله عليه وسلم فيهما : " لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مـالاً وسلطه على إنفاقه في الحق ، ورجل آتـاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها " .

اقتد في أمورك برأي ذوي الإنصاف من أهل التقوى ، بلغنـي عن النبي ﴿ ﷺ ﴾ أنه قال : " خياركم شبانكم المتشبهون بشيوخكم ، وشراركم شيوخكم المتشبهون بشبانكم " .

لا تحتكر أحداً ، ولا تجالس مأفونـــاً ، فإن الوحدة خير من جليس السوء .

عليك بمعـالي الأخلاق وكريمها ، واتق رذائلها وما سفسف منها ، بلغني عن النبي ﴿ ﷺ ﴾ أنه قال : " إن الله يحب معالي الأخلاق ويكره سفسافها " .

إذا رأيت من فضلت عليه في دينك ودنياك ، فأكثر حمد الله عليه ، فإن ذلك من الشكر ، بلغني عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال :

---

1) سورة المدثر الآية ٤

" ما أنعم الله على عبد بنعمة فقال : الحمد لله إلا كان ذلك أعظم من تلك النعمة وإن عظمت " .

لا تركب الميثرة الحمراء ، ولا تلبس المعصفر ، فقد نهى رسول الله (ﷺ) عن ذلك .

إذا غضبت وأنت قائم فاقعد ، وإن كنت قاعداً فاضطجع ، لقول النبي (ﷺ): " لا تتطيرن من شيء تراه أو تسمعه ، وإذا كان من ذلك شيء فقل : اللهم لا يأتي بالخير إلا أنت ، ولا يدفع السوء إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بالله " . فقد علمت أن النبي (ﷺ) كان يأمر بذلك لمن رأى من ذلك شيئاً .

لا تتوضأ بشيء مما تأكل من الطعام ، ولا تدلك به في الحمام ، فإن ذلك من الجفاء .

لا تتخلقن بالخلوق إلا أن يكون في أثر النورة ليذهب ريحها ، فقد بلغني عن النبي (ﷺ) أنه قال : " بينما رجل في بردتين له متخلق يتبختر فيهما ، إذ ساخت به الأرض ، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة " .

لا تغيرن أظفارك بالحناء ولا يديك إذا دخلت الحمام فإنه ليس من سيماء أهل الفضل .

لا تحلف بالطلاق ولا بالعتاق ، فإنها من أيمان الفساق . بلغني عن عمر رضي الله عنه أنه قال : أربع جائزة إذا تكلم بهن : الطلاق والعتاق والنكاح والنذر ، وأربعة يمسون والله عليهم ساخط ،

ويصبحون والله عليهم غضبان : المتشبهون من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال ، ومن أتي بهيمة ، أو عمل قوم لوط لاتتطيين بشيء من الطيب يظهر لونه ، فإن النبي ﷺ قال : " طيب الرجال ما بطن لونه وظهر ريحه ، وطيب النساء ما ظهر لونه وبطن ريحه " .

الزم الرأي الحسن ، والهدي الحسن ، والإقتصاد ، بلغني عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : الرأي الحسن جزء من خمسة وعشرون جزءاً من النبوة .

إن استطعت أن لا تدع العمامة والبرد في العيدين والجمعة فافعل . لما علمت من أمر النبي عليه الصلاة والسلام أنه كان يلبس العمامة والبرد في العيدين والجمعة ، وقال : إن اللـه تعالى أعز الإسلام بالعمائم والألوية " .

إذا طلاك أحد بالنورة ، فبلغ المراق فلا يل ذلك منك إلا نفسك ، ومن يحسن ذلك من نسائك ، فإنه بلغني عن بعض العلماء أنه كان يلي ذلك من نفسه .

لا بأس أن تغتسل بماء الحمام وأنت جنب وتصلي ، لقول ابن عباس ، وقد سئل عن الجنب يغتسل في الحمام ، إن الماء لا يجنب ، وإذا تنخمت في المسجد فادفنه ، فعن بعض العلماء أنه قال : - هي خطيئة ، وكفارتها دفنها .

إذا نمت فقل عند منامك : " اللهم أنت القائم الدائم لا تزول ، خلقت كل شيء لا شريك لك ، علمت كل شيء بغير تعليم ، اغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت بلغني عن النبي ﷺ أنه قال : " ألا قلتم كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو الذي قال ما تقدم

إذا أتيت الحاجة فلا تستقبل القبلة بفرجك ولا تستدبرها ، ولا تستنج بيمينك ، بلغني عن النبي ﷺ " أنه كان يأمر أصحابه أن لا يستقبلوا القبلة ولا يستنجوا بأيمانهم ، ولا يستنجوا بعظم ولا روث

إذا انصرفت من الصلاة ، فقل : " اللهم إني أسألك من الخير كله ما علمت منه وما لم أعلم ، وأعوذ بك من الشر كله ما علمت منه وما لم أعلم ، اللهم إني أسألك من الخير ما سألك عبادك الصالحون واعوذ بك من الشر ما عاذ منه عبادك الصالحون ، اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار بلغني عن ابن مسعود أنه قال : ما دعا نبي مرسل ولا عبد صالح بشيء حسن إلا هو فيه ، يعني في هذا الدعاء .

لا تشتم عبداً لك ، ولا أمة بزنى ، فإنه بلغني عن النبي ﷺ أنه قال : " من قذف أمة أو حرة أو يهودية أو نصرانية فلم يضرب في الدنيا ضرب يوم القيامة ثمانين جلدة " .

إذا كنت مسافراً أو مقيماً ، فامسح إن شئت على خفيك إن كنت مسافراً ثلاثة أيام ولياليهن ، وإن كنت مقيماً فيوماً وليلة ، بلغني

عن النبي ﷺ أنه قال : " ذلك ، وقاله عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب ، وابن عباس رضوان الله عليهم .

إذا صافحك أحد فلا تنزعن يدك عن يده ، حتي يكون هو الذي ينزع يده عن يدك ، بلغني عن النبي ﷺ : أنه لم يصافح أحداً فنزع يده حتي يكون هو الذي ينزع يده .

إذا أقبل عليك رجل بوجهه يحدثك ، فلا تصرف وجهك عنه ، حتي يكون هو الذي يصرف وجهه عنك ، وإذا جلست إلى جنب رجل ، أو جلس إلى جنبك رجل ، فلا تقومن من بين يديه ، ولا تجاوزن ركبتك ركبته ، بلغني عن النبي ﷺ أنه لم تتجاوز ركبته ركبة جليس له .

وإذا أحسست من أمير ظلامة أو تغطرساً فقل : " الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر أعز من خلقه جميعاً ، ألله أكبر مما أخاف وأحذر ، وأعوذ بالله الممسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذن من شر فلان ، اللهم كن لي جاراً من فلان وجنوده ، أن يفرط على أحد منهم أو أن يطغى ، جل جلالك ، وعز جارك ، لا إله غيرك " . تقول ذلك ثلاث مرات بلغني عن ابن عباس : أنه قال ذلك وأمرنا به .

وإذا كتبت إلى أحد من غير أهل الإسلام ، فلاتكتبن سلام الله عليك ، ولكن اكتب السلام على من اتبع الهدى بلغني عن النبي ﷺ أنه كتب ذلك إلى مسيلمة .

إذا عطست في الخلاء ، فـأذكر اسم اللـه خفيـاً . ولا تدهن فـي مدهن ذهب ولا فضة ، ولا تستجمر في مجامر الذهب والفضة ، بلغنـي عن النبي ﴿ﷺ﴾ أنه نهى عن الشرب في إناء الذهب والفضة .

لا تنم على الحرير والديباج فإنه لبسة النساء ، بلغني عن النبي ﴿ﷺ﴾ أنه نهى عن لبس الحرير والديباج إلا للنساء .

إذا رأيت أمرا في أهلك وخاصتك مما ينبغي تغييره فلا تحـابين منهم أحداً ، وقم فيه بالذي يحق عليك ، بلغني عن النبي ﴿ﷺ﴾ أنـه قال : " انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً " .

إذا هممت بأمر من طاعة الله عز وجل فلا تحبسه إن استطعت فواقاً حتي تمضيه ، فإنك لا تأمن الأحداث

وإذا هممت بأمر غير ذلـك . فـإن استطعت أن لا تمضيـه فواقـاً فافعل ، لعل الله تعالى يحدث لك تركه .

لا تستح إذا دعيت لأمـر ليس بحـق أن تقـول : لا . فـإن اللـه تعالى يقول : ﴿ **والله لا يستحي من الحق** (١) ﴾ .

---

١) سورة الأحزاب الآية ٥٣

إذا سمعت المؤذن يؤذن ، فقل كما يقول ، إلا أنك تقول إذا قال حي على الصلاة ، حي على الفلاح : لا حول ولا قوة إلا بالله ، بلغني ذلك عن النبي ﴿ﷺ﴾.

لا تخلون بامرأة ليست لك بمحرم ، بلغني عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : ما خلا رجل بامرأة ليست له بمحرم إلا كان ثالثهما الشيطان .

إذا قال الإمام آمين ، فقل : آمين ، فإنه ينبغي إذا فرغ من أم القرآن أن يقول آمين ، ويقوله من خلفه سراً ولا يجهر به ، بلغني عن النبي ﴿ﷺ﴾ أنه قال : " إذا أمن الإمام فأمنوا فإن الملائكة تؤمن لتأمين الإمام ، فمن وافق منكم تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه " .

إذا قضيت الحاجة فلا تبدأ بشيء حتي تغسل فرجك بالماء ، بلغني عن النبي ﴿ﷺ﴾ أنه قال لأهل مسجد قباء إنما نزلت هذه الآية فيكم :﴿ **فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين**(١) ﴾ فأنبئوني ما هذا التطهير الذي ذكرتم به فاثبتوا عليه

١) سورة التوبة الآية ١٠٨

قالوا : والذي بعثك بالحق نبيا مامنا امرأة ولا رجل يأتي الخلاء فيبدأ بشيء دون غسل فرجه بالماء .

إذا أكلت طعاماً فعلق بين أصابعك فالعقها ، وأسنانك فتخلل ، فإنه بلغني عن النبي ﴿ﷺ﴾ أنه قال : " ليس شيء أشد على الملك من أن يرى في الرجل طعاماً وهو يصلي " .

إذا نزلت منزلا فقل : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، بلغني عن النبي ﴿ﷺ﴾ أنه قال : " من نزل منزلا فقال هذه الكلمات ، وقي شر منزله حتي يرتحل منه " .

لا تأكل شيئاً من ثمن طعام لا يحل لك أكله ، ولا شيئاً من ثمن شراب لا يحل لك شربه . قال النبي ﴿ﷺ﴾ في الخمر : " إن الذي حرم شربها حرم ثمنها " .

ولا تداو بشيء لا يحل لك أكله ولا شربه ، ولا تبعه ولا تشتره ، ولا تطعمه ، ولا تطعمه أحداً ، ولا تسقه ولا تداو به أحداً صغيراً ، ولا كبيراً ، ولا بهيمة ، ولا غيرها . بلغني عن بعض علماء الصحابة أنه نعت لبعير له خمر فقال : لا والله لا أوجره خمراً .

لا تأكل لحم شيء من السباع ، ولا ذا مخلب من الطير بلغني أن النبي ﴿ﷺ﴾: نهى عن أكل كل ذي ناب من السباع " .

إذا فزعت في منامك فقل : " أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه ، ومن شر عباده ، ومن شر الشياطين وأن يحضرون "

بلغني عن النبي (ﷺ) أنه قال : " إذا فزع أحدكم في منامه فليقل ذلك .

إذا قلت لأحد : أقسمت عليك لتفعلن ، فلم يفعل الذي أقسمت عليه أن يفعله ، وجب عليك الحنث ، وكفر عن يمينك ، وكذلك إن قلت له : أحلف عليك أو أشهد عليك لتفعلن فلم يفعل ، وجب عليك الحنث ، وكذلك إذا كنت وقت له وقتاً معلوماً فتركه حتي جاوز الوقت .

لا تبدأن أحداً من غير أهل الإسلام بالسلام ، لكن لو سلم هو فقل : وعليكم ، بلغني أن النبي (ﷺ) أمر بذلك .
لا بأس أن تأكل جنباً وإن كنت لم تتوضأ إذا غسلت يديك .
لاتقل لأحد صلى الله عليك ، بلغني عن ابن عباس رضي الله عنه قال لا تنبغي الصلاة من أحد لأحد إلا للنبي (ﷺ).
ولا تقل لأحد جعلني الله فداءك ، قال الزبير ذلك للنبي (ﷺ) وهو مريض ، فقال له عليه السلام : " ما تركت اعرابيتك بعد " وبلغني عن بعض العلماء أنه قال : لا يفد أحد أحداً .

لا بأس بمصافحة الجنب ومباشرته ، بلغني عن ابن مسعود أنه قال : أربعة ليس عليهم جنابة : الأشنان والماء والثوب والأرض .
لا بأس بمصافحة اليهودي والنصراني والصلاة في بيوتهم .

لا تبلغ بشيء من أدبك إذا أدبت ، وعاقبت أحداً على جرم

اجترمه أربعين سوطاً . قال ﷺ: " من بلغ حدا في غير حد فهو من المعتدين . "

إذا أحببت أحداً لله فأعلمه ، ففي ذلك أن رجل قال للنبي ﷺ : " إني أحب فلانا لله ، قال : أما أخبرته ؟ قال : لا ، قال فأخبره فلما أخبره قال ، أحبك الله الذي أحببتني له " .

لا تشفع فيمن وجب عليه حد من حدود الله إذا انتهي إلى الإمام ولا تحل دونه ، ولا بأس أن تشفع قبل ذلك ، قال ذلك بعض علماء الصحابة ، تشفع في سارق فقيل له : أتشفع فيه وأنت من الصحابة ؟ فقال : لا بأس به قبل أن يبلغ الإمام ، فإذا بلغه فلا عفا الله عنه إن هوعفا عنه .

الزم الصمت ، قال النبي ﷺ " لا يستكمل الرجل الإيمان حتي يخزن لسانه " . وإذا أتيت قرية أو بلداً فقل : " اللهم ارزقنا خيرها ، واصرف عنا وباءها " كان النبي ﷺ يقول ذلك إذا دنا من قرية .

إذا عطست فقل : الحمد لله ، فإن قال قائل : يرحمك الله فقل : غفر الله لنا ولك . وإن عطس عندك مسلم ، فقال الحمد لله ، فقل : يرحمك الله ، كان علي رضي الله عنه يقولها لمن عطس ، ويقول ذلك : يهديك الله ويصلح بالك ، وكان ابن مسعود يقول من عطس : يرحمنا الله وإياك ، ويقول ذلك : يغفر الله لنا ولك ، ولا تشمته حتي

يحمد الله ، قال النبي ﷺ: " من حق المسلم إذا عطس أن يشمت إذا حمد الله " .

وقر الكبير وارحم الصغير ، قال النبي ﷺ : " ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا " .

لا تصافح امرأة ليست لك بزوجة ولا ملك يمين ، ولا تضع يدها على شيء من جسدك ، ولا تضع يدك على شيء من جسدها ، ولا تقبل يدك ولا شيئاً من جسدك ، ولا تعانق رجلا ، ولا تقبل ليس بذي رحم لك ، واصنع ذلك بذي رحمك ، فقد ضم النبي ﷺ جعفر بن أبي طالب حين قدم من الحبشة إلى نفسه ، وقبل بين عينيه .

لا ترفع صوتك في مسجد جماعة ، ولا تشهر فيه سلاحاً ، فقد نهى النبي ﷺ عنه .

إذا دعيت إلى تحمل شهادة فإنك مخير ، فإن شهدت فلا يسعك الامتناع إذا دعيت إلى الأداء .

لا تمنن على أحد بإحسانك ، فإنه يبطل أجرك ، قال عز وجل : ﴿ لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى (1) ﴾ .

ومن أولاك معروفاً ، وعجزت عن مكافأته ، فاثن عليه واذكره به ،

---

1) سورة البقرة الآية ٢٦٤

قال النبي ﷺ : " من أولي معروفاً فلم يقدر على مكافأته إلا بالثناء فقد شكره ، ومن كتمه فقد كفره " .

إذا طعمت وعندك أحد فادعه ، قال النبي ﷺ: " إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها . قيل : لمن هي ؟ قال : لمن أطعم الطعام ، وتابع الصيام ، وطيب الكلام ، وصلى بالليل والناس نيام " .

إذا عملت عملا لله فإحسنه لقوله تعالى : ﴿ **ليبلوكم أيكم أحسن عملا** (١) ﴾ .

لا تعجل على أحد بعقوبة ، ولا تتهمه حتي تحققه .

لا تأت أهلك أو جاريتك وغيرها يراك أو يسمع حسك . قال صلى الله عليه وسلم : " استحيوا من الله حق الحياء قالوا : كيف نستحي من الله حق الحياء ؟ قال : احفظوا الرأس وما حوى ، والبطن وما وعى ، واذكروا الموت والبلا ، وذروا زينة الحياة الدنيا " .

إذا أصبحت فقل : " اللهم لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، لك الملك ولك الحمد لا شريك لك ، عشر مرات .

---

١) سورة الملك الآية ٢

قال النبي ﷺ من قالها عشر مرات حين يصبح وكل به ملكان يحرسانه حتي يمسي وإذا قالها ليلاً فكذلك حتى يصبح " .

إذا كنت في العيدين والجمعة ، ويوم عرفة بعرفة فاغتسل ، وإن توضأت أجزأك . سأل رجل عليا عن الغسل فقال :للجمعة والعيدين وعرفة .

إذا رأيت الهلال فلا تستقبله حتي تدعو ، وقل : الله أكبر ، الله أكبر ، والحمد لله ، أسألك من خير هذا الشهر وأعوذ بك من شر القدر ، وشر يوم المحشر .

لا تؤمن أحداً في بيته ولا في سلطانه إلا أن يأذن لك ، وذلك أنه بلغني عن النبي ﷺ أنه قال : " لا يؤمن الرجل الرجل في بيته ولا في سلطانه إلا بإذنه " .

ولا تحب من الناس أن يمثلوا لك قياماً ، لقوله ﷺ : " من سره أن يمثل له ابن آدم قياماً وجبت له النار " .

أجب الدعوة إذا دعيت ، قال صلى الله عليه وسلم : " الدعوة يوم العرس حق " وقال : " لو دعيت إلى كراع لأجبت " .

إذا حلفت على شيء ، وحلف والداك أو أحدهما خلافه فأطعهما مالم يكن معصية .

احتجم في سبع عشرة ، وتسع عشرة ، واحدي وعشرين ، أمر النبي ﷺ بذلك .

إذا عـدت مريضـاً فـأخف العيـادة ، وأقـل اللبـث .

إذا مررت بالمقابر فقل : السلام عليكم أهل الدار المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لا حقون ، أنتم لنا فرط ، ونحن لكم تبع ، أسأل الله لنا ولكم العافية .

لا بأس أن تمشي أمام الجنـازة ، مشـى النبـي (ﷺ) ، وأبـو بكر ، وعمر ، وابـن عمـر أمامهـا ، وإذا كنـت راكبـاً فـلا تسبقها ولا تنزل حتي توضع عن عواتق الرجال ، بلغني ذلك عن بعض الصحابة .

لا تنفخ في الطعام والشراب ، فإنه جفاء ، قاله بعض العلماء .

ارفع يدك في عشرة مواطن : إذا دعوت عند افتتاح الصلاة ، والعيدين والقنوت ، والتكبير ، وعند إستلام الحجر ، وعرفة ، وجمع ، والصفا والمروة ، والجمار ، روي ذلك عن ابـن عبـاس ، عنـد إفتتـاح الصـلاة والقنوت والعيدين ترفعهما حتي تحاذي إبهامك أذنك ، وتبسـطهما عنـد صدرك في باقي ذلك .

لا تلعب بالنرد ، لعن النبي (ﷺ) اللاعـب بـه وقـال " إيـاكم وإيـاه "

اجمـع الصـوام عنـد فطرك علـى طعـامك . قـال (ﷺ): " من فطر صائما كان له مثـل أجـره ، ولا ينقـص مـن أجـر الصـائم شـيء .

واعلم رحمك الله أن الله تعـالى خصـك مـن موعظتـي بمـا نصحتـك ، وأنهيت إليك منه ، ما أرجو أن يكون سعادة لك وسبباً إلى الجنة فليكن منك فيما كتبت إليك من القيام بأمر اللـه تعـالى ، واتبـاع مـا هـو أهلـه ماترجو به القربة عند الله تعالى ، ولا يكن ذلك مما تظلف عنه نفسك

، وتعاهدها بالأخذ والتأديب عليه إن شاء الله حتي توقفهـا علـى الـذي لا ينبغي لك التقصير بها عنه إن شاء الله تعالى

والله الموفق للصواب ، وإليه المرجع والمآب . ﴾

* * *

الفصل الثالث :

وصية سفيان الثورى (١) لهارون الرشيد (٢)

عندما تولى هارون الرشيد الخلافة زاره العلماء جميعهم للتهنئة بالخلافة الإ سفيان الثوري ، وكان بينهما صحبه فشق عليه ذلك وكتب إليه الرشيد يدعوة لزيارته ، وانه فى أشد الشوق إليه فكتب سفيان الثوري إليه ينصحه : -

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم من العبد الميت سفيان إلى العبد المغرور بالآمال هارون ،الذي سلب حلاوة الإيمان ،ولذة قراءة القرآن

أما بعد ،، فإني كتبت إليك أعلمك أني قد صرمت حبلك ، وقطعت ودك ، وأنك قد جعلتني شاهداً بإقرارك على نفسك في كتابك ، بما هجمت على بيت مال المسلمين ، فأنفقته في غير حقه ، وأنفذته،

---

١) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، من بني ثور بن عبد مناة ، من مضر ، أبو عبد الله ، أمير المؤمنين فى الحديث ، كان سيد أهل زمانه فى علوم الدين والتقوى ، ولد ونشأ فى الكوفة ، راوده المنصور العباسي على أن يلي الحكم فأبى وخرج من الكوفة وسكن مكة والمدينة ثم طلبه المهدى فتوارى ، وإنتقل إلى البصرة فمات فيها مستخفياً ، له من الكتب الجامع الكبير والجامع الصغير والفرائض ، وكان يقول ما حفظت شيئاً فنسيته (الأعلام لخير الدين الزركلي)

٢) سبقت ترجمته فى صفحة ٢٩٢ .

بغير حكمة ، ولم ترض بما فعلت وأنت ناء عني حتي كتبت إلـي تشهدني على نفسك .

فأما أنا فإني قد شهدت عليك أنا وإخواني الذين حضـروا قراءة كتابك ، وسنؤدي الشهادة غداً بين يدي الله الحكم العدل .

ياهارون ، هجمت على بيت مال المسـلمين بغير رضـاهم ، هل رضـي بفعلك المؤلفة قلوبهم ، والعـاملون عليهـا فـي أرض اللـه ، والمجاهدون في سبيل الله وابن السبيل ، أم رضي بذلك حملـة القرآن وأهل العلم يعني العاملين ، أم رضي بفعلك الأيتام والأرامل ، أم رضـي بذلك خلق من رعيتك ، فشد ياهارون مئزرك ، وأعد للمسـألة جوابـاً ، وللبلاء جلباباً ، واعلم أنك ستقف بين يدي الحكم العدل فـاتق اللـه فـي نفسك إذ سلبت حـلاوة العلـم والزهـد ولـذة قراءة القرآن ، ومجالسـة الأخيار ، ورضيت لنفسك أن تكون ظالماً وللظالمين إمام .

ياهـارون ، قعدت علـى السـرير ، ولبسـت الحريـر ، وأسـبلت ستوراً دون بابك ، وتشبهت بالحجبة برب العالمين ، ثم أقعدت أجنـادك الظلمـة دون بـابك ،وسـترك يظلمـون النـاس ولا ينصفـون ، ويشـربون الخمـر ويحـدون الشـارب ، ويزنـون ويحـدون الزانـي ، ويسـرقون ويقطعون السارق ، ويقتلون ويقتلون القاتل ، أفـلا كـانت هذه الأحكـام عليك وعليهم قبل أن يحكموا بها على الناس .

فكيف بك ياهارون غداً إذا نادى المنادي مـن قبـل اللـه احشـروا الظلمة وأعوانهم ، فتقدمت بين يدي الله ويداك مغلولتان إلـى عنقـك ،

لا يفكهما إلا عدلك وإنصافك ، والظالمون حولك وأنت لهم إمام أوسائق إلى النار .

وكأني بك ياهارون وقد أخذت بضيق الخناق ، ووردت المساق ، وأنت تري حسناتك في ميزان غيرك ، وسيئات غيرك في ميزانك على سيئاتك ، بلاء على بلاء ، وظلمة فوق ظلمة ، فاتق الله ياهارون في رعيتك ، واحفظ محمداً ﴿ﷺ﴾ فى أمته ، واعلم أن هذا الأمر لم يصر إليك إلا وهو صائر إلى غيرك ، وكذلك الدنيا تفعل بأهلها واحداً بعد واحد ، فمنهم من تزود زاداً نفعه ، ومنهم من خسر دنياه وآخرته ، وإياك ثم إياك أن تكتب إلي بعد هذا ، فإني لا أجيبك والسلام . ﴾

ولما وصل الكتاب إلى الخليفة هارون الرشيد قال بعض جلسائه لو وجهت إليه فأثقلته بالحديد وضيقت عليه بالسجن فجعلته عبرة لغيره فقال الخليفة :

﴿ إتركوا سفيان وشأنه ياعبيد الدنيا ، المغرور من غررتموه ، والشقى والله حقاً من جالستموه ، إن سفيان أمه وحده ﴾

ولم يزل كتاب سفيان عند الرشيد يقرؤه دبر كل صلاة ويبكي حتى توفى رحمه الله تعالى .

* * *

الفصل الرابع :

وصية طاهر بن الحسين [1] لأبنه عبد الله

عهد طاهر بن الحسين لأبنه عبد الله بهذا العهد موصياً إياه فقال : -

﴿ عليك بتقوى الله وحده لا شريك له ، وخشيته ومراقبته ، ومزايلة سخطه ، وحفظ رعيتك ، والزم ماألبسك الله في العافية بالذكر لمعادك ، وما أنت صائر إليه ، وموقوف عليه ، ومسؤول عنه ، والعمل في ذلك كله بما يعصمك الله ، وينجيك يوم القيامة من عذاب أليم عقابه ، فإن الله قد أحسن إليك ، وأوجب عليك الرأفة بمن استرعاك أمرهم من عباده ، وألزمك العدل عليهم ، والقيام بحقه وحدوده فيهم ، والذب عنهم ، والدفع عن حريمهم وبيضتهم

---

١) هو طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي ، أبو الطيب ، من كبار الوزراء والقواد أدباً وحكمة وشجاعة ، وهو الذى وطد الملك للمأمون العباسي . ولد فى بوشنج فى خراسان ، وسكن بغداد فاتصل بالمأمون فى صباه ، وكانت لأبيه منزلة عند الرشيد ، ولما مات الرشيد وولى الأمين كان المأمون فى مرو ، فانتدب طاهراً للزحف إلى بغداد فهاجمها وظفر بالأمين وقتله ، وعقد البيعه للمأمون . فولاه شرطة بغداد ثم ولاه الموصل وبلاد الجزيرة والشام والمغرب ثم خراسان، وكان فى نفس المأمون شيىء عليه لقتله أخاه الأمين بغير مشورته ، ولعله شعر بذلك ، ولما إستقر إلى خراسان قطع خطبة المأمون يوم جمعة فقتله أحد غلمانه فى تلك الليلة بمرو ، وقيل مات مسموماً ولقب بذى اليمينين لأنه ضرب رجل بشماله فقده نصفين ، أو لأنه ولى العراق وخراسان ، لقبه بذالك المأمون . وكان أعور .
(الأعلام لخير الدين الزركلي)

والحقن لدمائهم ، والأمن لسبيلهم ، وإدخال الراحة عليهم في معايشهم ، ومؤاخذك بما فرض عليك من ذلك ، وموقفك عليه ، ومسائلك عنه ، ومثيبك عليه بما قدمت وأخرت ، ففرغ لذلك فكرك وعقلك وبصرك ورويتك ، ولا يذهلك عنه ذهل ، ولا يشغلك عنه شغل فإنه رأس أمرك ، وملاك شأنك ، وأول ما يوفقك الله به لرشدك .

وليكن أول ما تلزم به نفسك ، وتنسب إليه فعالك ، المواظبة على ما افترض الله عليك من الصلوات الخمس ، والجماعة عليها بالناس قبلك ، في مواقيتها على سننها في إسباغ الوضوء لها ، وافتتاح ذكر الله فيها ، وترتل في قراءتك ، وتمكن في ركوعك وسجودك وتشهدك ، ولتصدق فيها لربك نيتك ، واحضض عليها جماعة من معك وتحت يدك ، وادأب عليها فإنها كما قال الله تعالى : تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر ، ثم اتبع الأخذ بسنن رسول الله ﷺ والمثابرة على خلائقه ، واقتفاء آثار السلف الصالح من بعده وإذا ورد عليك أمر فاستعن عليه بإستخارة الله وتقواه ، ولزوم ما أنزل الله في كتابه ، من أمره ونهيه ، وحلاله وحرامه ، وائتمان ما جاءت به الآثار عن النبي ﷺ ثم قم فيه بما يحق لله عليك ، ولا يمل عن العدل فيما أحببت أو أكرهت ، لقريب من الناس أو بعيد .

وآثر الفقه أهله ، والدين وحملته ، وكتاب الله والعاملين به ، فإن أفضل ما تزين به المرء الفقه في دين الله ، والطلب له والحث عليه والمعرفة بما يتقرب به إلى الله ، فإنه الدليل على الخير كله ،

والقائد له ، والآمر به ، والناهي عن المعاصي والموبقات كلها ، وبها مع توفيق الله تزداد العباد معرفة بالله عز وجل ، وإجلالا له ، ودركاً للدرجات العلى فى المعاد ، مع ما في ظهوره للناس من التوقير لأمرك والهيبة لسلطانك ، والأنسة بك ، والثقة بعدلك .

وعليك بالإقتصاد في الأمور كلها ، فليس شيء أبين نفعاً ، ولا أحضر أمناً ، ولا أجمع فضلا من القصد ، والقصد داعية إلى الرشد ، والرشد دليل على التوفيق ، والتوفيق منقاد إلى السعادة ، وقوام الدين والسنن الهادية بالإقتصاد فآثره في دنياك كلها ، ولا تقصر في طلب الآخرة والأجر والأعمال الصالحة ، والسنن المعروفة ومعالم الرشد ، فلا غاية للاستكبار من البر والسعي له ، إذا كان يطلب به وجه الله ومرضاته ، ومرافقة أوليائه في دار كرامته .

واعلم أن القصد في شأن الدنيا يورث العز ، ويحصن من الذنوب ، وأنك لن تحوط نفسك ومن يليك ، ولا تستصلح أمورك بأفضل منه ، فأته واهتد به تتم أمورك ، وتزد مقدرتك ، وتصلح خاصتك وعامتك ، وأحسن الظن بالله عز وجل ، تستقم لك رعيتك ، والتمس الوسيلة إليه في أمورك كلها ، تستدم به النعمة عليك ، ولا تنهض أحداً من الناس ، فيما توليه من عملك ، قبل تكشف أمره بالتهمة ، فإن إيقاع التهم بالبراء والظنون السيئة بهم مأثم ، واجعل من شأنك حسن الظن بأصحابك ، واطرد عنك سوء الظن بهم ، وارفضه عنهم ، يعنك ذلك على اصطناعهم ورياضتهم ، ولا يجدن

عدو الله الشيطان في أمرك مغمزاً ، فإنه إنما يكتفى بالقليل من وهنك ، فيدخل عليك من الغم سوء الظن ما ينغص عليك لذاذة عيشك .

واعلم أنك تجد بحسن الظن قوة وراحة ، وتكفي به ما أحببت كفايته من أمورك ، وتدعو به الناس إلى محبتك ، والا ستقامة في الأمور كلها لك . ولا يمنعك حسن الظن بأصحابك والرأفة برعيتك أن تستعمل المسألة والبحث عن أمورك ، والمباشرة لأمور الأولياء والحياطة للرعية ، والنظر فيما يقيمها ويصلحها ، بل لتكن المباشرة لأمور الأولياء ، والحياطة للرعية والنظر في حوائجهم ، وحمل مؤوناتهم آثر عندك مما سوي ذلك ، فإنه أقوم للدين ، وأحيا للسنة ، وأخلص نيتك في جميع هذا ، وتفرد بتقويم نفسك ، تفرد من يعلم أنه مسؤول عما صنع ، ومجزي بما أحسن ، فإن الله جعل الدين حرزاً وعزاً ، ورفع من اتبعه وعززه ، فاسلك بمن تسوسه وترعاه نهج الدين ، وطريقة الهدي ، وأقم حدود الله في أصحاب الجرائم على قدر منازلهم وما استحقوه ، ولا تعطل ذلك ولا تهاون به ، ولا تؤخر عقوبة أهل العقوبة ، فإن في تفريطك في ذلك ، لما يفسد عليك حسن ظنك ، واعزم على أمرك في ذلك بالسنن المعروفة .

وجانب الشبة والبدعات ، يسلم لك دينك ، وتقم لك مروءتك ، وإذا عاهدت عهداً فف به وإذا وعدت الخير فأنجزه ، واقبل الحسنة بها ، واغمض عن عيب كل ذي عيب من رعيتك ، واشدد لسانك عن قول الكذب والزور ، وابغض أهله ، واقص أهل النميمة ، فإن أول

فساد أمرك في عاجل الأمور وآجلها ، تقريب الكذوب ، والجرأة على الكذب ، لأن الكذب رأس المآثم ، والزور والنميمة خاتمتها ، لان النميمة لا يسلم صاحبها ، وقائلها لا يسلم له صاحب ، ولا يستقيم لمطيعها أمر ، واحب اهل الصدق والصلاح ، واعن الاشراف بالحق ، وواصل الضعفاء ، وصل الرحم ، وابتغ بذلك وجه الله وعزة امره ، والتمس فيه ثوابه والدار الأخرة ، واجتنب سوء الأهواء والجور ، واصرف عنهما رأيك ، واظهر من ذلك لرعيتك ، وانعم بالعدل سياستهم ، وقم بالحق فيهم ، وبالمعرفة التي تنتهي بك إلى سبيل الهدى .

واملك نفسك عند الغضب ، وآثر الوقار والحلم ، وإياك والحدة والطيش ، والغرور فيما أنت بسبيله ، وإياك أن تقول : إني مسلط أفعل ما أشاء ، فإن ذلك سريع فيك إلى نقص الرأي ، وقلة اليقين بالله وحده لا شريك له .

واخلص لله وحده النية فيه ، واليقين به ، واعلم أن الملك لله يعطيه من يشاء ، وينتزعه ممن يشاء ، ولن تجد تغير النعمة ، وحلول النقمة ، إلى أحد أسرع منه إلى حملة النعمة ، من أصحاب السلطان ، والمبسوط لهم في الدولة ، إذا كفروا بنعم الله إحسانه واستطالوا بما آتاهم الله من فضله . ودع عنك شره نفسك ، ولتك ذخائرك وكنوزك التي تدخر وتكنز البر والتقوى ، والمعدلة واستصلاح الرعية ،

وعمارة بلادهم ، والتفقد لأمورهم والحفظ لدمائهم ، والإغاثة لملهوفهم .

واعلم أن الأموال إذا كثرت وذخرت في الخزائن لا تثمر ، وإذا كانت في إصلاح الرعية ، وإعطاء حقوقهم وكف المؤونة عنهم ، نمت وربت ، وصلحت به العامة وتزينت به الولاة ، وطاب به الزمان ، واعتقد فيه العز والمنفعة ، فليكن كنز خزائنك تفريق الأموال في عمارة الإسلام وأهله ، ووفر منه على أولياء أمير المؤمنين قبلك حقوقهم ، وأوف رعيتك من ذلك حصصهم .

وتعهد بما يصلح أمورهم ومعايشهم ، فإنك إذا فعلت ذلك قفزت النعمة عليك ، واستوجبت المزيد من الله وكنت بذلك على جباية خراجك ، وجمع أموال رعيتك وعملك أقدر ، وكان الجميع لما شملهم من عدلك وإحسانك أسلس لطاعتك ، وأطيب نفساً بكل ما أردت ، فاجهد نفسك فيما حددت لك في هذا الباب ، ولتعظم حسبتك فيه ، فإنما يبقي من المال ما أنفق في سبيل حقه ، واعرف للشاكرين شكرهم ، وأثبهم عليه ، وإياك أن تنسيك الدنيا وغرورها هول الآخرة ، فتتهاون بما يحق عليك ، فإن التهاون يوجب التفريط ، والتفريط يورث البوار ، وليكن عملك لله ، وفيه تبارك وتعالى .

وارجع الثواب فإن الله قد أسبغ عليك نعمته في الدنيا وأظهر لديك فضله ، فاعتصم بالشكر ، وعليه فاعتمد ، يزدك الله خيراً وإحساناً ، فإن الله يثيب بقدر شكر الشاكرين وسيرة المحسنين ،

وقضاء الحق فيما حمل من النعم ، والبس من العافية والكرامة ، ولا تحتقرن ذنباً ، ولا تمالئن حاسداً ، ولا ترحمن فاجراً ، ولا تصلن كفوراً ، ولا تداهنن عدواً ، ولا تصدقن نماماً ، ولا تأمنن غداراً ، ولا توالين فاسقاً ، ولا تتبعن غاوياً ، ولا تحمدن مرائياً ، ولا تحقرن إنساناً ، ولا تردن سائلاً فقيراً ، ولا تجيبن باطلا ، ولا تلاحظن مضحكاً ولا تخلفن وعداً ، ولا تذهبن فخراً ، ولا تظهرن غضباً ، ولا تأتين بذخاً ، ولا تمشين مرحاً ، ولا تركبن سفهاً ، ولا تفرطن في طلب الآخرة ، ولا تدفع الأيام عياناً ، ولا تغمض عن الظالم رهبة منه أو مخافة ، ولا تطلبن ثواب الآخرة في الدنيا ، وأكثر مشاورة الفقهاء واستعمل نفسك بالحلم ، وخذ عن أهل التجارب وذوي العقل والرأي والحكمة ، ولا تدخلن في مشورتك أهل الدقة والبخل ، ولا تسمعن لهم قولا ، فإن ضررهم أكثر من منفعتهم وليس شيء أسرع فساداً لما استقبلت في أمر رعيتك من الشح ، واعلم أنك إذا كنت حريصاً ، كنت كثير الأخذ ، قليل العطية ، وإذا كنت كذلك لم يستقم لك أمرك إلا قليلا فإن رعيتك إنما تعتقد على محبتك بالكف عن أموالهم ، وترك الجور عليهم ، ويدوم صفاء أوليائك لك ، بالإفضال عليهم ، وحسن العطية لهم ، فاجتنب الشح ، واعلم أنه أول ماعصي به الانسان ربه ، وان العاصي بمنزلة خزي ، وهو قول الله عز وجل : ﴿ **ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾ (١)

---

١) سورة الحشر الآية ٩

فسهل طريق الجود بالحق ، واجعل للمسلمين كلهم من نيتك حظاً ونصيباً ، وأيقن أن الجود من أفضل أعمال العباد ، فأعدده لنفسك خلقاً ، وأرض به عملا ومذهباً وتفقد أمور الجند في دواوينهم ، ومكاتبهم ، وادرر عليهم أرزاقهم ، ووسع عليهم في معايشهم ، ليذهب بذلك الله فاقتهم ، ويقوم لك أمرهم ، ويزيد به قلوبهم في طاعتك وأمرك ، خلوصاً وانشراحاً ، وحسب ذي سلطان من السعادة أن يكون على جنده ورعيته رحمة في عدله وحيطته وإنصافه وعنايته وشفقته وبرده وتوسعته ، فزايل مكروه إحدي البليتين ، باستشعار تكملة الباب الآخر ، ولزوم العمل به ، تلق إن شاء الله نجاحاً وصلاحاً وفلاحاً .

واعلم أن القضاء من الله ، بالمكان الذي ليس مثله شيء من الأمور ، لأنه ميزان الله الذى تعتدل عليه الأحوال في الأرض ، وبإقامة العدل في القضاء والعمل تصلح الرعية ، وتؤمن السبل ، وينتصف المظلوم ، ويأخذ الناس حقوقهم وتحسن المعيشة ، ويؤدي حق الطاعة ، ويرزق الله العافية والسلامة ، ويقوم الدين ، وتجري السنن والشرائع ، وعلى مجاريها ينتجز الحق والعدل في القضاء .

واشتد في أمر الله ، وتورع عن النطف ، وامض لإقامة الحدود ، وأقلل العجلة ، وابعد من الضجر والقلق ، واقتنع بالقسم ، ولتسكن ريحك ، ويقر جدك ، وانتفع بتجربتك وانتبه في صمتك ، واسدد في منطقك ، وأنصف الخصم وقف عند الشبهة ، وابلغ في

الحجة ، ولا يأخذك في أحد من رعيتك محاباة ولا مجاملة ، ولا لوم لائم ، وتثبت وتأن ، وراقب وانظر ، وتدبر وتفكر ، واعتبر وتواضع لربك ، وارأف بجميع الرعية ، وسلط الحق على نفسك ، ولا تسرعن إلى سفك دم ، فإن الدماء من الله بمكان عظيم انتهاكاً لها بغير حقها .

وانظر هذا الخراج الذي استقامت عليه الرعية ، وجعله الله للإسلام عزاً ورفعة ، ولأهله سعة ومنعة ، ولعدوه وعدوهم كبتاً وغيظاً ، ولأهل الكفر من معاهدتهم ذلا وصغاراً ، فوزعه بين أصحابه بالحق والعدل والتسوية ، والعموم فيه ، ولا تدفعن منه شيئاً عن شريف لشرفه ، وعن غني لغناه ولا عن كاتب لك ، ولا أحد من خاصتك ، فلا تأخذن منه فوق الإحتمال له ، ولا تكلفن أمراً فيه شطط واحمل الناس كلهم على مر الحق ، فإن ذلك أجمع لألفتهم ، وألزم لرضى العامة ، واعلم أنك جعلت بولايتك خازناً وحافظاً وراعياً ، إنما سمي أهل عملك رعيتك ، لأنك راعيهم وقيمهم ، تأخذ منهم ما أعطوك من عفوهم ومقدرتهم ، وتنفقه في قوام أمرهم وصلاحهم ، وتقويم أودهم ، فاستعمل عليهم في كور عملك ، ذوي الرأي والتدبير والتجربة والخبرة بالعمل ، والعلم بالسياسة والعفاف ، ووسع عليهم في الرزق ، فإن ذلك من الحقوق اللازمة لك فيما تقلدت وأسند إليك ، ولا يشغلنك عنه شاغل ، ولا يصرفنك عنه صارف ، فإنك متي آثرته وقمت فيه بالواجب استدعيت به زيادة النعمة من ربك ، وحسن الأحدوثة في عملك ، واستجررت به المحبة من رعيتك ، وأعنت على

الصلاح فدرت الخيرات ببلدك وفشت العمارة بناحيتك ، وظهر الخصب في كورك وكثر خراجك ، وتوفرت أموالك ، وقويت بذلك على ارتباط جندك ، وإرضاء العامة بإفاضة العطاء فيهم من نفسك ، وكنت محمود السياسة ، مرضي العدل في ذلك عند عدوك ، وكنت في أمورك كلها ذا عدل وقوة وآلة وعدة .

فنافس في هذا ، ولا تقدم عليه شيئاً ، تحمد مغبة أمرك إن شاء الله ، واجعل في كل كورة من عملك أميناً . يخبرك أخبار عمالك ، ويكتب إليك بسيرتهم وأعمالهم ، حتي كأنك مع كل عامل في عمله ، معاين لأمره كله ، وإن أردت أن تأمره بأمر ، فانظر في عواقب ما أردت من ذلك ، فإن رأيت السلامة فيه والعافية ، ورجوت فيه حسن الدفاع ، والنصح والصنع فامضه ، وإلا فتوقف عنه ، وراجع أهل البصر والعلم ، ثم خذ فيه عدته ، فإنه ربما نظر الرجل في أمر من أمره قد واتاه على ما يهوى فقواه على ذلك وأعجبه ، وإن لم ينظر في عواقبه أهلكه ونقض عليه أمره ، فاستعمل الحزم في كل ما أردت وباشره بعد عون الله بالقوة ، وأكثر استخارة ربك في جميع أمورك

وافرغ من عمل يومك ، ولا تؤخره لغدك ، وأكثر مباشرته بنفسك ، فإن لغد أموراً وحوادث تلهيك عن عمل يومك الذي أخرت ، واعلم أن اليوم إذا مضي ذهب بما فيه ، وإذا أخرت عمله اجتمع عليه أمر يومين ، فشغلك ذلك حتي تعرض عنه ، فإذا أمضيت لكل يوم عمله أرحت نفسك وبدنك ، وأحكمت أمور سلطانك ، وانظر أحرار

الناس وذوي الشرف منهم ، ثم استيقن صفاء طويتهم وتهذيب مودتهم لك ، ومظاهرتهم بالنصح والمحافظة على أمرك ، فاستخلصهم وأحسن إليهم ، وتعاهد أهل البيوتات ممن قد دخلت عليهم الحاجة ، فاحتمل مؤونتهم ، وأصلح إليهم ، حتي لا يجدوا لخلتهم مساً .

وافرد نفسك للنظر في أمر الفقراء والمساكين ، ومن لا يقدر على رفع مظلمة إليك ، والمحتقر الذي لا علم له بطلب حقه ، فأسأل عنه أخفى مسألة ، ووكل بأمثاله أهل الصلاح من رعيتك ، ومرهم برفع حوائجهم وحالاتهم إليك ، لتنظر فيها بما يصلح الله به أمرهم ، وتعاهد ذوي البأساء ويتاماهم وأراملهم ، واجعل لهم أرزاقاً من بيت المال اقتداء بأمير المؤمنين أعزه الله في العطف عليهم ، والصلة لهم ليصلح الله بذلك عيشهم ، ويرزقك به بركة وزيادة ، وأجر للأمراء من بيت المال ، وقدم حملة القرآن منهم ، والحافظين لأكثره في الجارية على غيره ، وانصب لمرضى المسلمين دوراً تؤويهم ، وقواماً يرفقون بهم ، وأطباء يعالجون أسقامهم ، واسعفهم بشهواتهم مالم يؤد ذلك إلى سرف في بيت المال .

واعلم أن الناس إذا اعطوا حقوقهم ، وافضل أمانيهم لم يرضهم ذلك ، ولم تطب أنفسهم دون رفع حوائجهم إلى ولاتهم ، طمعاً فى نيل الزيادة وفضل الرفق منهم ، وربما برم المتصفح لأمور الناس ، لكثرة مايرد عليه ، ويشغل فكره وذهنه ، ومنها ما يناله به مؤونه ومشقة ، وليس من يرغب فى العدل ، ويعرف محاسن أموره فى العاجل ،

وفضَل ثواب الآجل ، كالذي يستقبل ما يقربه إلى الله ، ويلتمس رحمته به .

وأكثر الإذن للناس عليك ، وأبرز لهم فى المسألة والمنطق ، واعطف عليهم بجودك وفضلك ، وإذا أعطيت فاعط بسماحة وطيب نفس ، وإلتمس الصنيعة والأجر ، غير مكدر ولا منان ، فإن العطية على ذلك تجارة مربحة إن شاء الله ، وإعتبر بما ترى من أمور الدنيا وبمن مضى من قبلك ، من أهل السلطان والرياسة فى القرون الخالية والأمم البائده .

ثم إعتصم فى أحوالك كلها بأمر الله ، والوقوف عند محبته ، والعمل بشريعته وسنته ، وإقامة دينه وكتابه ، وإجتنب ما فارق ذلك وخالفه ، ودعا إلى سخط الله ، واعرف ما تجمع عمالك من الأموال ، وينفقون منها ، ولا تجمع حراماً ، ولا تنفق إسرافاً ، وأكثر مجالسة العلماء ، ومشورتهم ومخالطتهم ، وليكن هواك إتباع السنن وإقامتها ، وإيثار مكارم الأمور ومعاليها ، وليكن أكرم دخلائك وخاصتك عليك من إذا رأى عيباً فيك لم تمنعه هيبتك من إنهاء ذلك إليك فى سر ، وإعلامك ما فيك من النقص ، فإن أولئك أنصح أوليائك ومظاهريك .

وانظر عمالك الذين بحضرتك وكتابك ، فوقت لكل رجل منهم فى كل يوم وقتاً ، يدخل عليك فيه بكتبه ومؤامراته ، وما عنده من حوائج عمالك ، وأمر كورك ورعيتك ، ثم فرغ لما يورده عليك من ذلك سمعك وبصرك ، وفهمك وعقلك ، وكرر النظر إليه والتدبير له ، فما كان

موافقاً للحزم والحق ، فامضه واستخر الله فيه ، وما كان مخالفاً لذلك فاصرفه إلى التثبت فيه والمسألة عنه ، ولا تمنن على رعيتك ولا على غيرهم بمعروف تأتيه إليهم ، ولا تقبل من أحد منهم إلا الوفاء والإستقامة ، والعون فى أمور أمير المؤمنين ، ولا تضعن المعروف إلا على ذلك .

وتفهم كتابي إليك وأكثر النظر فيه ، والعمل به ، واستعن بالله على جميع أمرك واستخره ، فإن الله مع الصلاح وأهله ، وليكن أعظم سيرتك ، وأفضل رغبتك ما كان لله رضاً ، ولدينه نظاماً ، ولأهله عزاً وتمكيناً ، وللذمة والدولة عدلاً وصلاحاً .

وأنا أسأل الله أن يحسن عونك وتوفيقك ، ورشدك وكلاءك ، وأن ينزل عليك فضله ورحمته بتمام فضله عليك ، وكرامته لك ، حتى يجعلك أفضل أمثالك نصيباً ، وأوفرهم حظاً ، وأسناهم ذكراً وأمراً ، وأن يهلك عدوك ، ومن ناوأك وبغى عليك ، ويرزقك من رعيتك العافية ، ويحجز الشيطان عنك ووساوسه ، حتى يستعلي أمرك بالعز والقوة والتوفيق ، إنه قريب مجيب . ﴾

* * *

الفصل الخامس :

وصية الإمام بن قدامه المقدسي (١)

﴿ قال الشيخ المقدسي سألني بعض إخواني الصالحين أن أكتب له وصيه فامتنعت من ذلك لعلمي أني غير مستوص فى نفسي ، ولا عامل بما ينبغي ، ثم بدأ لى أن أجيبه إلى مسألته رجاء ثواب قضاء حاجة الأخ المسلم ودعاءه لي ، وأن يجري لي أجراً إذا عمل بوصيتي ، وأن أكون من الدالين على الخير حين عجزت عن عمله ، لأكون بدلالتي عليه كفاعله ، والأعمال بالنيات ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت ، وإليه انيب ، فأقول وحسبنا الله ونعم الوكيل :

أعلم رحمك الله : إن هذه الحياة الدنيا مزرعه الآخرة ، ومتجر أرباحها وموضع تحصيل الزاد والبضائع الرابحة ، بها برز السابقون ، وفاز المتقون ، وأفلح الصادقون ، وربح العاملون ، وخسر المبطلون ، وأن هذه الدار هي أمنية أهل الجنة ، وأهل النار .

---

١) هو الشيخ الإمام القدوة شيخ الإسلام موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الدمشقي الحنبلي ، صاحب كتاب المغني ، ولد فى نابلس ثم هاجر مع أهله ، كان إمام الحنابلة بجامع دمشق وكان ثقه حجه نبيلاً ، غزير الفضل ، نزهاً ، ورعاً عابداً على قانون السلف يبدو عليه النور والوقار ، أقام ببغداد طلباً للعلم (سيرة أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبي)

قال الله تعالى في أهل النار ﴿ **وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل**[1] ﴾

وقال ابن مسعود رضي الله عنه فيما يرى : إن أرواح الشهداء كطير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ، ثم تأوي إلى قناديل معلقة بالعرش ، فبينما هم كذلك أطلع عليهم ربهم أطلاعه ، فقال ﴿ **ياعبادي سلوني ما شئتم** ﴾ . فقالوا : ياربنا ، نسأل أن ترد أرواحنا في أجسادنا ، ثم تردنا إلى الدنيا فنقتل فيك مرة أخرى ، فلما رأى أنهم لا يسألون إلا ذلك تركوا .

واعلم يا أخي رحمك الله : إن الله تعالى علم أنهم يسألون ذلك وأنهم لا يردون إلى الدنيا ، وإنما أراد إعلام المؤمنين الذين في الدنيا أن أمنيتهم في الجنة القتل في سبيل الله ليرغبهم في ذلك .

وقال إبراهيم التيمي رحمه الله : مثلت نفسي في الجنة ، آكل في ثمارها ، وأعانق أبكارها ، وأتمتع بنعيمها ، فقلت لنفسي : يانفسي ، أي شيء تتمنين ؟ فقالت : أرد إلى الدنيا فازداد من العمل الذي نلت به هذا . ثم مثلت نفسي في النار ، أحرق بجحيمها ، وأتجرع من حميمها وأطعم من زقومها ، فقلت لنفسي : يانفسي أي شيء تتمنين ؟ فقالت : أرد إلى الدنيا فأعمل عملاً أتخلص به من هذا فقلت لنفسي : يانفسي أنت في الأمنية فاعملي .

---

١) سورة فاطر الآية ٢٧

وكان بعض السلف قد حضر لنفسه قبراً ، فإذا فتر عن العمل ، نزل فى قبره فتمدد في لحده ، ثم قال : يانفسي ، قدري أني قد مت ، وصرت في لحدي ، فأي شيء كنت تتمنين ؟ فقالت : أرد إلى الدنيا فأعمل عملاً صالحاً . فقال لها : قد بلغت أمنيتك ، فقومي فأعملي صالحاً .

واعلم رحمك الله ، إن أهل القبور ، أمنية أحدهم أن يسبح تسبيحة تزيد في حسناته ، أو يقدم على توبة من بعض سيئاته ، أو يركع ركعة ترفع من درجاته .

وقد روينا أن رجلاً ركع ركعتين إلى جانب قبر ، ثم اتكأ عليه ، فأغفى ، فرأى صاحب القبر في المنام يقول : تنح عني فقد آذيتني ، والله إن هاتين الركعتين اللتين ركعتهما ، لو كانتا لي ، كانت أحب إلي من الدنيا وما فيها ، إنكم تعملون ولا تعلمون ، ونحن نعلم ولا نعمل .

فاغتنم رحمك الله حياتك النفيسة ، واحتفظ بأوقاتك العزيزة ، واعلم أن مدة حياتك محدودة ، وأنفاسك معدودة ، كل نفس ينقص به جزء منك ، والعمر كله قصير ، والباقي منه هو اليسير ، وكل جزء منه جوهرة نفيسة لا عدل لها ، ولا خلف منها وأن بهذه الحياة اليسيرة خلود الأبد في النعيم ، أو العذاب الأليم ، وإذا عادلت هذه الحياة بخلود الأبد ، علمت أن كل نفس يعدل أكثر من ألف ألف عام فى نعيم لا خطر له ، أو خلاف ذلك ، وما كان هكذا فلا قيمة ، فلا تضيع جواهر عمرك النفيسة بغير عمل ، ولا تذهبها بغير عوض ، واجتهد

أن لا يخلو نفس من أنفاسك إلا في عمل طاعـة ، أو قربـة تتقـرب بهـا إلى الله تعالى ، فإنك لو كانت معك جوهرة من جواهر الدنيا فضـاعت منك ، لحزنت عليها حزنـاً شـديداً ، بـل لوضـاع منـك دينـار لسـاعك ، فكيف تفرط في ساعاتك وأوقاتك ، وكيف لا تحزن على عمرك الذاهـب بغير عوض

وأنني قد خطر لي أن أمثل هذه الدنيا وأهلها ، كمثل أهل سـفينة القتهـم الريح إلـى جزيرة فـي البحـر فيهـا معـادن الجواهر كلهـا مــن اليـاقوت ، والزمـرد ، والزبرجـد ، والبلـور ، والمرجـان ، والـدرر ، واللؤلؤ ، ومـا دون ذلك إلى العقيـق ، والسـبيح ، ، ثـم بعد ذلـك زلـف وحجارة ممـا لا قيمـة لـه ، وفيها أنـهار وبسـاتين ، وفـي الجزيـرة حمـى للملك قد حد لـه حدوداً ، وحاط عليه حائطاً فيه خزائن للملك .

فنزل أهل السفينة في الجزيرة ، وقيل لهم : إن مقامكم فيها يوم وليلـة فاغتنموا مدتكم القصيرة فيما أمكنكم في أخذ هذه الجواهر . فأمـا (**الفرقة الأولى**) الحازمون : فأسرعوا إلى تلك الجواهر ينتقون منهـا ويحملونـه إلى مخازنهم في السفينة ، ويجدون ويجتهدون ، فإذا تعبـوا تذكـروا قـدر تلـك الجواهـر التـي يحصلونـهـا ، وكـثرة قيمتهـا ، وقلّـة مقامهم في تلك الجزيرة ، وأنهم عن قليل راحلون منها ، فـلا يقـدرون علـى الآزديـاد ، فرفضـوا الراحـة وتزكـوا الدعـة ، وأقبلـوا علـى الجـد والاجتهاد ، وإن عرض لهم النوم تذكروا ذلك ، فذهب عنهم لذة النـوم والكرى ، وتمثلوا عند الصباح عمل القوم .

وأما آخرون فأخذوا من الجواهر شيئاً ، واستراحوا في أوقات الراحة ، وناموا في أوقات النوم .

وأما (**الفرقة الثانية**) فلم يعرضوا للجواهر أصلاً ، وأتو النوم والراحة والتفرج ، ومنهم قوم أقبلوا على بناء المساكن القصور والدور ، وقوم على جمع الزلف والحجارة والسقف ، وقوم أقبلوا على اللعب والنزهات وسماع الحكايات المطربات ، وقالوا : " درة منقودة خير من درة موعودة . " .

(**والفرقة الثالثة**) : عدلوا إلى حمى الملك فطافوا به فلم يجدوا له باباً ، ففتحوا لهم فيه ثلماً ، واقتحموا ، ففتحوا خزائن الملك كسروا أبوابها ، وانتهوا منها ، وعبثوا بجواري الملك والولدان ، وقالوا : ليس لنا دار غير هذه الدار .

وأقاموا على ذلك حتى ذهبت مدة المقام ، وضرب جرس الرحيل ونودي بالتحويل بالحث والتعجيل .

فأما (**الفرقة الأولى**) الذين حصلوا الجواهر ، فرحلوا مغتبطين ببضائعهم لا يأسفون على المقام إلا الأزدياد مما كانوا عليه .

(**وأما الفرقة الثانية**) : فاشتد جزعهم لعدم استبضاعهم ، وكثرة تفريطهم ، وقلة زادهم ، وتركهم ما عمروه ، وارتحالهم إلى ما خربوه

(**وأما الفرقة الثالثة**) : فكانوا أشد جزعاً ، وأعظم مصيبة ، وقيل لهم : لا ندعكم حتى نحملكم ما أخرجتم من خزائن الملك في

أعناقكم وعلى ظهوركم . فارتحلوا على هذه الصفة حتى وردوا مدينة الملك العظيم ، فنودي في المدينة : أنه قد مر قوم كانوا في معادن الجواهر ، فتلقاهم أهل المدينة ، وتلقاهم الملك وجنوده ، فاستنزلوهم وقيل لهم : اعرضوا بضائعكم على الملك .

فأما (**الفرقة الأولى**) : أهل الجواهر ، فعرضت بضائعهم ، فحمدهم الملك ، وقال لهم : أنتم خاصتي واهل مجالستي ومحبتي ، ولكم ما شئتم من كرامتي ، وجعلهم ملوكاً ، لهم ما شاءوا ، وإن سألوا أعطوا ، وإن شفعوا شفعوا ، وإن أرادوا شيئاً كان يقال : خذوا ما شئتم ، واحتكموا ما أردتم فأخذوا القصور والدور والحور والبساتين والقرى والرساتيق وركبوا المراكب ، وسار بين أيديهم وحولهم الولدان والجنود وصاروا ملوكاً ينزلون في جوار الملك ، ويجالسونه وينظرون إليه ، ويزورونه ، ويشفعون إليه فيمن شاءوا ، وإن سألوه أعطاهم ، وإن لم يسألوه ابتدأهم .

(**وأما الفرقة الثانية**) : فقيل لهم : أين بضائعكم ؟ فقالوا : ما لنا بضاعة ، فقيل لهم : ويحكم ، أما كنتم في معادن الجواهر ؟ أما كنتم أنتم وهؤلاء الذين صاروا ملوكاً في موضع واحد ؟ قالوا : بلى ، ولكنا آثرنا الدعة والنوم ، قال بعضهم : اشتغلنا ببناء الدور والمساكن وقال آخرون : اشتغلنا بجمع الزلف والسقف . فقيل لهم تباً لكم ، أما علمتم قلة مقامكم ونفاسة الجواهر التي عندكم ؟ أما علمتم أن تلك ليست بدار مقام ولا محل منام ؟ أما أيقظكم الأيقاظ ؟ أما وعظكم

الوعاظ ؟ قالوا : بلى والله ، قد علمنا فتجاهلنا ، وأيقظونا فتناومنا ، وسمعنا فتصاممنا ، فقيل : تباً لكم آخر الدهر . فعضوا أيديهم ندامة ، وبكوا على التفرط بعد الدموع دماً ، وبقوا آسفين متحيرين ، ووقفوا منتظرين أن يتصدق عليهم بعض الذين صاروا ملوكاً بشفاعة ، أو يتكلم لهم عند الملك بكلمة .

(**وأما الفرقة الثالثة**) : فجاءوا يحملوا أوزارهم على ظهورهم يائسين مبلسين ، حيارى سكارى ، قد زلت بهم القدم ، وحل بهم الندم ، ونزل بهم الألم ، وافتضحوا عند الأمم ، فأبعدهم الملك عن داره ، وطردهم من جواره ، وأمر بهم إلى السجن ، فجروا إليه ، وقد أيقنوا العذاب ، وجل أمرهم عن العتاب ﴿ **فإن يصبروا فالنار مثوى لهم وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين**[1] ﴾

فانظر رحمك الله ، إلى تفاوت ما بين المنزلتين ، وما حصل من الفرق بين الفريقين بالصبر في تلك المدة اليسيرة التي أقاموها في الجزيرة ، فهذا تقريب مثال الدنيا ، من عمل فيه بالطاعة ، ومن استوعبها بالتفريط والإضاعة .

فاجتهد رحمك الله ، في أن تكون في الفرقة الأولى الذين استوعبوا الساعات بالطاعات ، ولم يفرطوا في شيء من الأوقات ، وألزم قلبك التفكير في نعم الله تعالى لتشكرها ، وفي ذنوبك لتستغفرها

---

١) سورة فصلت الآية ٢٤

وفي تفريطك لتندم ، وفي مخلوقات الله لتعرف عظمته وحكمته ، وفيما بين يديك لتسعد به ، في حكم شيء تحتاج إليه لتعلمه ، والزم لسانك ذكر الله تعالى ، ودعاءه واستغفاره ، أو قراءة القرآن ، أوعلم تعليم ، أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر ، أو اصلاح بين الناس وأشغل جوارحك بالطاعات ، وليكن من أهمها الفرائض في أوقاتها على أكمل أحوالها ، ثم مايتعدى نفعه إلى الخلق ، وأفضل ذلك ما نفعهم في دينهم كتعليم الدين وهدايتهم إلى الصراط المستقيم ، واحترس من مفسدات الأعمال لئلا يفسد عملك ، ويخيب سعيك ، فلا تحصل على أجر العاملين ، ولا راحة البطالين ، وتفوتك الدنيا والآخرة ، فمن ذلك الرياء بالعمل لمحمدة الناس ، فإن هذا شرك وقد روي عن الله تعالى أنه قال " **من عمل عملاً أشرك به ، أنا منه بريء** "

وقد لا يحصل للمرء ما قصده فيخيب بالكلية .

وقد روينا أن رجلاً كان يرائي بعمله ، فإذا مر بالناس قالوا هذا مرائي فقال يوماً في نفسه : والله ما حصلت على شيء فلو جعلت . عملي لله تعالى ، فما زاد على أنه قلب نيته ، فكان إذا مر بعد ذلك قالوا : هذا رجل صالح .

ومن ذلك العجب ، فقد روي أن المرائي لا يجاوز عمله رأسه وروي أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام : " ياموسى ، قل للعاملين المجبين اخسروا ، وقل للمذنبين النادمين أبشروا " .

وقال بعضهم : لأن أبيت نائما ، وأصبح نادماً ، أحب إلي من أن أبيت قائماً وأصبح معجباً .

ولا تحقرن مسلماً ، ولا تظنن أنك خيراً منه ، فإن ذلك ربما أحبط عملك .

وقد روينا أن عيسى عليه السلام خرج في سياحته ومعه حواريه فمرا بقلعة فيها لص ، فلما رآهم قال لنفسه : هذا عيسى نبي الله تعالى ، وهذا حوارية ، ومن أنت ياشقي ، لص تقطع الطريق ، وتخيف السبيل ، وتقتل النفس التى حرم الله تعالى ، فنزل إليهما تائباً نادماً فلما أراد أن يمشي معهما قال لنفسه : ما أنا بأهل أن أمشي معهما ، ولكن أمشي خلفهما كما يمشي المذنب الذليل ، فمشى خلفهما ، فالتفت الحواري فرأه يمشي خلفهما فعرفه ، فقال في نفسه : من هذا الكلب حتى يمشي خلفنا . فأطلع الله تعالى على ما في انفسهما ، فأوحى إلى عيسى عليه السلام : أن قل للحواري واللص أن يستأنفان العمل ، أما اللص فقد غفرت له بتوبته وازدرائه على نفسه ، وأما الحواري فقد أحبطت عمله بازدرائه اللص .

وقال بعض أنبياء بني إسرائيل لقومه أئتوني بخيركم . فأتوه برجل . فقال لهم النبي : ائتوني بشركم . فعاد الرجل إليه بنفسه ، وقال : ما وجدت فيهم شراً مني . فقال : صدقوا أنت خيرهم .

وفي ذلك مخالفة النفس قولاً وفعلاً ، أو عقلاً ، فإن رسول الله ﷺ وآله وسلم هو الدليل الهادي إلى الصراط المستقيم .

وقال الله تعالى : ﴿ وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم (١) ﴾ فمن خالف الدليل وأخذ عن غير طريق فقد ضل ، بل اتبع السنة ، وسر حيث سارت ، وقف حيث وقفت ولا تجاوزها فتغلوا في دينك ، مثل : الوسوسة في الطهارة والصلاة ، والزيادة على الصلاة المشروعة ، والإسراف في الماء وتنجيس ما كان النبي ﴿ﷺ﴾ يستعمله ويطهره والصلاة في وقت نهيه ، والصوم فيما نهى عنه .

قال أبو سليمان الدارانى رحمه الله : إذا أردت عملاً ترى أنه طاعة فانظر فإن وردت به سنة وإلا فدعه . أو كما قال : إذا دعتك نفسك إلى المعصية ، فذكرها سوء عاقبتها .

واعلم أن الله تعالى ناظر إليك ، مطلع عليك ، فقل لنفسك : لو كان رجل من صالحي قومي يرني لا ستحيت منه ، فكيف لا أستحي من ربي تبارك وتعالى ، ثم لا آمن تعجيل عقوبته وكشف ستره .

وأعلم أنك لا تقدر على معصية إلا بنعمته ، فكم له عليك من نعمة في يدك التي مددتها إلى معصية ، وكم من نعمة في عينيك التي نظرت بها إلى ما حرم الله عليك ، وفي لسانك الذي نطقت به بما لا يحل لك ، وليس من شكر أنعامه أن تستعين بها على معاصيه .

كان بعضهم يقول : اللهم إني أستغفرك خطئة قوي عليها بدني بعافيتك ، ونالتها يدي بفضل نعمتك ، وانبسطت فيها بسعة رزقك .

---

١) سورة الشورى الآية ٥٢

وانحجبت فيها عن أعين الناس بسترك ، وجرأني عليها حلمك وأناءتك ، واتكلت فيها على كريم عفوك .
ولو لم يكن من نعمة عليك في معصيتك التي سترها عليك لكفى ، فلوا أطلع الناس عليك لانهتكت .

وقد روينا أن رجلاً أتى إبراهيم بن أدهم فقال : ياأبا اسحق ، إنني لاأصبر عن المعاصي ، فقل لي قولاً انتفع به . قال : نعم ، أقولها لك خمس خصال إن قدرت عليها لم تصر لك معصية . قال هات .

قال إن أردت أن تعصى الله تعالى فلا تأكل رزقه .

قال : ياأبا إسحق ، فمن أين آكل وكل مافي الأرض من رزقه .

قال : أفيحسن أن تأكل رزقه وتعصيه ؟

قال : لا ، هات الثانية .

قال : وإن أردت أن تعصيه فلا تسكن بلاده .

قال : هذه أشد من الأولى ، إذا كانت السموات والأرض وما بينهما وما فيهما له ، فأين أسكن .

قال : ياهذا ، أفيحسن أن تأكل رزقه وتسكن بلاده ، وتعصيه ؟

قال لا ، هات الثالثة ،

قال : إن أردت أن تعصيه ، فانظر إلى موضع لا يراك فيه فاعصه فيه

قال : ياأبا أسحق ، فكيف أصنع وما السموات والأرض والجبال والبحار موضع إلا بارز له ، يرى ما في قعر البحار وتحت أطباق الجبال .

قال ياهذا ، أفيحسن أن تأكل رزقه ، وتسكن بلاده ، ويراك ، وتجاهر بالمعصية ؟

قال : لا هات الرابعة .

قال : إذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك ، فقل له : أخرني حتى أتوب .

قال : لا يقبل مني .

قال : ياهذا ، إذا كنت تعصيه ولا تأمن مفاجآت الموت ، ولا يقبل منك فيؤخرك ، فتموت على غير توبة ، فكيف يكون حالك ؟

قال : هات الخامسة .

قال : إذا جاءك الزبانية ليأخذوك إلى النار فلا تمضي معهم

قال : لا يدعونني .

قال : فإذا كنت لا تقدر على الامتناع منهم ، ولا تدع المعصية ، فكيف ترجوا الخلاص .

قال : حسبي .

ولزم إبراهيم فعبد الله تعالي معه حتى مات .

وإن ابتليت بمعصية فبادر إلى التوبة والاستغفار والندم ، وابك على خطيئتك ، فإنك لا تدري ما أنت منها .

كان بعضهم يقول : لا تنظر إلى صغير الخطيئة ، ولكن انظر إلى من عصيت .

وشكا بعض عمال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، إليه ، فكتب إليه ، يأخي ، اذكر سن أهل النار في النار مع خلود الأبد ، واحذر أن يكون المنصرف بك من عند الله إلى النار ، فيكون آخر العهد ومنقطع الرجاء ، فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم عليه ، فقال له : ما أقدمك ؟ قال : خلعت قلبي بكتابك ، لاعملت لك ولا لأحد بعدك .

واعلم يأخى ، أن الخطر عظيم ، والخطب جليل ، وإنا قد عرضنا الأمر لا تقوم له الجبال الشوامخ ولا الأرض العريضة ، ولاالسماء الرفيعة ، ولا البحار الواسعة ، قال الله تعالى ﴿ **إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان**(١) ﴾

وخلقت النار التي لا مثيل لها ولعذابها ، ووعدها الله تعالى أن يملأها منا ومن الجن ، فقال تعالى : ﴿ **لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين**(٢) ﴾

وكيف حال من تشتعل النار في جسده كله ، وكلما نضج جلد بدل جلداً غيره ، ويسحب في حميم قد انتهى جره على وجهه ، ويصب من فوق رأسه فيصهر به ما في بطنه ، وينتزع جلده ،

---

١) سورة الأحزاب الآية ٧٣

٢) سورة هـود الآية ١١٩

ثم يسجن في نار تشتعل في جسمه ووجهه لا نهاية لعذابها ، ولا يفتر عنها ، ولا يرجو منها فرجاً ، قال الله تعالى ﴿ **إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون ، لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون ، وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ونادوا يامالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون**[1] ﴾ وهم لا يرحمون إن بكوا ، ولا يعذرون إن شكوا ، ولا يجابون إن دعوا ، ولا يستعتبوا إن استعتبوا، قال الله تعالى ﴿**وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين**[2]﴾

يروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر بكثب من الرمل فقال : مساكين أهل النار ، لو علموا أنهم إذا لبثوا في جهنم عدد هذه الرمال ، واخرجوا منها ، لكان لهم أمل يمدون أعناقهم إليه ، ولكن لاغاية لهم ، ومن كان حاله هكذا لايأمن على نفسه أن يكون من أهلها ، فحقه أن لا يفتر من البطيء ، ولا يستقر به قرار .

فكن ياأخى على حذر ، ولا تأمن وأنت معرض لهذا الخطر ، وقد كان بعضهم يبكي كثيراً فقيل له في ذلك . فقال : والله لو تواعدنى ربي أن يسجنني في الحمام لكان حقي أن لاأفتر عن البكاء ، فكيف وقد تواعدني ربي أن يسجنني في النار إذا أنا عصيته .

وكان يزيد الرقاشي رضي الله عنه إذا دخل بيته بكى ، وإن خرج بكى ، وإن دخل المسجد بكى ، وإن جلس إلى إخوانه بكى ،

---

١) سورة الزخرف الآية ٤٧ ، ٧٧

٢) سورة فصلت الآية ٢٤

فقال له ابنه : يا أبتاه ، كم تبكى ، فوالله لو أن النار لم تخلق إلا لك مازدت على هذا . فبكى وقال : ثكلتك أمك يابني ، وهل خلقت النار إلا لي ولإخواني من الإنس والجن ، أما تقرأ : ﴿ **يامعشر الجن والإنس إن استطعتم** [1] ﴾ أما تقرأ : ﴿ **يرسل عليكما** [2] ﴾، أما تقرأ يابني : ﴿ **هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون** [3] ﴾، فقام يجول في الدار ويصرخ حتى غشي عليه ، فقالت أم الغلام : يابني ما أردت من أبيك إلا هذا . فقال : والله ما أردت إلا أن أهون عليه ، وما أردت أن أزيد عليه حتى يقتل نفسه.

واعلم ياأخى ، إن الذي خاف منه أولئك نحن مثلهم فيه ، بل أحق به منهم ، فما الذي يؤمننا دونه .

واعلم رحمك الله ، إن حسن الخلق أثقل ما يوضع في الميزان وإن يبلغ بصاحبه درجة الصائم القائم ، وإن من وصل رحمه وصله الله ومن قطعها قطعه الله ، وإن أفضل الأعمال الصلاة لمواقيتها ، ثم بر الوالدين ، ثم الجهاد في سبيل الله ، وإن أوثق عرى الإيمان الحب في الله ، والبغض في الله ، وإن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، وملاك الأمر في الدعاء ،

---

١) سورة الرحمن الآية ٣٣

٢) سورة الرحمن الآية ٣٥

٣) سورة الرحمن الآية ٤٣

فإن الأمر كله بيد الله يهدي من يشاء ويستعمله ، ويضل من يشاء ويخذله ، فينبغى أن ترغب إلى من الأمر بيديه ، وتفوض أمرك إليه ، وليكن دعاؤك بخضوع وخشوع ، وبكاء وتضرع ، فإن بعضهم قال : إنى لأعلم حين يستجيب لي ربي ، إذا وجل قلبي ، واقشعر جلدي ، وفاضت عيناي ، فتح لي فى الدعاء .

وقالت أم الدرداء لشهر بن حوشب : أما تجد قشعريرة قال : بلى قالت : فادع عندها ، فإن الدعاء يستجاب عند ذلك .

وعن أبي الجلد قال : أوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام ، إذا ذكرتني فأذكرني وأعضاؤك تنتفض ، وإذا دعوتني فأجعل لسانك من وراء قلبك ، وإذا قمت بين يدي فقم مقام الذليل الحقير ، وذم نفسك فهي أولى بالذم ، وناجني بقلب وجل ، ولسان صادق ، وفوض أمرك إلى الله تعالى واستطرح بين يديه ، وأشعر قلبك فيه أنه لا ينالك من الرزق والخير إلا ما كتب الله لك ولو إجتهدت فيه بحيلة من فى السموات والأرض ولا يجري عليك مما تكرهه إلا ما كتب الله عليك ولو اجتمع عليك من في السموات والأرض ، وإن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك .

واعلم أن من هو في البحر على لوح ليس بأحوج إلى الله تعالى وإلى لطفه ممن هو في بيته بين أهله وماله ، فإن الأسباب التي ظهرت له بيد الله تعالى ، هى الأسباب لنجاة هذا الغريق بيده ، فإذا حققت في قلبك ذلك ، فاعتمد على الله تعالى إعتماد الغريق الذي

لايعلم سبل نجاته غير الله تعالى ، وعليك بالورع واجتناب الشبهات فإن من وقع في الشبهات أوشك أن يقع في الحرام ، وإن من رتع حولها ، كذلك أوشك أن يجسر . وعليك بالليل فاخل فيه بربك ، واطلب منه حوائجك وتضرع بين يديه ، واخضع إليه .

فإنه يروى أن رجلاً قال : أتيت بشراً ، فقال : ما جاء بك ؟ قلت مسألة . قال : ما هى ؟ قال : رجل عليه دين كثير لا سبيل إلى قضائه فقال : عليك بجوف الليل فأتيت أبا عبد الله أحمد بن حنبل فسألته فقال عليك بجوف الليل . قال : فدلانى جميعاً عليه .

فإذا سألت الله تعالى ، فاسأله وأنت موقن بأنه مطلع عليك ، سامع لدعائك ، قريب منك ، قادر على إجابتك ، لا يتعاظمه شيء ، فإذا سألته أمراً فاسأله الخيرة فيه ، فإنك لا تدري ما يكون لك فيه ، وإذا سألت الله تعالى أعطاك رغبتك ، وخار لك في ذلك ، فيجمع لك بين الأمرين ، فإن لم تعجل لك الإجابة فلا تيأس من الإجابة ، ولا تمل من السؤال وقد روي أن بعضهم قال : لقد خار الله عز وجل لعبد في حاجة أكثر من تضرعه .

واعلم أن الله تعالى إذا نظر إليك ، وقد جعلته معتمدك وملجأك وأفردته بحوائجك دون خلقه ، أعطاك أفضل مما سألته ، وأكرمك بأكثر مما أردته ، فإن عجل لك الإجابة فقد جمع لك بين قضاء الحاجة وخير الآخرة ، وإن لم يجبك عاجلاً فقد عوضك عن ذلك خيراً منه ، فأنت على خير في الحالتين ، واسترح إلى مناجاته ، وتلذذ بعبادته .

فإنه يروى عن أبي سليمان الداراني أنه دخل عليه أحمد بن أبي لحواري وهو يبكى ، فقال : ما يبكيك ؟ فقال : ياأحمد ، ومالي لا ابكي ، لو رأيت قوام الليل وقد قاموا إلى محاريبهم ، وانتصبوا على أقدامهم ، يناجون ربهم في فكاك رقابهم ، وقطرت دموعهم على أقدامهم ، وجرت على خدودهم ، وقد أشرف عليهم الجليل ، فنادى : يا جبريل ، ما هذا الجزع الذي أراهم فيه ، أبلغهم أن حبيباً يعذب أحباءه أم كيف ؟ ! وفي البيت أقواماً عند البيات أحدهم وقوفاً يتملقونى ، فبعزتى لأجعلن جزاؤهم حين يردوا على أن أكشف لهم الحجاب عن وجهى حتى انظر إليهم وينظرون إلي .

ومناجاة العباد لربهم كثيرة ، ومن أحسنها ما روي عن منصور بن عمار أنه قال : سمعت عابداً يناجي ربه وهو يقول : وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتى لك مخالفتك ولا التعرض لغضبك ، ولا أنا بك جاهل ولا بعذابك متعرض ، ولا بنظرك مستخف ، ولكن زينت لي نفسي ، وأعانتها شقوتي ، وغرني سترك المرخي على ، فعصيتك بجهلي وخالفتك بجهدي ، فالآن من عذابك من ينقذني ، وبحل من اعتصم إن قطعت حبلك عني ، واسوأتاه من الوقوف بين يديك غداً ، إذا قيل للمخففين جوزوا ، وللمثقلين حطوا ، فمع المخففين أجوز ، أم مع المثقلين أحط ، سيدي ، ويلي كلما طالت أيامي كثرت آثامي ، ويلي كلما كبرت سني عظمت ذنوبي ، فكم أتوب ، وكم أعود ، واشباباه ، واشباباه .

وروي عن رجل قال : طلعت بعض جبال الشام ، فرأيت في رأسه عابد قد اشتد بكاؤه ونحيبه ، فسمعته يقول : أترى بكائى نافعاً لي عندك ياسيدي ، ومنقذاً لرقبتي من سخطك ، أتراك موبخي على رؤوس الخلائق بتفريطي في حقك ، أواهاً لكشف ستري ، أواهاً لحياء وجهي ، أواهاً لما يلقاه غداً في النار جسدي . قال ثم اشتد بكاؤه حتى أنساني ما قبل ذلك ، فناداه رجل : دلنا على الطريق رحمك الله ، فبكى ثم قال : اللهم دل حيرتهم وحيرتى ، ولا تغرني ولا إياهم ، ثم قال : وكيف لي ولكم بالثبوت عليها ، وكيف لي ولكم بالإستقامة عليها .

وروي عن الحسين بن جعفر عن أبيه جعفر قال : صليت العيد بجبان ، ثم انفردت في ناحية ، فإذا أنا بعجوز رافعة يديها وهى تقول انصرف الناس ولم أشعر قلبي اليأس ، ياصاحب الصدقة ها أنا ذا منصرفة ، فلئن ما زودتني يارب فارحم ضعفي وكبر سني ، خرجت أرجوك فلا تخيب حسن ظني بك : قال : وهي تبكي ، فما انتفعت بنفس يومي .

وعن سفيان أنه قال : سمعت أعرابياً بعرفة يقول : إلهي من أحق بالزلل والتقصير مني وقد خلقتني ضعيفاً ، ومن أحق بالعفو عني منك ، وعلمك في سابق ، وأمرك في محيط ، إلهي لم أحسن حتى أذنت لي ، ولم أسيء حتى قضيت علي ، أطعتك بنعمتك ، والمنة لك ، فأسألك بوجوب حجتك وانقطاع حجتي ، وفقري إليك وغناك عني ، إلا ما غفرت لي ورحمتني ، اللهي أنت أنس المؤمنين لأوليائك ، وأقربهم

بالكفاية إلى من توكل عليك ، تشاهدهم في سرائرهم ، تطلع على ضمائرهم ، اللهم سري لك مكشوف ، وأنا إليك ملهوف ، إذا أوحشتني الذنوب آنسني ذكرك ، وإذا اجتمعت علي الهموم لجأت إليك ، علماً مني بأن أزمتها بيدك ومصدرها عن قضاءك وقدرتك .

ولبعضهم : اللهم إن استغفاري لك مع إصراري لؤم ، وإن تركي الاستغفار مع سعة رحمتك لعجز ، إلهي كم تتحبب إلي بالنعم وأنت غني عني ، وكم أتبغض إليك بالمعاصي وأنا إليك فقير ، إلهي أتراك تعذبنا بالنار وقد أسكنت توحيدك في قلوبنا ، وما أراك تفعل ، ولئن فعلت فمع قوم طال ما عاديناهم فيك .

واحسن من هذا ما روي عن النبي ﴿ﷺ﴾ أنه قال حين رجع من الطائف وقد كذبته ثقيف وردوا عليه ، فقال :" إلهي أشكوا إليك ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، اللهم أنت رب المستضعفين ، وأرحم الراحمين ، وأنت ربي ، إلى من تكلني ، إلى بعيد يتجهمني ، أو إلى عدو ملكته أمري ، إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي ، ولكن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بوجهك الكريم أن يحل بي سخطك ، وينزل علي غضبك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك "

وإذا كانت لك حاجة إلى الله تعالى تريد طلبها منه ، فتوضأ وأحسن وضوءك ، واركع ركعتين ، وأثني على الله عز وجل ، وصلي على النبي ﴿ﷺ﴾، ثم قل لا إله إلا الله العلي العظيم ، سبحان الله

رب العرش الكريم ، والحمد لله رب العالمين ، أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والغنيمة من كل بر ، والسلامة من كل ذنب ، اللهم لا تدع ذنباً إلا غفرته ، ولا هماً إلا فرجته ، ولا حاجة هي لك رضىً إلا قضيتها ، يا أرحم الراحمين .

وإن قلت : اللهم إني أتوجه إليك بنبينا محمد ﷺ نبي الرحمة ، يا محمد ، إني أتوجه بك إلى ربي وربك عز وجل ، لتقضى حاجتي وتذكر حاجتك .

وروي عن السلف أنهم كانوا يستنجحون حوائجهم بركعتين يصليهما ، ثم يقول : اللهم بك استفتح ، وبك استنتجح ، وإليك بنبيك محمد ﷺ أتوجه ، اللهم ذلل لي صعوبة أمري ، وسهل حزونته وسهل من الخير أكثر مما أرجو ، واصرف عني من الشر أكثر مما أخاف .

وإذا اردت امراً فاستخر الله تعالى ، وصل ركعتين غير الفريضه ، ثم قل " اللهم إني استخيرك بعلمك ، واستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر - ثم تسميه بعينه - خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ، أو قال : في عاجل أمري وآجله ، فاقدره لي ويسره لي ، ثم بارك لي فيه ، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ، أو قال : في

عاجل أمري وآجله ، فاصرفه عني ، واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ، ثم رضني به " قال : ويسمى حاجته .

وليكن همك في هذه الدنيا التقرب إلى ربك الكريم ، وطلب فضله العظيم والاجتهاد في الدخول في أوليائه الذين يحبونهم ويحبونه ، ويرضى عنهم ويرضون عنه ، الذين اختارهم لنفسه ، وأكرمهم بولايته ، وأوقفهم على بابه ، وأشغلهم به ، وعلق قلوبهم بمحبته ، وشغل ألسنتهم بذكره وجوارحهم بطاعته ، لا يلتفون إلى ماسواه من دنيا ولا غيرها .

وروي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه حين حضره الموت جعل يغشى ثم يفيق ، فيقول : " اختفى حتفك ، فوعزتك وجلالك إنك لتعلم إن قلبي يحبك " . ثم قال انظروا هل أصبحنا ؟ " فأتي بعد ذلك فقيل له : نعم فقال : " اللهم إني أعوذ بك من ليلة صباحها إلى النار " ثم قل : " مرحباً بالموت زائراً ، مغيب حبيب ، جاء على فاقة اللهم إنك لتعلم أني لم أكن أحب البقاء في الدنيا لغرس الأشجار ، ولا لجري النهار ، ولكن لظمأ الهواجر ، وقيام ليل الشتاء ، ومزاحمة العملاء بالركب عند حلق الذكر " . فبكى الحارث بن عميرة ، فقال له : ما يبكيك ؟ فقال : والله ما أبكي لقرابة بيني وبينك ، ولا لدنيا كنت أصيبها منك ، ولكن كنت أصبت منك علماً ، فأخاف أن ينقطع . فقال : لا تبك ، فإنه من يريد العلم ، أتاه الله تعالى كما أتى إبراهيم خليل الرحمن ، وليس يومئذ علم ولا إيمان .

واعلم رحمك الله أن هذه الدنيا سوق متجر الأبرار ، وحلبة السباق بين الكرام الأخيار ، ومزاد التقوى ليوم القرار ، ومحل تحصيل الزاد للسفر الذي كالأسفار ، فبادر رحمك الله قبل فوات إمكان البذار ، واغتنم أنفاسك العظيمة ، واذرف من دموعك على ما سلف من نفسك فإن القطرة من الدموع من خشية الله تعالى تطفىء البحور من النيران وتيقظ في ساعات الأسحار عند نزول الجبار ، وأخطر قلبك قول العزيز الغفار " هل من سائل فأعطيه ، هل من داع فاستجيب له ، هل من مستغفر فأغفر له " قل : نعم يارب ، أنا السائل المحتاج الفقير الضعيف الكسير ، أنا الداعى الراجى ، أنا المستغفر المذنب المقر المعترف ياصاحب الصدقة ، ها أنا ذا ، ارحم ضعفي وكبر سني ، وارحم فقري وحاجتي ومسكنتي يادائم المعروف لا تخيب حسن ظني بك ولا تحرمني سعة معروفك ، ولا تطردني عن بابك ، ولا تخرجني من أحبابك أسألك من فضلك العظيم ، فإنك قلت وقولك الحق : فاسألوا الله من فضله . إلهي ما أمرتني أن أسألك من فضلك إلا وأنت تريد أن تعطيني ، ولا دللتني عليك إلا وأنت تريد أن تهديني ، ولا أمرتنى بدعائك إلا وأنت تريد أن تجيبني ، أسألك من فضلك أن تجعلني من الذين تحبهم ويحبونك ، وأن تجعلني من الذين أنعمت عليهم من النبيين والصدقين والشهداء والصالحين ، أذلة على المؤمنين ، أعزة على الكفار ، ومن الأئمة الذين يهدون بأمرك .

اللهم ارزقنا فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، واجعلنا لك من العابدين ، ومن الذين يسارعون في الخيرات ، ويدعونك رغباً ورهباً ، واجعلنا من الفائزين ،

﴿ رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين[1] ﴾ واصلح لي ذريتي ، إني تبت إليك ، وإني من المسلمين ، رب أنت أصلحت الصالحين ، وفضلت الصديقين ، وسبقت السابقين ، وقربت المقربين تفضلت علي ، ثم أثنيت عليهم ومنحتهم ، ثم مدحتهم ، ولولاك ما وصلوا إليك ، ولولا إحسانك ما فازوا لديك ، أسألك بوجهك الكريم ، ومنك القديم ، وفضلك العظيم ، أن تتفضل علي بما تفضلت به عليهم ، وتصلحنا بما أصلحتهم ، وتمنحنا كما منحتهم ، وتعطينا كما أعطيتهم ، وتجود علينا بما جدت عليهم ، يارب دعوتنا إلى دارك دار السلام ، فاهدنا إلى الصراط المستقيم لنجيب دعوتك فإنا لا نستطيع إجابتك إلا بهدايتك ولا نصل إلى دعوتك إلا بعنايتك ، إلهي عممت بدعوتك ، وخصصت من شئت بهدايتك ، فاجعلنا من خاصتك ، ومن علينا بالتوفيق لإجابتك ، وادخلنا في أهل ولايتك ، يارب أمرتنا بما لا تقدر على فعله إلا بك ، ونهيتنا عما لا نقدر على تركه إلا بتوفيقك ،

---

١) سورة النمل الآية ١٩

ورغبتنا فيما لا ننالـه إلا بفضلك ، وحذرتنا فيما لا نسلم منه إلا بجودك وكرمك ، اللهم وفقنا إلى امتثال أمرك ، واجتناب زجرك ، وأعطنا ما رغبتنا فيه ، وجنبنا ما حذرتنا ، اللهم إنك سألتنا من أنفسنا ما لانقدر عليه إلا بك ، ، اللهم فجد لنا منها ما ترضى به عنا ،
اللهم إنك أخذت بقلوبنا ونواصينا فلم تملكنا شيئاً منهما ، فإذا فعلت ذلك بهما ، فكن أنت واليهما ، واهدنا إلى سواء السبيل .

قال أبو عبد الله البناجي : سمعت بالبناج صوتاً حزيناً قلقاً في الليل ينادي : ياحبيب من تحبب إليه ، ويا قرة عين من لاذ به وانقطع إليه ، يا سيدي ومولاي ، وأغلقت الملوك أبوابها ، وأوقف عليها حجابها ، وخلا كل حبيب بحبيبه ، وقلوب العارفين تأبى إلا حبك والإنس بك ، وإني قد جئتك في هذه الليلة من غير إدلال بعمل ، ولا أستحقاق بموهبة ، وإني أسألك أن تتفضل علي ، ولا تحرمني هذه الليلة مناجاتك ،وجزيل العطية من جزيل مجازاتك . فسألت عن ذلك فأخبرت أنها سلامة الود تعبد الله تعالى على التجريد .

وعن إسماعيل بن أبي خالد ، قال : كان عندنا باليمن فتى مسرف علي نفسه ، قليل الطاعة ، وكان ذا جمال وكمال ، وكان اسمه سهلاً فرأى في منامه كأن جارية أتته ، وعليها ثوب من لؤلؤ تثنى أطرافه ، وبيدها كتاب من حرير أخضر مكتوب فيه بالذهب ، فأتته به ، فقالت : ياأخى اقرأ لي هذا الكتاب ،

فدفعته إليه ، فإذا فيه مكتوب :

أسهل من صاغها الرحمن في عـــرق
من مسكه عجنت في مــــاء تشرين
إلى الذي حبه فـــي القلب محتبـــس
وقلبه عنه فـــي لهو وتغبيـــن
أسهل ، ماذا فقد أورثتنـي حزنـــاً
كم عنك مالا أحب الدهر يأتيـــن
أليس تشتاق أن تلهو على فـــرش
موضونه مع جوار خـــرد عيـــن

قال : فانتبه من نومه فزعاً مذعوراً ، وترك ما كان عليه من البطالة ولزم العبادة وتنسك أحسن نسك حتى مات على ذلك ، رحمه الله .

وعن الحسن بن علي ، قال : رأيت أبي رضي الله عنه وقد جن الليل عليه بسواده ، قابضاً على لحيته بيمينه ، يبكي بعبرته ، ويندب بزفرته ، وهو يقول : إلهي وسيدي ، وخالقي ورازقي ، ومحيي ومميتي ، وباعثي ووارثي ، ما أنا وما قدرتي وما خطري عنك حتى أقصد غيرك بعفوك أو تنحو نحوي بسخطك تزيد عذابي ، فوعزتك وجلالك ،ومجدك وإحسانك ، ما تزيد في ملكك حسناتي وما تشينه سيئاتي ، ولا ينقص خزائنك غنائي ، ولا يزيد فيها فقري ، اللهم ثبت رجاءك في قلبي ، حتى لا أرجو أحداً سواك يامن تحبب إلينا بآلائه ، وتعرف إلينا بنعمائه ، وكان في الأمورعند مسرتي أرحم اليوم عبرتي.

وكان العجلي يقول في سجوده آخر الليل عند فراغه من تهجده : إلهي ، مسكينك يحب الاتصال بطاعتك ، فأعنه على ذلك بتوفيقك أيها الكريم ، إلهي مسكينك كثير الرجاء لخيرك فلا تحرمه ذلك.

قطع على إعرابية بطريق منى ، فقالت : يارب ، أخذت وأعطيت وأنعمت وسلبت ، وكل ذلك عدل وفضل ، والذي عظم على الخلائق أمرك لا بسطت لساني بمسألة غيرك ،ولا بذلت رغبتي إلا إليك ، ياقرة أعين السائلين ، أعني بجود منك ، تمجمج في فراديس نعمه ، والقلب في دوانق نضرته ، احملني من الرحلة ، وأعني على العيلة ، وأسبل علي سترك الذي لا تخرقه الرماح ، ولا تزيله الرياح ، إنك سميع الدعاء .

وقيل : كان الجنيد ليلة العيد في البرية ، فلما كان في وقت السحر ، إذا هو بشاب ملتف في عباءة وهو يبكي ويقول :

بحرمة عبرتي كم ذا الصدود

ألا تعطف علي ألا تجود

سرور العيد قد عم النواحي

وحزني في ازدياد لا يبيد

فإن كنت اقترفت خلال سوء

فعذري في الهوى ألا أعود

قال الحسين بن محمد بن إسحاق : رأيت يحيى بن معاذ الرازي في يوم عيد يناجي ربه وهو يقول :

إلهي : إن لم أكن لحقك راعياً لم أكن لغيرك داعياً

إلهي : إن لم أكن إلى الخيرات مسارعاً ، لم أكن لباب البيعة قارعاً

إلهي : إن لم أكن عن الغيبة صامتاً ، لم أكن لأنبيائك وأصفيائك مشاهداً

إلهي : من بابك لا أزول ، لأني لغيرك لا أقول

إلهي : من بابك لا أبرح ، لأني بغيرك لا أفرح

إلهي : عملي كالسراب ، وقلبي من التقوى خراب ، وذنوبي أكثر من التراب ، وأنت أولى بالعفو والصفح فاغفر لنا ، وارحمنا بجودك ياذا الجلال والإكرام . ﴾

* * *

الفصل السادس :

وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده (١)

﴿ الحمد لله الذى لا يروعه الحمام المرقوب ، إذا سيم نجمه المثقوب ، ولا يبغته الأجل المكتوب ، ولا يبغته الفراق المعتوب ، ملهم الهدى الذى تطمئن به القلوب ، وموضح السبيل المطلوب ، وجاعل النصيحة الصريحة من قسم الوجوب ، لا سيما للولى المحبوب ، والولد المنسوب ، القائل فى الكتاب المعجز الأسلوب ﴿ أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت (٢) ﴾

١) هو محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل ، الغرناطي الأندلسي الشهير بلسان الدين بن الخطيب ، وزير ومؤرخ وأديب نبيل ، ولد ونشأ بغرناطه ، إستوزره سلطانها أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل ثم ابنه الغني بالله محمد من بعده وعظمت مكانته ، رحل خلسه إلى جبل طارق بعدما شعر بسعي حاسديه فى الوشاية به ، ثم إلى سبته فتلمسان لدى السلطان عبد العزيز بن على المريني فأكرمه وأحضر أهله وأولاده من غرناطه ، وأخيراً قبض عليه سلطان المغرب المستنصر أحمد بن إبراهيم ، ووجهت له تهمة الزندقة وسلوك مذهب الفلاسفة وأفتى بعض الفقهاء بقتله ، وفى السجن دس له رئيس الشورى سليمان بن داوود بعض الأوغاد فدخلوا عليه السجن ليلاً وخنقوه ، كان يلقب بذى الوزارتين القلم والسيف ، ويقال له ذو العمرين لإنشغاله بالتصنيف فى الليل وبتدبير المملكة فى النهار ، مؤلفاته تقع فى نحو ٦٠ كتاباً . (الأعلام لخير الدين الزركلي) .

٢) سورة البقرة الأية ١٣٣

﴿ ووصــــى بهـــا إبـــراهيم بنيـه ويعقـوب ﴾ (١) والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله ، أكرم من زرت على نوره جيوب الغيوب وأشرف من خلعت عليه حلل المهابة والعصمة ، فلا تقتحمه العيون ولا تصمه العيوب ، والرضا عن آله وأصحابه المثابرين على لسان الإستقامة بالهوى المغلوب ، والأمل المسلوب ، والاقتداء الموصل المرغوب والعز والأمن من اللغوب .

وبعد ، فإنى لما علانى المشيب بقمته ، وقادني الكبر برمته ، وادكرت الشباب بعد أمته ، أسفت لما أضعت ، وندمت بعد العظام على ما رضعت ، وتأكد وجوب نصحي لمن لزمني وعيه ، وتعلق بعيني سعيه ، وأملت ، أن تتعدى إلى ثمرة استقامته ، وأنا رهين فوات ، وفى برزخ أموات ، ويأمن العثور فى الطريق التى اقتضيت عثاري إن سلك وعسى أن لا يكون ذلك على آثاري ، فقلت أخاطب الثلاثة الولد ، وثمرات الخلد ، بعد الضراعة إلى الله تعالى فى توفيقهم ، وإيضاح طريقهم ، وجمع تفريقهم ، وأن يمن على منهم بحسن الخلف ، والتلافى من قبل التلف وأن يرزق خلفهم التمسك بهدى السلف ، فهو ولى ذلك ، والهادي إلى خير المسالك .

اعلموا هداكم الله تعالى : الذى بأنواره تهتدى الضلال ، وبرضاه ترفع الأغلال ، وبالتماس قربه يحصل الكمال ، إذا ذهب المال ، وأخلفت الآمال ، وتبرأت من يمينها الشمال ،

---

١) سورة البقرة الآية ١٣٢

أنى مودعكم وإن سالمني الردى ومفارقكم وإن طال المدى ، وماعدا مما بدا ، فكيف وأدوات السفر تجمع ومنادي الرحيل يسمع ، ولا أقل للحبيب المودع من وصية محتضر ، وعجالة مقتصر ، ورتيمة تعقد فى خنصر ، ونصيحة تكون نشيدة واع مبصر ، تتكفل لكل بحسن العواقب من بعدي ، وتوضح لكم من الشفقة والحنو قصدي ، حسبما تضمن وعد الله من قبل وعدي ، فهى أربكم الذى لا يتغير وقفه ، ولا ينالكم المكروه مارف عليكم سقفه ، وكأني بشبابكم قد شاخ ، وبراحلكم قد أناخ ، وبناشطكم قد كسل واستبدل الصاب من العسل ، ونصول الشيب تروع بأسل ، لا بل السام من كل حدب نسل ، والمعاد اللحد ولا تسل .

فبالأمس كنتم فراخ حجر ، واليوم أبناء عسكر مجر ،وغداً شيوخ مضيعة وهجر ، والقبور شاغرة ، والنفوس عن المألوفات صاغرة ، والدنيا بأهلها ساخرة ، والآولى تعقبها الآخرة ، والحازم من لم يتعظ به فى أمر ، وقال بيدي لا بيد عمرو ، فاقتنوها من وصية ، ومرام فى النصح قصية ، وخصوا بها أولادكم إذا عقلوا ، ليجدوا زادها إذا انتقلوا .

وحسبى وحسبكم الله الذى لم يخلق الخلق هملا ، ولكن ليبلوهم أيهم أحسن عملا ، ولا رضى الدنيا منزلاً ، ولا لطف بمن أصبح عن فئه الخير منعزلا ، ولتلقنوا تلقيناً ، وتعلموا علماً يقيناً ، أنكم لن تجدوا بعد أن أنفرد بذنبي ، ويفترش التراب جنبي ، ويسح انسكابى ،

وتهرول عن المصلى ركابي ، أحرص مني على سعادة إليكم تجلب ، أو غاية كمال بسببكم ترتاد وتطلب ، حتى لا يكون فى الدين والدنيا أورف منكم ظلا ، ولا أشرف محلا ، ولا أغبط نهلا وعلا ، وأقل ما يوجب ذلك عليكم أن تصيخوا إلى قولي الآذان ، وتستلمحوا صبح نصحي وقد بان ، وسأعيد عليكم وصية لقمان :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ **وإذ قال لقمان لأبنه وهو يعظه : يابنى لا تشرك بالله ، إن الشرك لظلم عظيم** (١) ﴾ ﴿ **يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ، إن ذلك من عزم الأمور ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحاً ، إن الله لا يحب كل مختال فخور . واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ، إن أنكر الأصوات لصوت الحمير** (٢) ﴾

وأعيد وصية خليل الله ورسوله ، حكم ما تضمنه محكم تنزيله ﴿ **يابنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون** (٣) ﴾ .

والدين الذى اصطفاه ، وأكمله ووفاه ، وقرره مصطفاه ، من قبل أن يتوفاه ،

---

١) سورة لقمان الآية ١٣

١) سورة لقمان الآية ١٧-١٩

٣) سورة البقرة الآية ١٣٢

إذا أعمل فيه انقياد ، فهو عمل واعتقاد ، وكلاهما مقـرر ومسـتمد مـن عقل أو نقل محرر ، والعقل متقدم ، وبنـاؤه مـع رفـض أخيـه متهـدم ، فاللـــه واحد أحد ، فرد صمد ، ليس لـه والـد ولا ولـد ، تنزه عن الزمـان والمكـان ، وسبق وجوده وجـود الأكـوان ، خـالق الخلـق ومـا يعلمون ، الذى لا يسأل عن شيء وهم يسـألون ، الحـى العليم المدبـر القدير ، ليس كمثله شيء وهو السميع العليم ،
أرسل الرسل رحمة ، لتدعو النـاس إلـى النجـاة مـن الشـقاء ، وتوجـه الحجة فى مصيرهم إلى دار البقاء ، مؤيدة بالمعجزات التـى لا تتصـف أنوارها بالاختفاء ، ولا يجوز على تواترهـا دعـوى الانتفـاء ، ثـم ختـم ديوانهم بنبى ملتنا المرعيـة الهمـل ، الشـاهدة علـى الملـل ، فتلخصت الطاعة ، وتعينت الإمرة المطاعة ، ولم يبق بعده إلا ارتقاب السـاعة ، ثم إن الله تعالـــى قبضـــه إذ كـان بشـراً ، وتـرك دينـه يضـم مـن الأمـة نشراً ، فمن تبعه لحق به ، ومن تركه نوط عنـه فـى منسبه ، وكـانت نجاته على قدر سببه .

روي عنه عليه الصلاة والسلام أنــه قـال : " تركـت فيكـم مـا أن تمسكتم بـه لـم تضلـوا بعـدي ، كتـاب اللـه وسـنتى ، فعضـوا عليهمـا بالنواجذ " .

فاعملوا يابنى بوصية من نـاصح جـاهد ومشـفق شـفقة والـد ، واستشعروا حبه الذى توفرت دواعيه ، وعوا مراشد هديـة ، فيـا فـوز واعيه ، وصلوا السبب بسـببه ، وآمنـوا بكـل مـا جـاء بـه ، مجمـلا أو

مفصلا على حسبه ، وأوجبوا التجلة لصحبه الذين اختارهم الله تعالى لصحبته ، واجعلوا محبتكم إياهم من توابع محبته ، واشملوهم بالتوقير ، وفضلوا منهم أولى الفضل الشهير ، وتبرؤوا من العصبية التى لم يدعكم إليها داع ، ولا تع التشاجر بينهم أذن واع فهو عنوان السداد ، وعلامة سلامة الافتقاد ، ثم استحبوا فضل تعظيمهم على فقهاء الملة ، وأئمتها الجلة ، فهم صقلة نصولهم ، وفروع ناشئة من أصولهم ، وورثتهم وورثة رسولهم .

واعلموا أننى قطعت فى البحث زمانى ، وجعلت النظر شأنى ، منذ برانى الله تعالى وأنشأنى ، مع نبل يعترف به الشانى ، وإدراك يسلمه العقل الإنساني ، فلم أجد خابط ورق ، ولا مصيب عرق ، ولا نازع خطام ، ولا متكلف فطام ، ولا مقتحم بحر طام ، إلا وغايته التى يقصدها قد نضلتها الشريعة وسبقتها ، وفرعت ثنيتها وارتقتها ، فعليكم بالتزام جادتها السابلة ، ومصاحبة رفقتها الكاملة ، والاهتداء بأقمارها غير الآفلة ، والله تعالى يقول وهو أصدق القائلين :

﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين** (١) ﴾

وقد علت شرائعه ، وراع الشكوك رائعه ، فلا تستنزلكم الدنيا عن الدين ، وابذلوا دونه النفوس فعل المهتدين ، فلن ينفع متاع بعد الخلود فى النار أبد الآبدين ،

١) سورة آل عمران الآية ٨٥

واستعيذوا برضا الله من سخطه ، واربؤوا بنفوسكم عن غمطه وارفعوا آمالكم عن القنوع بغرور قد خدع أسلافكم ، ولا تحمدوا على جيفة الأمل الزائل ائتلافكم ، واقتنعوا منه بما تيسر ، ولا تأسوا على مافات وتعذر ، فإنما هى دجنة ينسخها الصباح ، وصفقة يتعاقبها الخسار أو الرباح ، ودونكم عقيدة الإيمان فشدوا بالنواجذ عليها ، وكفكفوا الشبه أن تدنوا إليها .

واعلموا أن الإخلال بشيء من ذلك خرق لا يرفؤه عمل ، وكل ما سوى الراعى همل ، وما بعد الرأس فى صلاح الجسم أمل ، وتمسكوا بكتاب الله تعالى حفظاً وتلاوة ، واجعلوا حمله على حمل التكليف علاوى وتفكروا فى آياته ومعانيه ، وامتثلوا أوامره ونواهيه ، ولا تتأولوه ولا تغلوافيه ، وأشربوا قلوبكم حب من أنزل على قلبه ، وأكثروا من بواعث حبه ، وصونوا شعائر الله صون المحترم ، واحفظوا القواعد التى ينبنى عليها الإسلام حتى لا ينخرم .

الله الله فى الصلاة ذريعة التجلة ، وخاصة الملة ، وحاقنة الدم وغنى المستأجر المستخدم ، وأم العبادة ، وحافظة اسم المراقبة لعالم الغيب والشهادة ، والناهية عن الفحشاء والمنكر ، وإن عرض الشيطان عرضهما ، ووطأ للنفس الأمارة سماءهما وأرضهما ، والوسيلة إلى بل الجوانح ببرود الذكر ، وإيصال تحفه الله إلى مريض الفكر ، والشاهدة للعبد برفع الملامة ، وغاسول الطبع إذا طبع ، والخير الذى كل ماسواه له تبع ، فاصبروا النفس على وظائفها بين

بدء وإعادة ، فالخير عادة ، ولا تفضلوا عليها الأشغال البدنية ، وتؤثروا على العلية الدنية ، فإن أوقاتها المعينة بالانفلات تيبس ، والفلك بها من أجلكم لا يحبس ، وإذا قورنت بالشواغل فلها الجاه الأصيل ، والحكم الذى لا يغيره العدو ولا الأصيل ، والوظائف بعد أدائها لا تفوت ، وأين حق من يموت من حق الحى الذى لا يموت ، وأحكموا أوضاعها إذا أقمتوها ، واتبعوها النوافل ما أطلقتموها ، فبالإتقان تفاضلت الأعمال ، وبالمراعاة استحقت الكمال ، ولا شكر مع الإهمال ، ولا ربح من إضاعة رأس المال ، وذلك أحرى بإقامة الفرض وأدعى إلى مساعدة البعض البعض ، والطهارة التى هى فى تحصيلها سبب موصل ، وشرط لمشروطه محصل فاستوفوها ، والأعضاء نظفوها ، ومياهها بغير أوصافها الحميدة فلا تصفوها ، والحجول والغرر فأطيلوها والنيات فى كل ذلك فلا تهملوها ، فالبناء بأساسه ، والسيف بمراسه .

واعلموا أن هذه الوظيفة من صلاة وطهور ، وذكر مجهور وغير مجهور ، تستغرق الأوقات ، وتنازع شتى الخواطر المفترقات ، فلا يضبطها إلا من ضبط نفسه بمقال ، واستعاض صدأه بصقال ، وإن تراخى قهقر الباع ، وسرقته الطباع ، وكان لما سواها أضيع فشمل الضياع .

والزكاة أختها الحبيبة ، ولدتها القريبة ، مفتاح السعادة بالعرض الزائل ، وشكران المسؤول على الضد من درجة السائل ،

وحق الله تعالى فى مال من أغناه ، لمن أجهده فى المعاش وعناه ، من غير استحقاق ملء يده ، وإخلاء يد أخيه ، ولا علة إلا القدر الذى يخفيه ، وما لم ينله حظ الله تعالى فلا خير فيه ، فاسمحوا بتفريقها للحاضر لإخراجها ، فى اختيار عرضها ونتاجها ، واستحيوا من الله تعالى أن تبخلوا عليه ببعض ما بذل ، وخالفوا الشيطان كلما عذل ، واذكروا خروجكم إلى الوجود لاتملكون ، ولا تدرون أين تسلكون ، فوهب وأقدر ، وأورد بفضله وأصدر ، ليرتب بكرمه الوسائل ، أو يقيم الحجج والدلائل ، فابتغوا إليه الوسيلة بماله ، واغتنموا رضاه ببعض نواله .

وصيام رمضان عبادة السر المقربه إلى الله زلفى ، الممحوضة لمن يعلم السر وأخف ، مؤكدة بصيام الجوارح عن الآثام ، والقيام ببر القيام ، والاجتهاد ، وإيثار السهاد على المهاد ، وإن وسع الاعتكاف فهو من سننه المرعية ، ولواحقه الشرعيه ، فبذاك تحسن الوجوه ، وتحصل من الرقة على ما ترجوه ، وتذهب قسوة الطباع ، ويمتد فى ميدان الوسائل الباع .

والحج مع الاستطاعة الركن الواجب ، والفرض على العين لا يحجبه الحاجب ، وقد بين رسول الله ﷺ قدره فيما فرض عن ربه وسنته ، وقال ليس له جزاء عند الله إلا الجنة ، ويلحق بذلك الجهاد فى سبيل الله تعالى إن كانت لكم قوة عليه ، وغنى لديه ، فكونوا ممن يسمع نفيره ويطيعه ، وإن عجزتم فأعينوا من يستطيعه .

هذه عمد الإسلام وفروضه ، ونقود مهره وعروضه ، فحافظوا عليها تعيشوا مبرورين ، وعلى من يناوئكم ظاهرين ، وتلقوا الله لا مبدلين ولا مغيرين ، ولا تضيعوا حقوق الله فتهلكوا مع الخاسرين .

واعلموا أن بالعلم تستعمل وظائف هذه الألقاب ، وتجلى محاسنها من بعد الانتقاب ، فعليكم بالعلم النافع ، دليلا بين يدي السامع ، فالعلم مفتاح هذا الباب ، والموصل إلى اللباب ، والله عز وجل يقول : ﴿ **قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، إنما يتذكر أولوا الألباب** (١) ﴾ والعلم وسيلة النفوس الشريفة ، إلى المطالب المنيفة ، وشرطه الخشية لله تعالى والخيفة ، وخاصة الملأ الأعلى ، وصفه الله فى كتبه التى تتلى ، والسبيل فى الآخرة إلى السعادة ، وفى الدنيا إلى النحلة عادة ، والذخر الذى قليله يشفع ، وكثيره ينفع ، لا يغلبه الغاصب ،ولا يسلبه العدو المناصب ، ولا يبتزه الدهر إذا نال ، ولا يستأثر به البحر إذا هال ، ومن لم ينله فهو ذليل

---

١) سورة الزمر الآية ٩

وإن كثرت آماله ، وقليل وإن جم ماله ، وإن كان وقته قد فات اكتسابكم ، وتخطى حسابكم ، فالتمسوه لبنيكم ، واستدركوا منه ماخرج عن أيديكم ، واحملوهم على جمعه ودرسه ، واجعلوا طباعهم ثرى لفرسه ، واستسهلوا ماينالهم من تعب من جراه ، وسهر يهجر له الجفن كراه ، تعقدوا لهم ولاية عز لا تعزل ، وتحلوهم مثابة رفعة لا يحط فارعها ولا يستنزل واختاروا فى العلوم التى يتعقبها الوقت ، فلا يناله فى غيره المقت .

وخير العلوم علوم الشريعة ، وما نجم بمنابتها المريعة ، من علوم لسان لا تستغرق الأعمار فصولها ، ولا يضايق ثمرات المعاد حصولها ، فإنما هى آلات لغير ، وأسباب إلى خير منها وخير ، فمن كان قابلا للازدياد ، وألفى فهمه فى انقياد ، فليخص تجويد القرآن بتقديمه ، ثم حفظ الحديث ومعرفة صحيحه من سقيمه ، ثم الشروع فى أصول الفقه ، فهو العلم العظيم المنة ، المهدي كنوز الكتاب والسنة ، ثم المسائل المنقولة عن العلماء الجلة ، والتدرب فى طريق النظر وتصحيح الأدلة ، وهذه هى الغاية القصوى فى الملة ، ومن قصر إدراكه عن هذا المرمى ، وتقاعد عن التى هى أسمى . فليروا الحديث بعد تجويد الكتاب وأحكامه ، وليقرأ المسائل الفقهية على مذهب إمامه .

وإياكم والعلوم القديمة ، والفنون المهجورة الذميمة فأكثرها لا يفيد إلا تشكيكاً ، ورأياً ركيكاً ، ولا يثمر فى العاجلة إلا إقتحام العيون

وتطريق الظنون ، وتطويق الا حتقار ، وسمة الصغار ، وخمول الأقدار ، والخسف من بعد الإ بدار ، وجادة الشريعة أعرق فى الاعتدال وأوفق من قطع العمر فى الجدال ، وهذا ابن رشد قاضى المصر ومفتيه ، وملتمس الرشد ومؤليه ، عادت عليه بالسخطة الشنيعة ، وهو إمام الشريعة ، فلا سبيل إلى اقتحامها ، والتورط فى ازدحامها ، ولا تخلطوا جامكم بجامها إلا ما كان من حساب ومساحة ، وما يعود بجدوى فلاحة ، وعلاج يرجع على النفس والجسم براحة ، وما سوى ذلك فمحجور وحزم مسجور ، وممقوت مهجور ، وأمروا بالمعروف أمراً رفيقاً ، وانهوا عن المنكر نهياً حريا بالإعتدال حقيقاً واغبطوا من كان من سنة الغفلة مفيقاً ، واجتنبوا ما تنهون عنه حتى لا تسلكوا منه طريقاً .

وأطيعوا أمر من ولاه الله من أموركم أمراً ، ولا تقربوا من الفتنة جمراً ، ولا تداخلوا فى الخلاف زيداً ولا عمراً .

وعليكم بالصدق فهو شعار المؤمنين ، وأهم ماأضرى عليه الآباء ألسنة البنين ، وأكرم منسوب إلى مذهبه ، ومن أكثر من شىء عرف به .

وإياكم والكذب فهو العورة التى لا توارى ، والسوأة التى لايرتاب فى عارها ولا يتمارى ، وأقل عقوبات الكذاب بين يدي الله ما أعد له من العذاب ، أن لا يقبل صدقه إذا صدق ، ولا يعول عليه إن كان بالحق نطق .

وعليكم بالأمانة فالخيانة لؤم ، وفى وجه الديانة كلم ، ومن الشريعة التى لا يعذر بجهلها ، أداء الأمانات إلى أهلها ، وحافظوا على الحشمة والصيانة ، ولاتجزوا من أقرضكم دين الخيانة ، ولا توجدوا للغدر قبولا ، ولاتقروا عليه طبعاً مجبولا ، وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا ، ولا تستأثروا بكنز ولا خزن ، ولا تذهبوا لغير مناصحة المسلمين فى سهل ولا حزن ، ولا تبخسوا الناس أشياءهم فى كيل أو وزن ، والله الله أن تعينوا فى سفك الدماء ولو بالإشارة أو الكلام ، أو مايرجع إلى وظيفة الأقلام ، واعلموا أن الإنسان فى فسحة ممتدة . وسبل الله تعالى غير منسدة . مالم ينبذ إلى الله تعالى بأمانة ويمسى الدم الحرام بيده أو لسانه . قال الله تعالى فى كتابه الذى هدى به سنناً قويماً . وجلى من الجهل والضلال ليلا بهيماً : ﴿ **ومن يقتل مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً** ﴾ (١) .

واجتناب الزنى وما تعلق به من أخلاق من كرمت طباعه . وامتد فى سبيل السعادة باعة ، لو لم تتلق نور الله الذى لم يهد شعاعه .

---

١) سورة النساء الآية ٩٣

فالحلال لم تضق عن الشهوات أنواعه ، ولا عدم إقناعه ، ومن غلبت غرائز جهله ، فلينظر هل يحب أن يزنى بأهله ، والله قد أعد للزانى عذاباً وبيلا ، وقال : ﴿ **ولا تقربوا الزنى ، إنه كان فاحشة وساء سبيلا** (١) ﴾

والخمر أم الكبائر ، ومفتاح الجرائم والجرائر ، واللهو لم يجعله الله فى الحياة شرطاً ، والمحرم قد أغنى عنه بالحلال الذى سوغ وأعطى ، وقد تركها فى الجاهلية أقوام لم يرضوا لعقولهم بالفساد ، ولا لنفوسهم بالمضرة فى مرضاة الأجساد . والله تعالى قد جعلها رجساً محرماً على العباد ، وقرنها بالأنصاب والأزلام فى مباينة السداد

ولا تقربوا الربا فإنه من مناهي الدين ، والله تعالى يقول ﴿ **وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين** (٢) ﴾ وقال ﴿ **فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله** (٣) ﴾ .

ولا تأكلوا مال أحد بغير حق يبيحه ، وانزعوا الطمع عن ذلك حتى تذهب ريحه ، والتمسوا الحلال يسعى به أحدكم على قدمه ، ولا يكل خياره إلا إلى الثقة من خدمه ، ولاتلجؤوا إلى المتشابه إلا عند عدمه ، فهو فى السلوك إلى الله تعالى أصل مشروع ، والمحافظ عليه مغبوط

---

١) سورة الإسراء الآية ٣٢

٢) سورة البقرة الآية ٢٧٨

٣) سورة البقرة الآية ٢٧٩

وإياكم والظلم ، فالظلم ممقوت بكل لسان ، مجاهر الله تعالى بصريح العصيان ، والظلم ظلمات يوم القيامة ، كما ورد فى الصحاح الحسان ، والنميمة فساد وشتات ، لا يبقى عليه متات ،وفى الحديث : " لا يدخل الجنة قتات " واطرحوا الحسد فما ساد حسود ، وإياكم والغيبة فباب الخير معها مسدود ، والبخل فما رئى البخيل وهو مودود ، وإياكم وما يعتذر منه فمواقع الخزي لا تستقال عثراتها ، ومظنات الفضائح لا تؤمن غمراتها ، وتفقدوا أنفسكم مع الساعات ، وافشوا السلام فى الطرقات والجماعات ، ورقوا على ذوي الزمانات والعاهات ، وتاجروا مع الله بالصدقة يربحكم فى البضاعات ، وعولوا عليه وحده فى الشدائد ، واذكروا المساكين إذا نصبتم الموائد ، وتقربوا إليه باليسير من مال ، واعلموا أن الخلق عيال الله وأحب الخلق إليه المحتاط لعياله ، وارعوا حقوق الجار واذكروا ما ورد فى ذلك من الآثار ، وتعاهدوا أولى الأرحام ، والوشائج العادية الالتحام ، واحذروا شهادة الزور فإنها تقطع الظهور ، وتفسد السر والجهر ، والرشا فإنها تحط الأقدار ، وتستدعى المذلة والصغار ، ولا تسامحوا فى لعبة قمر ، ولا تشاركوا أهل البطالة فى أمر ، وصونوا المواعيد من الإخلاف ، والأيمان من حنث ألأوغاد والأجلاف ، وحقوق الله تعالى من الازدراء والاعتساف ، ولاتلهجوا بالآمال العجاف ، ولا تكلفوا بالكهانة والإرجاف ، واجعلوا العمر بين معاش ومعاد ، وخصوصية وابتعاد ، واعلموا أن الله سبحانه بالمرصاد ، وأن الخلق

بين زرع وحصاد ، واقلوا بغير الحالة الباقية الهموم ، واحذروا القواطع عن السعادة كما تحذر السموم ، واعلموا أن الخير أو الشر فى الدنيا محال أن يدوم ، وقابلوا بالصبر أذية المؤذين ، ولا تعارضوا مقالات الظالمين ، فالله لمن بغى عليه خير الناصرين ، ولا تستعظموا حوادث الأيام كلما نزلت ، ولا تضجوا للأمراض إذا أعضلت ، فكل منقرض حقير ، وكل منقض وإن طال قصير ، وانتظروا الفرج ، وانتشقوا من جناب الله تعالى الأرج ، وأوسعوا بالرجاء الجوانح ، واجنحوا إلى الخوف من الله تعالى ، فطوبى لعبد إليه جانح ، وتضرعوا إلى الله تعالى بالدعاء ، والجئوا إليه فى البأساء والضراء ، وقابلوا نعم الله تعالى بالشكر الذى يقيد به الشارد ، ويعذب الوارد ، وأسهموا منها للمساكين وأفضلوا عليهم ، وعينوا الحظوظ منها لديهم ، فمن الآثار الشريفة : " ياعائشة ، أحسنى جوار نعم الله ، فإنها قلما زالت عن قوم فعادت إليهم .

ولا تطغوا فى النعم فتقصروا عن شكرها ، وتلقيكم الجهالة بسكرها وتتوهموا أن سعيكم جلبها ، وجدكم حلبها ، فالله خير الرازقين والعاقبة للمتقين ، ولا فعل إلا لله إذا نظر بعين اليقين .

والله الله لا تنسوا الفضل بينكم ، ولا تذهبوا بزواله زينكم ، وليلتزم كل منكم لأخيه ، ما يشتد به تواخيه ، بما أمكنه من إخلاص وبر ، ومراعاة فى علانية وسر ، وللإنسان مزية لا تجهل ، وحق لا يهمل ، وأظهروا التعاضد والتناصر ، واصلوا التعاهد والتزاور ،

ترغموا بذلك الأعداء ، وتستكثروا الأوداء ، ولا تتنافسوا الحظوظ السخيفة ، ولا تتهارشوا تهارش السباع على الجيفة ، واعلموا أن المعروف يكدر بالامتنان ، وطاعة النساء شر ما أفسد بين الإخوان ، فإذا أسديتم معروفاً فلا تذكروه وإذا برز قبيح فاستروه ، وإذا أعظم النساء أمراً فاحقروه .

والله الله لا تنسوا مقارضة سجلي ، وبروا أهل مودتى من أجلى ، ومن رزق منكم مالا بهذا الوطن القلق المهاد ، الذى لا يصلح لغير الجهاد فلا يستهلكه أجمع فى العقار فيصبح عرضه للمذلة والإحتقار ، وساعياً لنفسه إن تغلب العدو على بلده فى الإفتضاح والافتقار ، ومعوقاً عن الانتقال ، أمام النوب الثقال ، وإذا كان رزق العبد على المولى ، فالإجمال فى الطلب أولى ، وازهدوا جهدكم فى مصاحبة أهل الدنيا ، فخيرها لا يقوم بشرها ، ونفعها لا يقوم بضرها ، وأعقاب من تقدم شاهدة ، والتواريخ لهذه الدعوى عاضدة ، ومن بلى بها منكم فليستظهر بسعة الاحتمال ، والتقلل من المال ، وليحذر معاداة الرجال ، ومزلات الإدلال ، وفساد الخيال ، ومداخله العيال ، وإفشاء السر ، وسكر الاغترار ، فإنه دأب الغر ، وليصن الديانة ، ويؤثر الصمت ، ويلازم الأمانة ، ويسر من رضا الله على أوضح الطرق ، ومهما اشتبه عليه أمران ، قصد أقربهما إلى الحق ، وليقف فى التماس أسباب الجلال دون الكمال غير النقصان ، والزعازع تسالم اللدن اللطيف من الأغصان .

وإياكم وطلب الولايات رغبة واستجلاباً ، واستظهاراً على الخطوب وغلاباً ، فذلك ضرر بالمروءات والأقدار ، داع إلى الفضيحة والعار ، ومن امتحن بها منكم إختياراً أو جبر عليها إكراهاً وإيثاراً ، فليتلق وظائفها بسعة صدره ، ويبذل من الخير فيها ما يشهد أن قدرها دون قدره ، فالولايات فتنة ومحنة ، واسر وإحنة ، وهى بين إخطاء سعادة ، وإخلال بعبادة ، وتوقع عزل ، وإدالة بإزاء بيع جد بهزل ومزلة قدم ، واستتباع ندم ، ومآل العمر كله موت ومعاد ، واقتراب من الله وابتعاد ، جعلكم الله ممن نفعه بالتبصير والتنبيه ، وممن لاينقطع بسببه عمل أبيه .

هذه أسعدكم الله وصيتي التى أصدرتها ، وتجارتى التى لربحكم أدرتها ، فتلقوها بالقبول لنصحها ، والاهتداء بضوء صبحها ، وبقدر ما أمضيتم من فروعها ، واستفشيتم من دروعها ، اقتنيتم من المناقب الفاخرة وحصلتم على سعادة الدنيا والآخرة ، وبقدر ما أضعتم لآليها النفيسة القيم ، استكثرتم من بواعث الندم .

ومهما سئمتم إطالتها ، واستفزرتم مقالتها ، فاعلموا أن تقوى الله فذلكة الحساب ، وضابط هذا الباب .

كان الله خليفتى عليكم فى كل حال ، فالدنيا مناخ ارتحال ، وتأميل الإقامة فرض محال ، فالموعد للالتقاء دار البقاء ، جعل الله من وراء خطته النجاة ، ونفق بضائعها المزجاة ، بلطائفه المرتجاه ، والسلام عليكم من حبيبكم المودع والله سبحانه يلأمه حيث شاء من شمل متصدع . »

* * *

الفصل السابع :

وصية الإمام جعفر بن محمد الصادق (١)

قال يوصي : -

﴿من أخرجه الله عز وجل من ذل المعاصي إلى عزة التقوى إغناه الله بلا مال وأعزه بلا عشيرة ، وآنسه بلا أنيس ، ومن خاف الله عز وجل أخاف الله منه كل شيء ، ومن لم يخف الله عز وجل أخافه الله من كل شيء ، ومن رضي من الله عز وجل باليسر من الرزق رضي الله عنه باليسر من العمل ، ومن لم يستح من طلب المعاش خفت مؤنته ونعم أهله ، ومن زهد في الدنيا أثبت الله الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه وبصره عيوب الدنيا داءها ودواءها ، وأخرجه من الدنيا سالماً إلى دار السلام﴾

* * *

١) هو جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين ، الهاشمي القرشي ، أبو عبد الله الملقب بالصادق لأنه لم يعرف عنه الكذب قط ، سادس الأئمة الإثني عشر عند الإمامية ، كان من أجلاء التابعين ، وله منزلة رفيعة فى العلم ، أخذ عنه جماعة منهم الإمامان أبو حنيفة ومالك ، له أخبار مع الخلفاء من بني العباس وكان جريئاً عليهم صداعاً بالحق ، مولده ووفاته بالمدينة . (الأعلام لخير الدين الزركلي .)

وقال أيضـــاً

﴿ الصنيعة لا تكون صنيعة إلا عند ذي حسب أو دين ، والصلاة قربان كل تقي ، الحج جهاد كل ضعيف ، لكل شيء زكاة وزكاة الجسد الصيام ، جهاد المرأة حسن التبعل ، استنزلوا الرزق بالصدقة ، من أيقن بالخلف جاد بالعطية ، إن الله تبارك وتعالى ينزل المعونة على قدر المؤونة ، حصنوا أموالكم بالزكاة ، التقدير نصف العيش ، ما عال امرء اقتصد ، قلة العيال أحد اليسارين ، الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر ، التودد نصف العقل ، الهم نصف الهرم ، إن الله تبارك وتعالى ينزل الصبر على قدر المصيبة ، من ضرب يده على فخذه عند مصيبة حبط أجره ، من أحزن والديه فقد عقهما . ﴾

* * *

وقال فى موضع آخر : –

﴿ أن أحق الناس بأن يتمنى للناس الغنى البخلاء ، لأن الناس إذا استغنوا كفوا عن أموالهم ، وإن أحق الناس بأن يتمنى للناس الصلاح أهل العيوب ، لأن الناس إذا صلحوا كفوا عن تتبع عيوبهم ، وأن أحق الناس بأن يتمنى للناس الحلم أهل السفه ، الذين يحتاجون أن يعفي عن سفههم ، فأصبح أهل البخل يتمنون فقر الناس ، وأصبح أهل العيوب يتمنون معايب الناس ، وأصبح أهل السفه يتمنون سفه

الناس ، وفي الفقر الحاجة إلى البخيل ، وفي الفساد طلب عورة أهل العيوب ، وفي السفه المكافآت بالذنوب . ﴾

* * *

وقال يوصي أيضاً

﴿ أربع يذهبن ضياعاً ، مودة تمنح من لا وفاء له ، ومعروف يوضع عند من لا يشكره ، وعلم عند من لا يستمع له ، وسر يودع من لا حصانة له . ﴾

* * *

الفصل الثامن :

وصية الحسن البصري للإمام العادل (١)

لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إلى الحسن أن يكتب إليه بصفة الإمام العادل فكتب الحسن إليه :

﴿ اعلم يا أمير المؤمنين ، أن الله جعل الإمام العادل قوام كل مائل ، وقصد كل جائر ، وصلاح كل فاسد ، وقوة كل ضعيف ، ونصفة كل مظلوم ومفزع كل ملهوف .

والإمام العادل ياأمير المؤمنين كالراعي الشفيق على إبله ، الرفيق بها ، الذي يرتاد لها أطيب المراعي ، ويذودها عن مراتع الهلكة ، ويحميها من السباع ، ويكنها من أذى الحر والقر .

والإمام العادل ياأمير المؤمنين كالأب الحاني على ولده يسعي لهم صغاراً ، ويعلمهم كباراً ، يكسب لهم في حياته ، ويدخر لهم بعد مماته .

---

١) هو الحسن بن يسار البصري ، أبو سعيد ، تابعي ، كان إمام أهل البصرة ، وحبر الأمة فى زمنه ، وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك . ولد بالمدينة وشب فى كنف على بن أبي طالب ، وإستكتبه الربيع بن زياد إلى خراسان فى عهد معاويه ، وسكن البصرة ، وعظمت هيبته فى القلوب ، فكان يدخل على الولاه فيأمرهم وينهاهم ، لا يخاف فى الحق لومه لائم ، كان أبوه من أهل ميسان ، مولى لبعض الأنصار ، له مع الحجاج بن يوسف مواقف ، وقد سلم من أذاه . (الأعلام لخير الدين الزركلي)

والإمام العادل يأمير المؤمنين ، كالأم الشفيقة البرة الرفيقة بولدها ، حملته كرهاً ، ووضعته كرهاً ، وربته طفلا تسهر بسهره ، وتسكن بسكونه ، ترضعه تارة ، وتفطمه أخرى ، وتفرح بعافيته ، وتغتم بشكايته .

والإمام العادل ياأمير المؤمنين وصي اليتامي ، وخازن المساكين ، يربي صغيرهم ، ويمون كبيرهم .

والإمام العادل ياأمير المؤمنين كالقلب بين الجوارح ، تصلح الجوارح بصلاحه ، وتفسد بفساده .

والإمام العدل يأمير المؤمنين ، هو القائم بين الله وبين عباده يسمع كلام الله ويسمعهم ، وينظر إلى الله ويريهم ، وينقاد إلى الله ويقودهم ، فلا تكن ياأمير المؤمنين فيما ملكك الله عز وجل كعبد ائتمنه سيده ، واستحفظه ماله وعياله ، فبدد المال ، وشرد العيال ، فأفقر أهله ، وفرق ماله .

واعلم يأمير المؤمنين ، أن الله أنزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث والفواحش ، فكيف إذا أتاها من يليها ! وأن الله أنزل القصاص حياة لعباده ، فكيف إذا قتلهم من يقتص لهم ! واذكر ياأمير المؤمنين الموت وما بعده وقلة أشياعك عنده وانصارك عليه ، فتزود له ولما بعده من الفزع الأكبر .

واعلم يأمير ، المؤمنين أن لك منزلا غير منزلك الذي أنت فيه يطول فيه ثواؤك ، ويفارقك أحباؤك ، يسلمونك في قعره فريداً وحيداً،

فتزود له ما يصحبك : ﴿ **يوم يفر المرء من أخيه ، وأمه وأبيه ، وصاحبته وبنيه** (١) ﴾

واذكر ياأمير المؤمنين : ﴿ **إذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور**(٢) ﴾ فالأسرار ظاهرة ، والكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، فالآن ياأمير المؤمنين وأنت في مهل قبل حلول الأجل ، وانقطاع الأمل .

لا تحكم ياأمير المؤمنين في عباد الله بحكم الجاهلين ، ولا تسلك بهم سبيل الظالمين ، ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين ، فإنهم لا يرقبون في مؤمن إلا ولاذمة ، فتبوء بأوزارك وأوزار مع أوزارك ، وتحمل أثقالك وأثقالا مع أثقالك . ولا يغرنك الذين يتنعمون بما فيه بؤسك،ويأكلون الطيبات في دنياهم بإذهاب طيباتك في آخرتك ، ولا تنظر إلى قدرتك اليوم ، ولكن انظر إلى قدرتك غداً وأنت مأسور في حبائل الموت ، وموقوف بين يدي الله في مجمع من الملائكة والنبيين والمرسلين ، وقد عنت الوجوه للحي القيوم .

إني ياأمير المؤمنين ، وإن لم أبلغ بعظتي ما بلغه أولو النهى من قبلي ، فلم آلك شفقة ونصحاً .

---

١) سورة عبس الآيات ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦

٢) سورة العاديات الآيات ٩ ، ١٠

فأنزل كتابي إليك كمداوي حبيبه ، يسقيه الأدوية الكريهة لما يرجو لـه في ذلك من العافية والصحة .

والسلام عليك ياأمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . ﴾

* * *

وكتب يوعظ الخليفة عمر بن عبد العزيز بعدما طلب منه الأخير ذلك: -

﴿ أما بعد ياأمير المؤمنين : فكان الذى كان لم يكن ، وكأن الذى هو كائن قد نزل ، واعلم ياأمير المؤمنين أن الصبر ، وإن أذاقك تعجيل مرارته ، فلنعم ما أعقبك من طيب حلاوته ، وحسن عاقبته ، وأن الهوى ، وإن أذاقك طعم حلاوته ، فلبئس ما أعقبك من مرارته ، وسوء عاقبته ، واعلم ياأمير المؤمنين أن الفائز من حرص على السلامه فى دار الإقامة ، وفاز بالرحمة فأدخل الجنة . ﴾

وكتب إليه أيضاً:

﴿ أما بعد ياأمير المؤمنين : فإن الدنيا دار ظعن وانتقال ، وليست بدار إقامة على حال ، وإنما أنزل إليها آدم عقوبة ، فأحذرها فإن الراغب فيها تارك ، والغني فيها فقير ، والسعيد من أهلها من لم يتعرض لها ، وإنها إذا اختبرها اللبيب الحاذق ، وجدها تذل من أعزها وتفرق من جمعها ، فهى كالسم يأكله من لا يعرفه ، ويرغب فيه من يجهله ، وفيه والله حتفه ، فكن فيها ياأمير المؤمنين كالمداوي جراحه يحتمى قليلا ، مخافة ما يكره طويلا ، الصبر على لأوائها أيسر من احتمال بلائها ، واللبيب من حذرها ولم يغتر بزينها ، فإنها غدارة ختالة خداعة ، قد تعرضت بآمالها ، وتزينت لخطابها ، فهى كالعروس العيون إليها ناظرة ، والقلوب عليها والهة ، وهى والذى بعث محمداً بالحق لأزواجها قاتلة ، فاتق ياأمير المؤمنين صرعتها ، واحذر

عثرتها ، فالرخاء فيها موصول بالشدة والبلاء ، والبقاء مؤد إلى الهلكة والفناء .

واعلم ياأمير المؤمنين ، أن أمانيها كاذبة ، وآمالها باطلة ، وصفوها كدر ، وعيشها نكد ، وتاركها موفق ، والمتمسك بها هالك غرق ، والفطن اللبيب من خاف ما خوفة الله وحذر ما حذره ، وقدر من دار الفناء إلى دار البقاء ، فعند الموت يأتيه اليقين ، الدنيا والله ياأمير المؤمنين دار عقوبة ، لها يجمع من لا عقل له ، وبها يغتر من لا علم عنده ، والحازم اللبيب من كان فيها كالمداوى جراحه ، يصبر على مرارة الدواء ، لما يرجو من العافية ، ويخاف من سوء عاقبة الدار ، والدنيا وايم الله ياأمير المؤمنين حلم ، والآخرة يقظة ، والمتوسط بينهما الموت ، والعباد في أضغاث أحلام ، وإنى قائل لك ياأمير المؤمنين ما قال الحكيم :

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة

وإلا فإني لا إخالك ناجيا .

ولما وصل كتابه إلى عمر ، بكى وانتحب حتى رحمه من كان عنده ، وقال " يرحم الله الحسن ، فإنه لا يزال يوقظنا من الرقدة ، وينبهنا من الغفلة ، ولله هو من مشفق ما أنصحه ! وواعظ ما أصدقه وأفصحه ! . ﴾

* * *

وقال الحسن ينصح :

﴿ احذر من نقل إليك حديث غيرك ، فإنه سينقل إلى غيرك حديثك إيها الناس : إنكم لا تنالون ما تحبون إلا بترك ما تشتهون ، ولا تدركون ما تأملون إلا بالصبر على ما تكرهون . الصبر صبران : صبر عند المصيبة ، وصبر عند المعصية ، فمن قدر على ذلك فقد نال أفضل الصبرين . أفضل الجهاد جهاد الهوى . لا تكن ممن يجمع علم العلماء وحكم الحكماء ، ويجري فى الحق مجرى السفهاء . من خاف الله أخاف الله سبحانه منه كل شىء ، ومن خاف الناس أخافه الله من كل شىء . ولولا ثلاثة ما طأطأ ابن آدم رأسه : الموت ، والمرض والفقر ، وإنه بعد ذلك لوثاب . احذروا العابد الجاهل ، والعالم الفاسق ، فإن فيهما فتنة لكل مفتون .

ترك الخطيئة أهون من معالجة التوبة . لا تكن شاة الراعى أعقل منك ، تزجرها الصيحة ، وتطردها الإشارة .

المؤمن تلقاه الزمان بعد الزمان ، بأمر واحد ، ووجه واحد ونصيحة واحدة ، وإنما يتبدل المنافق ليستأكل كل قوم .

المؤمن صدق قوله فعله ، وسره علانيته ومشهده مغيبه . لا يزال العبد بخير ما كان له واعظ من نفسه ، وكانت الفكرة من عمله ، والذكر من شأنه ، والمحاسبة من همته ، ولا يزال بشر ما استعمل التسويف ، واتبع الهوى ، وأكثر الغفلة ، ورجح فى الأمانى . الحق مر لا يصبر عليه إلا من عرف حسن العاقبة ، ومن رجا الثواب خاف

العقاب حادثوا هذه القلوب ، فإنها سريعة الدثور واقدعوا هذه النفوس ، فإنها طلعة ، وإنكم إلا تزعوها تنزع بكم إلى شر غاية .

يابن آدم : نهارك ضيفك ، فأحسن إليه ، فإنك إن أحسنت إليه ارتحل يحمدك ، وإن أسأت إليه ارتحل يذمك ، كذلك ليلك إنما أنت أيها الإنسان عدد ، فإذا مضى لك يوم فقد مضى بعضك . ﴾

* * *

الفصل التاسع :

وصية الخطاب بن المعلى لابنه

وعظ الخطاب بن المعلى المخزومي القرشي ابنه فقال :

﴿يابني ، عليك بتقوى الله وطاعته ، وتجنب محارمه باتباع سنته ومعالمه ، حتى تصح عيوبك ، وتقر عينك ، فإنها لا تخفى على الله خافية ، وإني قد وسمت لك وسماً ، ووضعت لك رسماً ، إن أنت حفظته ووعيته ، عملت به ملأت أعين الملوك ، وانقاد لك به الصعلوك ، ولم تزل مرتجىً مشرفاً يحتاج إليك ، ويرغب إلى ما في يديك ، فأطع أباك ، واقتصر على وصية أبيك ، وفرغ لذلك ذهنك ، واشغل به قلبك ولبك ، وإياك وهذر الكلام ، وكثرة الضحك والمزاح ، ومهازلة الإخوان ، فإن ذلك يذهب البهاء ، ويوقع الشحناء ، وعليك بالرزانة والتوقر ، من غير كبر يوصف منك ، ولاخيلاء تحكى عنك ، والق صديقك وعدوك بوجه الرضى ، وكف الأذى ، من غير ذلة لهم هيبة منهم ، وكن في جميع أمورك في أوسطها ، فإن خير الأمور أوسطها ، وقلل الكلام ، وافش السلام ، وامش متمكناً قصداً ، ولا تخط برجلك ، ولا تسحب ذيلك ، ولا تلو عنقك ،ولا رداءك ، ولا تنظر في عطفك ، ولا تكثر الالتفات ، ولا تقف على الجماعات ، ولا تتخذ السوق مجلساً ، ولا الحوانيت متحدثاً ، ولا تكثر المراء ، ولا تنازع

السفهاء ، فإن تكلمت فاختصر ، وإن مزحت فاقتصر ، وإذا جلست فتربع ، وتحفظ من تشبيك أصابعك وتفقيعها ، والعبث بلحيتك وخاتمك ، وذوأبة سيفك ، وتخليل أسنانك ، وإدخال يدك فى أنفك ، وكثرة طرد الذباب عنك ، وكثرة التثاؤب والتمطى ، وأشباه ذلك مما يستخفه الناس منك ويغتمزون به فيك .

وليكن مجلسك هادياً ، وحديثك مقسوماً ، وأصغ إلى الكلام الحسن ممن حدثك ، بغير إظهار عجب منك ، ولا مسألة إعادة ، وغض عن الفكاهات ، من المضاحك والحكايات ، ولا تحدث عن إعجابك بولدك ، ولا جاريتك ، ولا عن فرسك ، ولا عن سيفك ، وإياك وأحاديث الرؤيا ، فإنك إن أظهرت عجباً بشىء منها طمع فيها السفهاء ، فولدوا لك الأحلام ، واغتمزوا فى عقلك ، ولا تصنع تصنع المرأة ولا تبذل تبذل العبد ، ولا تهلب لحيتك ولا تبطنها ، وتوق كثرة الحف ونتف الشيب ، وكثرة الكحل ، والإسراف فى الدهن ، وليكن كحلك غبا ، ولا تلح فى الحاجات ، ولا تخشع فى الطلبات ، ولا تعلم أهلك وولدك فضلا عن غيرهم عدد مالك ، فإنهم إن رأوه قليلا هنت عليهم ، وإن كان كثيراً لم تبلغ به رضاهم ، وأخفهم فى غير عنف ، ولن لهم فى غير ضعف ، ولا تهازل أمتك ، وإذا خاصمت فتوقر ، وتحفظ من جهلك ، وتجنب عن عجلتك ، وتفكر فى حجتك ، وأر الحاكم شيئاً من حلمك ، ولا تكثر الإشارة بيدك ، ولا تحفز على ركبتيك ، وتوق حمرة الوجه ، وعرق الجبين ، وإن سفه عليك فاحلم ،

وإذا هدأ غضبك فتكلم ، وأكرم عرضك ، والق الفضول عنك ، وإن قربك سلطان فكن منه على حد السنان ، وإن استرسل إليك فلا تأمن من انقلابه عليك ، وارفق به رفقك بالصبي ، وكلمه بما يشتهي ، ولا يحملنك ما ترى من إلطافه إياك ، وخاصته بك ، أن تدخل بينه وبين أحد من ولده وأهله وحشمه ، وإن كان لذلك منك مستمعاً ، وللقول منك مطيعاً ، فإن سقطة الداخل بين الملك وأهله صرعة لا تنهض ، وذلة لاتقال ، وإذا وعدت فحقق ، وإذا حدثت فاصدق ، ولاتجهر بمنطقك كمنازع الأصم ، ولا تخافت به كتخافت الأخرس ، وتخير محاسن القول بالحديث المقبول ، وإذا حدثت بسماع فانسبه إلى أهله ، وإياك والأحاديث العابرة المشنعة التى تنكرها القلوب ، وتقف لها الجلود ، وإياك ومضعف الكلام مثل : نعم ، نعم ، ولا ، لا ، وعجل ، عجل ، وما أشبه ذلك ، وإذا توضأت فأجد عرك كفيك ، وليكن وضعك الحرض من الأشنان فيك كفعلك بالسواك ، ولا تنخع فى الطست ، وليكن طرحك الماء من فيك مترسلا ، ولا تمج فتنضح على أقرب جلسائك ، ولا تعض نصف اللقمة ، ثم تعيد ما بقى منها منصبغاً ، فإن ذلك مكروه ، ولا تكثر الاستسقاء على مائدة الملك ، ولا تعبث بالمشاش ، ولا تعب شيئاً مما يقرب إليك على مائدة بقلة خل أو تابل أو عسل ، فإن السحابة قد صيرت لنفسها مهابة ، ولا تمسك إمساك المثبور ، ولا تبذر تبذير السفيه المغرور ، واعرف فى مالك واجب الحقوق ، وحرمة الصدقة ، واستغن عن الناس يحتاجوا إليك ، واعلم

أن الجشع يدعو إلى الطبع ، والرغبة كما قيل تدق الرقبة ، ورب أكلة تمنع أكلات ، والتعفف مال جسيم ، وخلق كريم ، ومعرفة الرجل قدره ، تشرف ذكره ، ومن تعدى القدر ، هوى فى بعيد القعر ، والصدق زين ، والكذب شين ، ولصدق يسرع عطب صاحبه ، وأحسن عاقبة من كذب يسلم عليه قائله ، ومعاداة الحليم خير من مصادقة الأحمق ، ولزوم الكريم على الهوان خير من صحبة اللئيم على الإحسان ، ولقرب ملك جواد ، خير من مجاورة بحر طراد ، وزوجة السوء الداء العضال ، ونكاح العجوز يذهب بماء الوجه ، وطاعة النساء تزري بالعقلاء .

تشبه بأهل العقل تكن منهم ، وتصنع للشرف تدركه .

واعلم أن كل امرىء حيث وضع نفسه ، وإنما ينسب الصانع إلى صناعته ، والمرء يعرف بقرينة ، وإياك وإخوان السوء فإنهم يخونون من رافقهم ، ويحزنون من صادقهم ، وقربهم أعدى من الجرب ، ورفضهم من استكمال الأدب واستخفار المستجير لؤم . والعجلة شؤم . وسوء التدبير وهن .

والإخوان اثنان فمحافظ عليك عند البلاء ، وصديق لك فى الرخاء ، فاحفظ صديق البلاء ، وتجنب صديق العافية . فإنه أعدى الأعداء .

ومن اتبع الهوى ، مال به الردى ، ولا يعجبنك الجهل من الرجال ، ولا تحتقر ضئيلاً كالخلال فإنما المرء بأصغريه : قلبه ولسانه ، ولا ينتفع به بأكثر من أصغريه .

وتوق الفساد ، وإن كنت فى بلاد الأعادي ، ولا تفرش عرضك لمن دونك ، ولا تجعل مالك أكرم عليك من عرضك ، ولاتكثر الكلام فتثقل على الأقوام ، وامنح البشر جليسك ، والقبول ممن لا قاك .

وإياك وكثرة التبريق والتزليق ، فإن ظاهر ذلك ينسب إلى التأنيب ، وإياك والتصنع لمغازلة النساء ، وكن متقرباً متعززاً منتهزاً فى فرصتك ، رفيقاً فى حاجتك ، متثبتاً فى حملتك ، والبس لكل دهر ثيابه ، ومع كل قوم شكلهم .

واحذر ما يلزمك اللائمة فى آخرتك ، ولا تعجل فى أمر حتى تنظر فى عاقبته ، ولا ترد حتى ترى وجه المصدر .

وعليك بالنورة فى كل شهر مرة ، وإياك وحلاق الإبط بالنورة وليكن السواك من طبيعتك ، وإذا استكت فعرضاً ، وعليك بالعمارة ، فإنها أنفع التجارة ، وعلاج الزرع خير من اقتناء الضرع ، ومنازعتك اللئيم تطمعه فيك ، ومن أكرم عرضه أكرمه الناس ، وذم الجاهل إياك أفضل من ثنائه عليك ، ومعرفة الحق من أخلاق الصدق ، والرفيق الصالح ابن عم ، ومن أيسر أكبر ، ومن افتقر احتقر ، قصر فى المقالة مخافة الإجابة ، والساعي إليك غالب عليك ، وطول السفر ملالة ، وكثرة المنى ضلالة ، و ليس للغائب صديق ، ولا على الميت

شفيق وأدب الشيخ عناء ، وتأديب الغلام شقاء ، والفاحش أمير ، والوقاح وزير ، والحليم مطية الأحمق ، والحمق داء لا شفاء له ، والحلم خير وزير ، والدين أزين الأمور ، والسماجة سفاهة ، والسكران شيطان وكلاهمه هذيان ، والشعر من السحر ، والتهدد هجر والشح شقاء ، والشجاعة بقاء ، والهدية من الأخلاق السرية ، وهى تورث المحبة ، ومن ابتدأ المعروف صار ديناً ، ومن المعروف ابتدأ من غير مسألة ، وصاحب الرياء يرجع إلى السخاء ، ولرياء بخير خير من معالنة بشر ، والعرق نزاع ، والعادة طبيعة لازمة : إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، ومن حل عقداً احتمل حقداً ، ومراجعة السلطان خرق بالإنسان , والفرار عار ، والتقدم مخاطرة ، وأعجل منفعة إيسار فى دعة ، وكثرة العلل من البخل ، وشر الرجال الكثير الاعتلال ، وحسن اللقاء يذهب بالشحناء ، ولين الكلام من أخلاق الكرام .

يابنى ، إن زوجة الرجل سكنه ، ولا عيش له مع خلافها ، فإذا هممت بنكاح امرأة فسل عن أهلها ، فإن العروق الطيبة تنبت الثمار الحلوة .

واعلم أن النساء أشد اختلافاً من أصابع الكف ، فتوق منهن كل ذات بذا ، مجبولة على الأذى ، فمنهن المعجبة بنفسها ، المزرية ببعلها ، إن أكرمها رأته لفضلها عليه ، لا تشكر على جميل ، ولا ترضى منه بقليل ، لسانها عليه سيف صقيل ، قد كشفت القحة ستر

الحياء عن وجهها ، فلا تستحى من إعوارها ، ولا تستحى من جارها كلبة هرارة ، مهارشة عقارة ، فوجه زوجها مكلوم ، وعرضه مشتوم ولا ترعى عليه لدين ولا لدنيا ، ولا تحفظه لصحبة ، ولا لكثرة بنين ، حجابه مهتوك ، و ستره منشور ، وخيره مدفون ، يصبح كئيباً ، ويمسى عاتياً ، وشرابه مر ، وطعامه غيظ ، وولده ضياع ، وبيته مستهلك وثوبه وسخ ، ورأسه شعث ، إن ضحك فواهن ، وإن تكلم فمتكاره نهاره ليل ، وليله ويل ، تلدغه مثل الحية العقارة ، وتلسبه مثل العقرب الجرارة .

ومنهن شفشليق شعشع سلفع ، ذات سم منقع ، وإبراق واختلاق ، تهب مع الرياح ، وتطير مع كل ذي جناح ، وإن قال : لا قالت : نعم ، وإن قال : نعم ، قالت : لا مولدة لمخارية ، محتقرة لما فى يديه ، تضرب له الأمثال ، وتقصر به دون الرجال ، وتنقله من حال إلى حال ، حتى قلا بيته ، ومل ولده ، وغث عيشه ، وهانت عليه نفسه ، حتى أنكره إخوانه ، ورحمه جيرانه .

ومنهن الورهاء الحمقاء : ذات الدل فى غير موضعها ، الماضغة للسانها ، الاخذة فى غير شأنها ، قد قنعت بحبه ورضيت بكسبه ، تأكل كالحمار الراتع وتنتشر الشمس ولما يسمع لها صوت ولم يكنس لها بيت ، طعامها بائت ، وإناؤها وضر ، وعجينها حامض ، وماؤها فاتر ، ومتاعها مزروع ، وماعونها ممنوع ، وخادمها مضروب ، وجارها محروب .

ومنهن العطوف الودود ، المباركة الولود ، المأمونة على غيبها ، المحبوبة فى جيرانها ، المحمودة فى سرها وإعلانها ، الكريمة التبعل ، الكثيرة التفضل ، الخافضة صوتاً ، النظيفة بيتاً ، خادمها مسمن وابنها مزين ، وخيرها دائم ، وزوجها ناعم ، مموقة مألوفة ، وبالعفاف والخيرات موصوفة .

جعلك الله يابنى ممن يقتدى بالهدى ، ويأتم بالتقى ، ويجتنب السخط ، ويحب الرضى .

والله خليفتى عليك ، والمتولى لأمرك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وصلى الله على محمد ، نبى الهدى وعلى آله ، وسلم تسليماً كثيراً . ﴾

* * *

الفصل العاشر :

وصية أبي حازم الأعرج[1] للزهري [2]

﴿ عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن ، ورحمك من النار فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك بها أن يرحمك منها ، أصبحت شيخاً كبيراً قد أثقلتك نعم الله عليك ، بما أصح من بدنك ، وأطال من عمرك وعلمت حجج الله تعالى مما حملك من كتابه ، وفقهك فيه من دينه ، وفهمك من سنة نبيك ﴿ﷺ﴾ ، فرمى بك في كل نعمة أنعمها عليك ، وكل حجة يحتج بها عليك ، وقد قال تعالى : ﴿ **لئن شكرتم لأزيدنكم، ولئن كفرتم إن عذابي لشديد** [3] ﴾ . انظر أي رجل تكون إذا وقفت بين يدي الله عز وجل ، فسألك عن نعمه عليك كيف رعيتها ، وعن حججه عليك كيف قضيتها ،

---

١) هو سلمه بن دينار المخزومي ، أبو حازم ، ويقال له الأعرج . عالم المدينة وقاضيها وشيخها ، فارسي الأصل ، كان زاهداً عابداً ، بعث إليه سليمان بن عبد الملك ليأتيه فقال إن كانت له حاجة فليأت وأما أن فما لي إليه حاجة . (الأعلام لخير الدين الزركلي)

٢) هو محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري ، من بني زهرة بن كلاب ، من قريش أبو بكر ، أول من دون الحديث ، وأحد أكابر الحفاظ والفقهاء . تابعي من أهل المدينة ، نزل الشام وإستقربها ، مات بشغب أخر حد الحجاز وأول حد فلسطين . (الأعلام لخير الدين الزركلي) .

٣) سورة إبراهيم الآية ٧

ولا تحسبن الله راضياً منك بالتغرير ، ولا قابلا منك التقصير ، هيهات ليس كذلك .

أخذ على العلماء في كتابه إذ قال : ﴿ **لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم** [1]﴾

إنك تقول جدل ، ماهر عالم ، قد جادلت الناس فجدلتهم ، وخاصمتهم فخصمتهم ، إدلالا منك بفهمك ، واقتداراً منك برأيك ، فأين تذهب من قول الله عز وجل : ﴿ **ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا ، فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة** [2] ﴾ .

إعلم أن أدني ما ارتكبت ، وأعظم ما احتقيت ، أن آنست الظالم ، وسهلت له طريق الغي بدنوك حين أدنيت ، وإجابتك حين دعيت ، فما أخلقك أن تبوء بإثمك غداً مع الجمعة ، وأن تسأل عما أردت بإغضائك عن ظلم الظلمة . إنك أخذت ماليس لمن أعطاك ، ودنوت ممن لا يرد على أحد حقاً ، ولا ترك باطلا حين أدناك ، وأجبت من أراد التدليس بدعائه إياك حين دعاك .

جعلوك قطباً تدور رحى باطلهم عليك ، وجسراً يعبرون بك إلى بلائهم ، وسلما إلى ضلالتهم ، وداعياً إلى غيهم ، سالكاً سبيلهم ، يدخلون بك الشك على العلماء ، ويقتادون بك قلوب الجهال إليهم ،

---

١) سورة آل عمران الآية ١٨٧

٢) سورة النساء الآية ١٠٩

فلم تبلغ أخص وزرائهم ، ولا أقوى أعوانهم لهم ، دون ما بلغت من إصلاح فسادهم ، واختلاف الخاصة والعامة إليهم ، فما أيسر ما عمروا لك في جنب ماخربوا عليك ، وما أقل ما أعطوك في كثير ما أخذوا منك ، فانظر لنفسك فإنه لا ينظر لها غيرك ، وحاسبها حساب رجل مسؤول .

وانظر كيف شكرك لمن غذاك بنعمه صغيراً وكبيراً ، وانظر كيف إعظامك أمر من جعلك بدينه في الناس بخيلا ، وكيف صيانتك لكسوة من جعلك لكسوته ستيرا ، وكيف قربك وبعدك ممن أمرك أن تكون منه قريباً .

مالك لا تنتبه من نفسك ، وتستقيل من عثرتك ، فتقول : - والله ماقمت لله مقاماً واحداً أحيى له فيه ديناً ، ولا أميت له فيه باطلا إنما شكرك لمن استحملك كتابه ، واستودعك علمه مايؤمنك أن تكون من الذين قال الله تعالى فيهم :

﴿ **فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى**(١) ﴾ ، إنك لست في دار مقام ، قد أذنت بالرحيل ، ما بقاء المرء بعد أقرانه ، طوبى لمن كان مع الدنيا على وجل ، ويابؤس من يموت وتبقي ذنوبه من بعده ،إنك لم تؤمر بالنظر لوارثك على نفسك ، وليس أحد أهلا أن تردفه على ظهرك . ذهبت اللذة وبقيت التبعة ، ما أشقى من سعد بكسبه غيره ، احذر فقد أتيت ، وتخلص فقد أدهيت

١) سورة الأعراف الآية ١٦٩

إنك تعامل من لا يجهل ، والذي يحفظ عليك لا يغفل ، تجهز ، فقد دنا منك سفر ، وداو دينك فقد دخله سقم شديد ، ولا تحسبن أني أردت توبيخك أو تعييرك وتعنيفك ، ولكني أردت أن تنبش مافات من رأيك ، وترد عليك ما عزب عنك من حلمك ، وذكرت قوله تعالى : ﴿ **وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين** [1] ﴾ .

أغفلت ذكر من مضي من أسلافك وأقرانك ، وبقيت بعدهم كقرن أعضب ، فانظر هل ابتلوا بمثل ما ابتليت به ، أو دخلوا في مثل ما دخلت فيه ، وهل تراه ادخر لك خيراً منعوه ، أو علمك علماً جهلوه ، بل جهلت ما ابتليت به من حالك في صدور العامه ، وكلفهم بك أن صاروا يقتدون برأيك ويعملون بأمرك ، إن أحللت أحلوا وإن حرمت حرموا ، وليس ذلك عندك ولكن إكبابهم عليك ، ورغبتهم فيما في يديك ، ذهاب علمهم ، وغلبة الجهل عليك وعليهم ، وطلب حب الرياسة وطلب الدنيا منك ومنهم .

أما ترى ما أنت فيه من الجهل والغرة ، وما الناس فيه من البلاء والفتنة ، ابتليتهم بالشغل عن مكاسبهم ، وفتنتهم بما رأوا ما أثر العلم عليك ، وتاقت أنفسهم إلى أن يدركوا بالعلم ما أدركت ، ويبلغوا منه مثل الذي بلغت ، فوقعوا بك فى بحر لا يدرك قعره ، وفى بلاء لا يقدر قدره ، فالله لنا ولك ولهم المستعان .

---

١) سورة الذاريات الآية ٥٥

واعلم أن الجاه جاهان : جاه يجريه الله تعالى على يدي أوليائه لأوليائه ، الخامل ذكرهم ، الخافية شخوصهم ولقد جاء نعتهم على لسان رسول الله (ﷺ) " إن الله يحب الأخفياء الأتقياء الأبرياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا ، وإذا شهدوا لم يعرفوا ، قلوبهم مصابيح الهدى ، يخرجون من كل فتنة سوداء مظلمة " .

فهؤلاء أولياء الله الذين قال تعالى فيهم : ﴿ **أولئك حزب الله ، ألا إن حزب الله هم المفلحون** [1] ﴾

وجاه يجريه تعالى على يدي أعدائه لأوليائه ، ومقة يقذفها الله في قلوبهم لهم ، فيعظمهم الناس بتعظيم أولئك لهم ، ويرغب الناس فيما في أيديهم لرغبة أولئك فيه إليهم ﴿ **أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون** [2] ﴾ .

وما أخوفني أن تكون ممن ينظر لمن عاش مستوراً عليه في دينه ، مقتوراً عليه في رزقه ، معزولة عنه البلايا ، مصروفة عنه الفتن في عنفوان شبابه وظهور جلده ، وكمال شهوته ، فعني بذلك دهره ، حتي إذا كبر سنه ، ورق عظمه ، وضعفت قوته ، وانقطعت شهوته ولذته ، فتحت عليه الدنيا شر فتوح ، فلزمته تبعتها وعلقته فتنتها ، وأعشت عينيه زهرتها ، وصنعت لغيره منفعتها ،

---

١) سورة المجادلة الآية ٢٢

٢) سورة المجادلة الآية ١٩

فسبحان الله ما أبين هذا الغبن ، وأخسر هذا الأمر ، فهلا إذا عرضت لك فتنتها ذكرت أمير المؤمنين عمر رضي الله تعالى عنه في كتابه إلى سعد حين خاف عليه مثل الذي وقعت فيه عندما فتح الله على سعد :

أما بعد ، فاعرض عن زهرة ما أنت فيه حتي تلقي الماضين الذين دفنوا في أسمالهم ، لاصقة بطونهم بظهورهم ، ليس بينهم وبين الله حجاب ، لم تفتنهم الدنيا ولم يفتنوا بها ، رغبوا فطلبوا فما لبثوا أن لحقوا ، فإذا كانت الدنيا تبلغ من مثلك هذا في كبر سنك ، ورسوخ علمك ، وحضور أجلك ، فمن يلوم الحدث في سنه ، والجاهل في علمه ، والمأفون في رأيه ، المدخول في عقله ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، على من المعول ، وعند من المستعتب ،

نحتسب عند الله مصيبتنا وما نرى منك ، ونحمد الله الذي عافانا مما ابتلاك به والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . ﴾

* * *

الفصل الحادي عشر :

وصية عبد الله بن شداد (١) لابنه

لما حضرت عبد الله بن شداد الوفاة ، دعا ابنه محمداً وقال له :

﴿ يابني ، إني أرى داعى الموت لا يقلع ، وأرى من مضى لا يرجع ، ومن بقى فإليه ينزع ، وإنى موصيك بوصية فاحفظها ، عليك بتقوى الله العظيم ، وليكن أولى الأمور بك شكر الله ، وحسن النية فى السر والعلانية ، فإن الشكور يزداد والتقوى خير زاد ، وكن كما قال الحطيئة :

ولست أرى السعادة جمع مال
ولكن التقي هو السعيد

وتقوى الله خير الزاد ذخرا
وعند الله للأتقى مزيد

وما لابد أن يأتى قريب
ولكن الذى يمضي بعيد

---

١) هو عبد الله بن شدادبن الهاد الليثي أبو الوليد المدني الكوفي ، وأمه سلمه أخت أسماء بنت عميس كانت تحت حمزه رضي الله عنه فلما استشهد تزوجها شداد فولدت له عبد الله فى زمن النبي(ﷺ) ، من تابعي أهل الكوفة وقيل أنه من تابعي أهل المدينة ، كان ثقة قليل الحديث ، شيعياً . (سيرة أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبي)

ثم قال : أي بني ، لا تزهدن في معروف ، فإن الدهر ذو صروف ، والأيام ذات نوائب ، على الشاهد والغائب ، فكم من راغب أصبح مطلوباً ما لديه ، واعلم أن الزمان ذو ألوان ، ومن يصحب الزمان ير الهوان

وكن أي بني كما قال أبو الأسود الدؤلى :

وعد من الرحمن فضلاونعمة عليك

إذا ما جاء للعرف طالب

وإن امرأ لا يرتجى الخير

عنده يكون هينا ثقلاً على من يصاحب

فلا تمنعن ذا حاجة جاء طالباً

فإنك لا تدري متى أنت راغب

رأيت التوا هذا الزمان بأهله

وبينهم فيه تكون النوائب

ثم قال : أي بني ، كن جواداً بالمال في موضع الحق ، بخيلا بالأسرار عن جميع الخلق ، فإن أحمد جود المرء الإنفاق في وجه البر ، وإن أحمد بخل الحر الضن بمكتوم السر ، وكن كما قال قيس بن الخطيم الأنصاري :

أجود بمكنون التلاد ، وإنني

بسرك عمن سألني لضنين

إذا جاوز الإثنين سر فإنه

بنث ، وتكثير الحديث قمين

وعندي له يوماً إذا ماائتمنتني

مكـــان بسوداء الفـــؤاد مكين

ثم قال : أي بني ، وإن غلبت يوما على المال ، فلا تدع الحيلة على حال ، فإن الكريم يحتال ، والدنيء عيال ، وكن أحسن ما تكون فى الظهر حالا ، أقل ما تكون فى الباطن مالا ، فإن الكريم من كرمت طبيعته ، وظهرت عند الإنفاد نعمته ، وكن كما قال ابن خذاق العبدي:

وجدت أبى قد أورثه أبـــوه

خلال قد تعد مـــن المعالي

فأكرم ما تكون علـــى نفسي

إذا ما قل فـــى الأزمات مالي

فتحسن سيرتي وأصون عرضي

ويجمل عند أهل الرأى حالـــي

وإن نلت الغنى لم أغـــل فيه

ولم أخصص بجفوتى المواليـــي

ثم قال : أي بني ، وإن سمعت كلمة من حاسد ، فكن كأنك لست بالشاهد ، فإنك إن أمضيتها حيالها ، رجع العيب على من قالها ، وكان يقال : الأريب العاقل هو الفطن المتغافل ، وكن كما قال حاتم الطائى :

وما من شيمتي شتم ابن عمي وما أنا مخلف من يرتجيني

وكلمة حاسد فى غير جـــرم سمعت فقلت مري فانفذيني

فعابوها على ولم تسونى　　　ولم يعرق لها يوما جبينى

وذو اللونين يلقانى طليقا　　　وليس إذا تغيب يأتلينى

سمعت بعيبه فصفحت عنه　　　محافظة على حسبى ودينى

ثم قال : أي بني ، لا تواخ امرأ حتى تعاشر ، وتتعقد موارده ومصادره ، فإذا استطعت العشرة ، ورضيت الخبرة ، فواخه على إقالة العثره والمواساة فى العسرة ، وكن كما قال المقنع الكندي :

ابل الرجال إذا أردت إخاءهم　　　وتوسم فعالهم وتفقد

فإذا ظفرت بذي اللبابة والتقى　　　فبه اليدين قرير عين فاشدد

وإذا رأيت ولا محالة زلة　　　فعلى أخيك بفضل حلمك فاردد

ثم قال : أي بني ، إذا أحببت فلا تفرط ، وإذا أبغضت فلا تشطط فإنه قد كان يقال : أحبب حبيبك هوناً ما ، عسى أن يكون بغيضك يوماً ما وأبغض بغيضك هونا ما ، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما ، وكن كما قال هدبة بن الخشرم العذري :

وكن معقلا للحلم واصفح عن الخنا　　　فإنك راء ما حييت وسامع

وأحبب إذا أحببت حبا مقارباً　　　فإنك لا تدري متى أنت نازع

وأبغض إذا أبغضت بغضا مقاربا　　　فإنك لا تدري متى أنت راجع

وعليك بصحبة الأخيار ، وصدق الحديث ، وإياك وصحبة الأشرار ، فإنه عار ، وكن كما قال الشاعر :

اصحب الأخيار وارغب فيهم　　　رب من صاحبته مثل الجرب

ودع الناس فلا تشتمهم　　　وإذا شاتمت فاشتم ذا حسب

إن من شاتم وغدا كالـذي — يشتري الصفر بأعيان الذهب

وأصدق الناس إذاحدثتهم — ودع الناس فمن شاء كـذب

* * *

الفصل الثاني عشر :

وصية أسماء بن خارجة (١) لابنته

﴿ زوج أسماء بن خارجة الفزاري بنته هنداً من الحجاج بن يوسف فلما كانت ليلة أراد البناء بها ، قال لها أسماء : " يابنيه ، إن الأمهات يؤدبن البنات ، وإن أمك هلكت وأنت صغيرة ، فعليك بأطيب الطيب الماء ، وأحسن الحسن الكحل ، وإياك وكثرة المعاتبة ، فإنها قطيعة للود ، وإياك والغيرة ، فإنها مفتاح الطلاق ، وكونى لزوجك أمة ، يكن لك عبداً ، واعلمي أنى القائل لأمك :

خذي العفو منى تستديمى مودتى
ولا تنطقى فى سورتى حين أغضب
ولا تنقرينى نقرة الدف مرة
فإنك لا تدرين كيف المغيب
فإنى وجدت الحب فى الصدر والأذى
إذا إجتمعا لم يلبث الحب يذهب

* * *

---

١) هو أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة الفزاري ، تابعي من أهل الكوفة ، كان سيد قومه ، جواداً مقدماً عند الخلفاء

الباب التاسع

وصايا حكماء الجاهلية

الباب التاسع

وصايا حكماء الجاهلية

الفصل الأول :

وصايا أكثم بن صيفي (١)

الوصية الأولى :-

وصيته إلى طيء :

كتب أكثم بن صيفي إلى طيء يوصيهم : -

« أوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم ، وإياكم ونكاح الحمقاء فإن نكاحها غرر ، وولدها ضياع ، وعليكم بالخيل فأكرموها ، فإنها حصون العرب ، ولا تضعوا رقاب الإبل في غير حقها ، فإن فيها ثمن الكريمة ، ورقوء الدم ، وبألبانها يتحف الكبير ، ويغذى الصغير ،

---

١) هو أكثم بن صيفي بن رباح بن الحارث بن مخاشن بن معاوية التميمي . حكيم العرب فى الجاهلية ، وأحد المعمرين ، أدرك الإسلام وقصد المدينة فى مائه من قومه يريدون الإسلام فمات فى الطريق ، وأسلم من بلغ المدينة من أصحابه ، وهو المعني بالأية الكريمة " ومن خرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله، ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله " (الأعلام لخير الدين الزركلي) .

ولو أن الإبل كلفت الطحن لطحنت ، ولن يهلك امرؤ عرف قدره والعدم عدم العقل لا عدم المال ، ولرجل خير من ألف رجل ، ومن عتب على الدهر طالت معتبته ، ومن رضي بالقسم طابت معيشته ، وآفة الرأي الهوى ، والعادة أملك والحاجة مع المحبة خير من البغض مع الغنى والدنيا دول : فما كان لك أتاك على ضعفك ، وما كان عليك لم تدفعه بقوتك ، والحسد داء ليس له دواء والشامته تعقب ، ومن ير يوماً ير به ، قبل الرماء تملأ الكنائن ، الندامة مع السفاهة ، دعامة العقل الحلم ، خير الأمور مغبة الصبر ، بقاء المودة عدل التعاهد من يزر غبا يزدد حبا ، التغرير مفتاح البؤس ، من التواني والعجز نتجت الهلكة ، لكل شيء ضراوة فضر لسانك بالخير ، عي الصمت أحسن من عي المنطق ، الحزم حفظ ما كلفت وترك ما كفيت ، كثير التنصح يهجم على كثير الظنة .

من ألحف في المسألة ثقل ،من سأل فوق قدره استحق الحرمان ، الرفق يمن ، والخرق شؤم ، خير السخاء ما وافق الحاجة ، خير العفو ما كان بعد القدرة . ﴾

* * *

الوصية الثانية :

وصيته إلى النعمان بن خميصه : -

كتب اكثم إلى النعمان بن خمصة أمثالاً تعتبر من الوصايا المفيدة : -

﴿ قد حلبت الدهر أشطره فعرفت حلوه ومره ، عين عرفت فذرفت ، إن أمامي ما لا أسامي ، رب سامع بخبري لم يسمع بعذري كل زمان لمن فيه ، في كل يوم ما يكره ، كل ذي نصرة سيخذل ، تباروا فإن البر ينمي عليه العدد ، كفوا ألسنتكم فإن مقتل الرجل بين فكيه ، إن قول الحق لم يدع لي صديقاً ، الصدق منجاة ، لا ينفع مع الجزع التبقي ، ولا ينفع مما هو واقع التوقي ، ستساق إلى ماأنت لاق في طلب المعالي يكون العناء ، الاقتصاد في السعي أبقي للجمام ، من لم يأس على ما فاته ودع بدنه ، ومن قنع بما هو فيه قرت عينه ، التقدم قبل التندم ، أصبح عند رأس الأمر أحب إلي من أن أصبح عند ذنبه ، لم يهلك من مالك ما وعظك ، ويل لعالم أمر من جاهله ، يتشابه الأمر إذا أقبل فإذا أدبر عرفه الكيس والأحمق .

الوحشة ذهاب الأعلام ، البطر عند الرخاء حمق ، والعجز عند البلاء أفن ، ولا تغضبوا من اليسير فربما جني الكثير ، لا تجيبوا فيما لم تسألوا عنه ، ولا تضحكوا مما لا يضحك منه ، حيلة من لا حيلة له الصبر ، كونوا جميعاً فإن الجمع غالب ، تثبتوا ولا تسارعوا فإن أحزم الفريقين الركين .

رب عجلة تهب ريثاً ادرعوا الليل واتخذوه جملاً ، فإن الليل أخفى للويل ، ولا جماعة لمن اختلف ، تناءوا في الديار ولا تباغضوا فإنه من يجتمع يتقعقع عمده .

ألزموا النساء المهابة ، نعم لهو الغرة المغزل ، إن تعش تر ما لم تره ، قد أقر صامت ، المكثار كحاطب ليل ، من أكثر أسقط .

لا تجعلوا سراً إلى أمة ، ولا تفرقوا في القبائل فإن الغريب بكل مكان مظلوم ، عاقدوا الثروة ، وإياكم والوشائظ فإن مع القلة الذلة ، لو سئلت العارية قالت : أبغي لأهلي ذلا . الرسول مبلغ غير ملوم ، من فسدت بطانته غص بالماء . أساء سمعاً فأساء جابة .

الدال على الخير كفاعله ، إن المسألة من أضعف المسكنة ، قد تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها ، لم يجر سالك القصد ، ولم يعم قاصد الحق ، من شدد نفر ومن تراخى تألف ، الشرف التغافل ، أوفى القول أوجزه ، أصوب الأمور ترك الفضول ، التغرير مفتاح البؤس . التواني والعجز ينتجان الهلكة ، لكل شيء ضراوة ، أحوج الناس إلى الغني من لا يصلحه إلا الغنى وهم الملوك ، حب المدح رأس الضياع .

رضا الناس غاية لا تبلغ . لا تكره سخط من رضاه الجور . معالجة العفاف مشقة فتعوذ بالصبر , أقصر لسانك على الخير وأخر الغضب ، فإن القدرة من ورائك . من قدر أزمع ، أمر أعمال المقتدرين الانتقام ، جاز بالحسنة ولا تكافيء بالسيئة . أغنى الناس عن الحقد من عظم عن المجازاة .

من حسد من دونه قل عذره ، من جعل لحسن الظن نصيباً روح عن قلبه ، عي الصمت أحمد من عي المنطق . الناس رجلان : محترس ومحترس منه ، كثير النصح يهجم على كثير الظنة . من ألح في المسألة أبرم ، خير السخاء ما وافق الحاجة . الصمت يكسب المحبة ، لن يغلب الكذب شيئاً إلا غلب عليه الصدق . القلب قد يتهم وإن صدق اللسان . الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة ، وتقريبهم مكسبة لقرين السوء ، فكن من الناس بين القرب والبعد ، فإن خير الأمور أوساطها .

فسولة الوزراء أضر من بغض الأعداء . خير القرباء المرأة الصالحة ، وعند الخوف حسن العمل من لم يكن له من نفسه زاجر لم يكن له من غيره واعظ ، وتمكن منه عدوه على أسوأ عمله ، لن يهلك امرؤ حتي يمل الناس عتيد فعله ، ويشتد على قومه ، ويعجب بما ظهر من مروءته ، ويغتر بقوته ، والأمر يأتيه من فوقه . ليس للمختال في حسن الثناء نصيب . لا نماء مع العدم ، إنه من أتي المكروه إلى أحد بدأ بنفسه . العي أن تتكلم فوق ما تسد به حاجتك .

لا ينبغي لعاقل أن يثق بإخاء من تضطره إلى إخائه حاجة . أقل الناس راحة الحقود . من تعمد الذنب لا تحل رحمته دون عقوبة ، فإن الأدب رفق والرفق يمن . ﴾

* * *

الوصية الثالثة :

وصيتة لبنيه ورهطه : -

وصى أكثم بن صيفى بنيه ورهطه ، فقال :

يابني تميم لا يفوتنكم وعظي إن فاتكم الدهر بنفسي ، إن بين حيزومى وصدرى لكلاماً لا أجد له مواقع إلا أسماعكم ، و لا مقار إلا قلوبكم ، فتلقوه بأسماع مصغية ، وقلوب واعية ، تحمدوا مغبته ، الهوى يقظان ، والعقل راقد ، والشهوات مطلقة ، والحزم معقول والنفس مهملة ، والروية مقيدة ، ومن جهة التوانى وترك الروية يتلف الحزم ، ولن يعدم المشاور مرشدا ، والمستبد برأيه موقوف على مداحض الزلل ، ومن سمع سمع به ، ومصارع الرجال تحت بروق الطمع ، ولو اعتبرت مواقع المحن ما وجدت إلا فى مقاتل الكرام ، وعلى الإعتبار طريق الرشاد ، ومن سلك الجدد أمن العثار ، ولن يعدم الحسود أن يتعب قلبه ، ويشغل فكره ويؤرث غيظه ، ولا تجاوز مضرته نفسه .

يابني تميم : الصبر على جرع الحلم أعذب من جنى ثمر الندامة ، ومن جعل عرضه دون ماله أستهدف للذم ،

وكلم اللسان أنكى من كلم السنان ، والكلمة مرهونة مالم تنجم من الفم ، فإذا نجمت فهى أسد محرب ، أو نار تلهب ، ورأى الناصح اللبيب دليل لا يجوز ، ونفاذ الرأى فى الحرب ، أجدى من الطعن والضرب . ﴾

* * *

الفصل الثاني :

وصية عمرو بن كلثوم (١) لبنيه

أوصى عمرو بن كلثوم ، فقال : –

﴿ يابني إنى قد بلغت من العمر مالم يبلغ أحد من أبائى وأجدادى ، ولا بد من أمر مقتبل ، وأن ينزل بي ما نزل بالآباء والأجداد ، والأمهات والأولاد ، فاحفظوا عني ما أوصيكم به ، إنى والله ما عيرت رجلا قط أمراً إلا عير بى مثله ، إن حقا فحقا ، وإن باطلا فباطلا ، ومن سب سب ، فكفوا عن الشتم فإنه أسلم لأعراضكم ، وصلوا أرحامكم ، تعمر داركم ، وأكرموا جاركم يحسن ثناؤكم ، وزوجوا بنات العم بني العم ، فإن تعديتم بهن إلى الغرباء ، فلا تألوا بهن الأكفاء ، وأبعدوا بيوت النساء من بيوت الرجال ، فإنه أغض للبصر ، وأعف للذكر ، ومتى كانت المعاينة واللقاء ، ففى ذلك داء من الأدواء ولا خير فيمن لا يغار لغيره ، كما يغار لنفسه ، وقل من انتهك حرمة لغيره إلا انتهكت حرمته ، وامنعوا القريب من ظلم الغريب ، فإنك تذل على قريبك ،

١) هو عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب من بني تغلب ، شاعر جاهلي من الطبقة الأولى ، ولد فى شمال جزيرة العرب فى بلاد ربيعة ، وتجول فيها وفى الشام والعراق ونجد ، كان من أعز الناس نفساً ، وهو من الفتيان الشجعان ، ساد قومه تغلب وهو فتى ، عمر طويلاً ، هو الذى قتل الملك عمرو بن هند ، مات فى الجزيرة الفراتية . (الأعلام لخير الدين الزركلي)

ولا يحل بك ذل غريبك ، وإذا تنازعتم فى الدماء ، فلا يكن حقكم للقاء فرب رجل خير من ألف ، وود خير من خلف ، وإذا حدثتم فعوا ، وإذا حدثتم فأوجزوا ، فإن مع الإكثار يكون الإهذار ، وموت عاجل خير من ضنى آجل ، وما بكيت من زمان الإدهانى بعده زمان ، وربما شجانى من لم يكن أمره عنانى ، وما عجبت من أحدوثه إلا رأيت بعدها أعجوبة ، واعلموا أن أشجع القوم العطوف ، وخير الموت تحت ظلال السيوف ، ولا خير فيمن لا روية له عند الغضب ، ولا فيمن إذا عوتب لم يعتب ، ومن الناس من لا يرجى خيره ، ولا يخاف شره ، فبكؤه خير من دره ، وعقوقه خير من بره ، ولا تبرحوا فى حبكم ، فإنه من برح فى حب ، آل ذلك إلى قبيح بغض ، وكم قد زارنى إنسان وزرته ، فانقلب الدهر بنا فبرته ، واعلموا أن الحكيم سليم ، وأن السيف كليم ، وإنى لم أمت ولكن هرمت ، ودخلتنى ذلة فسكت ، وضعف قلبى فأهترت سلمكم ربكم وحياكم .﴾

* * *

الفصل الثالث :

وصية أوس بن حارثة(1) لابنه مالك

أوصى أوس بن حارثة ابنه مالك فقال : -

﴿ يامالك ، المنية ولا الدنية ، والعتاب قبل العقاب ، والتجلد لا التبلد ، واعلم أن القبر خير من الفقر ، وشر شارب المشتف ، وأقبح طاعم المقتف وذهاب البصر خير من كثير من النظر ، ومن كرم الكريم ، الدفاع عن الحريم ، ومن قل ذل ، ومن أمر فل ، وخير الغنى القناعة ، وشر الفقر الضراعة ، والدهر يومان ، فيوم لك ويوم عليك ، فإذا كان لك فلا تبطر ، وإذا كان عليك فاصبر ، فكلاهما سينحسر فإنما تعز من ترى ويعزك من لا ترى ، ولو كان الموت يشترى ، لسلم منه أهل الدنيا ولكن الناس فيه مستوون ، الشريف الأبلج ، واللئيم المعلهج ، والموت المفيت خير من أن يقال لك هبيت ، وكيف بالسلامة ، لمن ليست له إقامة ، وشر من المصيبة سوؤ الخلف ، وكل مجموع إلى تلف ، حياك إلهك . ﴾

***

1) هو أوس بن حارثة بن ثعلبة من بني مزيقياء من الأزد ، من كهلان ، تحول بنوه من اليمن إلى المدينة وجاء الإسلام وهم فيها ، وكان صنمهم فى الجاهلية " مناة " منصوباً بفدك مما يلي ساحل البحر ويشاركهم فيه الخزرج . (الأعلام لخير الدين الزركلي)

الفصل الرابع :

وصية الحرث بن كعب لبنيه

قال الحرث بن كعب يوصي بنيه : -

﴿ يابني قد أتت على مائة وستون سنة ، ما صافحت يمينى يمين غادر ، ولا قنعت لنفسى بخلة فاجر ، ولا صبوت بابنة عم ولا كنة ، ولا بحت لصديق بسر ولا طرحت عن مومسة قناعا ، ولا بقى على دين عيسى بن مريم من العرب غيري وغير تميم بن مرة ، وأسد بن خزيمة ، فموتوا على شريعتى ، واحفظوا وصيتى ، وإلهكم فاتقوا ، يكفكم ما أهمكم ، ويصلح لكم حالكم ، وإياكم ومعصيته ، فيحل بكم الدمار ، ويوحش منك الديار ، كونوا جميعاً ولا تفرقوا ، فتكونوا شيعاً ، وبزوا قبل أن تبزوا ، فموت فى عز خير من حياة فى ذل وعجز ، وكل ما هو كائن كائن ، وكل جمع إلى تباين ، والدهر ضربان ، ضرب بلاء ، وضرب رخاء ، واليوم يومان ، يوم حبرة ، ويوم عبرة ، والناس رجلان ، رجل لك ، ورجل عليك ، زوجوا النساء الأكفاء ، وإلا فانتظروا بهن القضاء ، وليكن أطيب طيبهن الماء وإياكم والورهاء ، فإنها أدوأ الداء ، وإن ولدها إلى أفن يكون ، لا راحة لقاطع القرابة ، وإذا اختلف القوم أمكنوا عدوهم ، وآفة العدو اختلاف الكلمة ، والتفضل بالحسنة يقي السيئة ، والمكافأة بالسيئة دخول

فيها ، وعمل السوء يزيل النعماء ، وقطيعة الرحم تورث الهم ، وانتهاك الحرمة يزيل النعمة ، وعقوق الوالدين يعقب النكد ، ويخرب البلد ، ويمحق العدد ، والإسراف فى النصيحة هو الفضيحة ، والحقد يمنع الرفد ، ولزوم الخطيئة يعقب البلية ، وسوء الرعة يقطع أسباب المنفعة ، والضغائن تدعو إلى التباين .

يابني ، إنى قد أكلت مع أقوام وشربت ، فذهبوا وغبرت ، وكأنى بهم قد لحقت ، ثم قال :

أكلت شبابى فأفنيته	وأبليت بعد دهور دهورا
ثلاثة أهلين صاحبتهم	فبادوا وأصبحت شيخاً كبيرا
قليل الطعام ، عسير القيام	قد ترك الدهر خطوي قصيرا
أراعى نجوى السماء	أقلب أمري بطوناً ظهوراً . ﴾

* * *

الفصل الخامس :

وصية ذي الإصبع العدواني[1] لابنه أسيد

لما احتضر ذو الإصبع دعا ابنه أسيداً ، فقال له : -

﴿ يابني إن أباك قد فنى وهو حى ، وعاش حتى سئم العيش ، وإنى موصيك بما إن حفظته بلغت فى قومك ما بلغته ، فاحفظ عنى . ألن جانبك لقومك يحبوك ، وتواضع لهم يرفعوك ، وابسط لهم وجهك يطيعوك ، ولا تستأثر عليهم بشىء يسوّدوك ، وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم ، يكرمك كبارهم ، ويكبر على مودتك صغارهم ، واسمح بمالك ، واحم حريمك ، وأعزز جارك ، وأعن من استعان بك ، وأكرم ضيفك ، وأسرع النهضة فى الصريخ فإن لك أجلاً لا يعدوك ، وصن وجهك عن مسألة أحد شيئاً ، فبذلك يتم سؤددك . ﴾

***

---

١) هو حرثان بن الحارث بن محرث بن ثعلبة ينتهي نسبه إلى مضر ، شاعر حكيم شجاع جاهلي ، لقب بذى الأصبع ، لأن حيه نهشت إصبع رجله فقطعها ، ويقال كانت له اصبع زائدة ، عاش طويلاً حتى عد فى المعمرين ، شعره ملىء بالحكمة والعظة والفخر (الأعلام لخير الدين الزركلي) .

الفصل السادس :

وصية زهير بن جناب الكلبى (١)

وصى زهير بن جناب الكلبي فقال : -

﴿ يابني : قد كبرت سني ، وبلغت حرساً من دهري ، فأحكمتني التجارب والأمور تجربة واختبار ، فاحفظوا عني ما أقول وعوه ، وإياكم والخور عند المصائب ، والتواكل عند النوائب ، فإن ذلك داعية للغم ، وشماتة للعدو ، وسوء ظن بالرب ، وإياكم أن تكونوا بالأحداث مغترين ، ولها آمنين ، ومنها ساخرين ، فإنه ما سخر قوم قط إلا ابتلوا ، ولكن توقعوها ، فإنما الإنسان فى الدنيا غرض تعاوره الرماة فمقصر دونه ، ومجاوز لموضعه ، وواقع عن يمينه وشماله ، ثم لا بد أنه مصيبه . ﴾

* * *

١) هو زهير بن جناب بن هبل الكلبي ، من بني كنانة بن بكر ، خطيب قضاعة وسيدها وشاعرها وبطلها ووافدها على الملوك ، فى الجاهلية كان يدعى الكاهن لصحة رأيه ، عاش طويلاً ، من أهل اليمن ، يقال أن وقائعه تناهز المئتين أشهرها أيامه مع بكر وتغلب .
(الأعلام لخير الدين الزركلي)

الفصل السابع :

وصية قيس بن زهير(١) لبني النمر بن قاسط

وصى قيس بن زهير بني النمر بن قاسط عندما أراد الرحيل عنهم فقال : -

« يا معشر النمر : إن لكم علي حقا ، وأنا أريد أن أوصيكم ، فآمركم بخصال ، وأنهاكم عن خصال ، عليكم بالأناة فإن بها تدرك الحاجة ، تنال الفرصة ، وتسويد من لا تعابون بتسويده ، وعليكم بالوفاء ، فإن به يعيش الناس ، وبإعطاء من تريدون إعطاءه قبل المسألة ، ومنع من تريدون منعه قبل الإلحاح ، وإجارة الجار على الدهر وتنفيس المنازل عن بيوت اليتامى ، وخلط الضيف بالعيال .

وأنهاكم عن الغدر فإنه عار الدهر ، وعن الرهان فإني به ثكلت مالكاً أخى وعن البغي فإنه قتل زهيرا أبى ، وعن الإعطاء فى الفضول ، فتعجزوا عن الحقوق ، وعن السرف فى الدماء فإن يوم الهباءة ألزمني العار ،

---

١) هو قيس بن زهير بن جذيمه بن رواحة العبسي ، أمير عبس وداهيتها ، أحد السادة القادة فى عرب العراق ، كان يلقب بقيس الرأي لجودة رأيه ، يكنى أبا هند ، ورث الإمارة عن أبيه ، إشتهرت وقائعه فى حروبه مع بني فزارة وذبيان ، زهد فى أواخر عمره ورحل إلى عمان إلى أن مات فيها ، يضرب بدهائه المثل . (الأعلام لخير الدين الزركلي) .

ومنع الحرم إلا من الأكفاء فإن لم تصيبوا لهن الأكفاء ، فإن خير منا كحهن القبور ، واعلموا أنى كنت ظالماً مظلوماً ، ظلمنى بنو بدر بقتلهم ما لكاً أخى ، وظلمتهم بأن قتلت من لا ذنب له " . ﴾

* * *

الفصل الثامن :

وصية حصن بن حذيفة لبنيه

أوصى حصن بن حذيفة فقال :

﴿ اسمعوا مني ما أوصيكم به : لا يتكل آخركم على أولكم ، فإنما يدرك الآخر ما أدركه الأول ، وأنكحوا الكفء الغريب ، فإنه عز حادث ، وإذا حضركم أمران ، فخذوا بخيرهما صدراً ، فإن كل مورد مغروف ، واصحبوا قومكم بأجمل أخلاقكم ، ولا تخالفوا فيما اجتمعوا عليه ، فإن الخلاف يزري بالرئيس المطاع ، وإذا حادثتم فاربعوا ، ثم قولوا الصدق ، فإنه لا خير فى الكذب ، وصونوا الخيل فإنها حصون الرجال ، وأطيلوا الرماح فإنها قرون الخيل ، وأعزوا بالكبر الكبير ، فإنى بذلك كنت أغلب الناس ، ولا تغزوا إلا بالعيون ، ولا تسرحوا حتى تأمنوا الصباح ، وأعطوا على حسب المال ، وأعجلوا الضيف بالقرى ، فإن خيره أعجله ، واتقوا فضيحات البغي ، وفلتات المزاح ، ولا تجيروا على الملوك ، فإن أيديهم أطول من أيديكم . ﴾

* * *

الفصل التاسع :

وصية المأمون الحارثى لقومه

أوصى المأمون الحارثى قومه فقال : -

﴿ أرعونى أسماعكم ، وأصغوا إلي قلوبكم ، يبلغ الوعظ منكم حيث أريد ، طمح بالأهواء الأشر ، وران على القلوب الكدر ، وطخطخ الجهل النظر ، إن فيما ترى لمعتبرا لمن اعتبر ، أرض موضوعة ، وسماء مرفوعة ، وشمس تطلع وتغرب ونجوم تسري فتعزب ، وقمر تطلعه النحور ، وتمحقه أدبار الشهور ، وعاجز مثر ، وحول مكد ، وشاب مختضر ، ويفن قد غبر ، وراحلون لا يئوبون ، وموقوفون لا يفرطون ، ومطر يرسل بقدر ، فيحي البشر ، ويورق الشجر ، ويطلع الثمر وينبت الزهر ، وماء يتفجر ، من الصخر الأير ، فيصدع المدر ، عن أفنان الخضر ، فيحي الأنام ، ويشبع السوام ، وينمي الأنعام ، إن فى ذلك لأوضح الدلائل على المدبر المقدر ، البارىء المصور ، يأيها العقول النافرة ، والقلوب النائرة أنى تؤفكون ، وعن أى سبيل تعمهون ، وفى أى حيرة تهيمون وإلى أي غاية توفضون ، لو كشفت الأغطية عن القلوب ، وتجلت الغشاوة عن العيون ، لصرح الشك عن اليقين ، وأفاق من نشوة الجهالة من استولت عليه الضلالة . ﴾

* * *

الفصل العاشر :

وصية هاشم بن عبد مناف (١) لقريش وخزاعة

أوصى هاشم بن عبد مناف قريش وخزاعة فقال : -

﴿ أيها الناس ، نحن آل إبراهيم ، وذرية إسماعيل ، وبنو النضر بن كنانة وبنو قصي بن كلاب ، وأرباب مكة ، وسكان الحرم ، لنا ذروة الحسب ، ومعدن المجد ، ولكل فى كل حلف يجب عليه نصرته ، وإجابة دعوته ، إلا مادعا إلى عقوق عشيرة ، وقطع رحم ، يابنى قصى : أنتم كغصني شجرة أيهما كسر أوحش صاحبه ، والسيف لايصان إلا بغمده ، ورامي العشيرة يصيبه سهمه ومن أمحكه اللجاج أخرجه إلى البغي .

١) هو هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة من قريش ، أحد من إنتهت إليهم السيادة فى الجاهلية ، ومن بنيه النبي (ﷺ) قال مؤرخوه إسمه عمرو ، وغلب عليه لقب هاشم لأنه أول من هشم الثريد لقومه بمكة فى احدى المجاعات ، وهو أول من سن الرحلتين لقريش للتجارة رحلة الشتاء والصيف ، وهو الذى أخذ الحلف من قيصر لقريش على أن تأتي الشام وتعود منها أمنة ، يضرب به المثل فى الكرم ، ولد بمكة وساد صغيراً ، فتولى بعد موت أبيه سقاية الحاج ورفادته ، وفد على الشام فى تجارة له فمرض فى طريقه وتحول إلى غزة فى فلسطين فمات فيها وهو شاب ، ويقال لغزة " غزة هاشم " ، وإليه نسبة الهاشميين على تعدد بطونهم . (الأعلام لخير الدين الزركلي) .

أيها الناس : الحلم شرف ، والصبر ظفر ، والمعروف كنز ، والجود سؤدد ، والجهل سفه ، والأيام دول ، والدهر غير ، والمرء منسوب إلى فعله ، ومأخوذ بعمله ، فأصطنعوا المعروف تكسبوا الحمد ، ودعوا الفضول تجانبكم السفهاء ، وأكرموا الجليس يعمر ناديكم ، وحاموا الخليط يرغب فى جواركم ، وانصفوا من أنفسكم يوثق بكم، وعليكم بمكارم الأخلاق فإنها رفعة ، وإياكم والأخلاق الدنية فإنها تضع الشرف ، وتهدم المجد ، وإن نهنهة الجاهل أهون من جريرته ، ورأس العشيرة يحمل أثقالها ، ومقام الحليم عظة لمن إنتفع به . ﴾

* * *

الفصل الحادي عشر :

وصية قس بن ساعدة الإيادي(١)

قال قس بن ساعدة يعظ بسوق عكاظ :

﴿ أيها الناس : إسمعوا وعوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ، ليل داج ، ونهار ساج ، وسماء ذات أبراج ، ونجوم تزهر ، وبحار تزخر ، وجبال مرساه ، وأرض مدحاه ، وأنهار مجراه .

إن فى السماء لخبراً ، وإن فى الأرض لعبراً ، ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون ، أرضوا فأقاموا ، أم تركوا فناموا ؟ يقسم قس بالله قسماً لا إثم فيه : إن لله ديناً هو أرضى له ، وأفضل من دينكم الذى أنتم عليه ، إنكم لتأتون من الأمر منكراً .

ثم أنشأ بعد ذلك يقول :

فى الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر

لما رأيت موارداً للموت ليس لها مصادر

١) هو قس بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك ، من بني إياد ، أحد حكماء العرب ومن كبار خطبائهم فى الجاهلية ، كان أسقف نجران ، يقال أنه أول عربي خطب متوكئاً على سيف أو عصا ، وأول من قال فى كلامه " أما بعد " ، كان يفد على قيصر الروم زائراً فيكرمه ويعظمه ، وهو معدود فى المعمرين ، أدركه النبي (ﷺ) قبل النبوة ورآه فى عكاظ وسئل عنه بعد ذلك فقال : يحشر أمة وحده . (الأعلام لخير الدين الزركلي)

ورأيت قومي نحوها تمضي الأكابر والأصـــاغر

لا يرجع الماضي إلي ولا مــن الباقين غـــابـــر

أيقنت أني لا محالة حيث صــار القـــوم صائــر . ﴾

* * *

الفصل الثانى عشر :

وصية أمامة بنت الحارث (١) لابنتها أم إياس

أوصت أمامة بنت الحارث ابنتها أم إياس عندما حملت إلى زوجها فقالت : –

❁ أي بنيــة : إن الوصيـة لـو تركـت لفضل أدب ، تركـت لذلـك منك ، ولكنها تذكرة للغافل ، ومعونـة للعـاقل ، ولـو أن امـرأة استغنت عن الـزوج لغنى أبويها ، وشدة حاجتهمـا إليهـا ، كنـت أغنـى النـاس عنه ، ولكن النساء للرجال خلقن ، ولهن خلق الرجال .

أى بنية : إنك فارقت الجـو الـذى منـه خرجت ، وخلفت العش الذى فيه درجت إلى وكر لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فـأصبح بملكـه عليك رقيباً ومليكاً ، فكونى له أمة يكن لك عبداً وشيكاً .

يابنية : احملي عني عشر خصال تكن لك ذخراً وذكراً ، الصحبة بالقناعة ، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة ، والتعهد لموقـع عينـه ، والتفقد لموضع أنفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشم منـك إلا أطيب ريح ، والكحل أحسن الحسـن ، والمـاء أطيب الطيـب المفقـود ، والتعهد لوقت طعامه ، والهدو عنـه عنـد منامـه ، فإن حـرارة الجـوع ملهبة ، وتنغيص النوم مغضبة ، والاحتفاظ ببيته وماله ،

---

١) هي أمامة بنت الحارث الشيبانية ، فصيحة نبيلة جاهلية ، كـانت زوجـة لعوف بـن محلـم الشيباني ، تزوج إبنتها أم إياس ملك كنده الحارث بن عمرو.(الأعلام لخير الدين الزركلي)

والإرعاء على نفسه وحشمه وعياله ، فإن الاحتفاظ بالمال حسن التقدير ، والإرعاء على العيال والحشم جميل حسنَ التدبير ، ولا تفشي له سرا ، ولا تعصي له أمراً ، فإنك إن أفشيت سره ، لم تأمنى غدره ، وإن عصيت أمره ، أوغرت صدره ، ثم اتقي من ذلك الفرح إن كان ترحا ، والا كتئاب عنده إن كان فرحا ، فإن الخصلة الأولى من التقصير ، والثانية من التكدير ، وكوني أشد ما تكونين له إعظاماً ، يكن أشد ما يكون لك إكراماً ، وأشد ما تكونين له موافقة ، يكن أطول ما تكونين له مرافقة ، واعلمي أنك لا تصلين إلى ما تحبين ، حتى تؤثري رضاه على رضاك ، وهواه على هواك فيما أحببت وكرهت ، والله يخير لك ويصنع لك برحمته . ﴾

* * *

الفصل الثالث عشر :

وصايا متفرقة للحكماء القدماء والبعض منهم مجهولاً

١ - أعرابية توصى ابنها عندما أراد السفر : -

أوصت أعرابية ولداً لها يريد السفر فقالت :

﴿ أي بني أجلس أمنحك وصيتى ، وبالله توفيقك ، فإن الوصية أجدى عليك من كثير عقلك ، أي بني إياك والنميمة فإنها تزرع الضغينه ، وتفرق بين المحبين ، وإياك والتعرض للعيوب فتتخذ غرضاً وخليق أن لا يثبت الغرض على كثرة السهام ، وقلما إعتورت السهام غرضاً إلا كلمته حتى يهي ما إشتد من قوته ، وإياك والجود بدينك والبخل بمالك ، وإذا هززت فأهزز كريماً يلين لهزتك ، ولا تهزز اللئيم فإنه صخرة لا ينفجر ماؤها ، ومثل لنفسك مثال ما إستحسنت من غيرك فأعمل به ، وما إستقبحت من غيرك فاجتنبه ، فإن المرء لا يرى عيب نفسه ، ومن كانت مودته بشره ، وخالف ذلك منه فعله ، كان صديقه منه على مثل الريح فى تصرفها ، والغدر أقبح ما تعامل به الناس بينهم ، ومن جمع الحلم والسخاء فقد أجاد الحلة ربطتها وسربالها . ﴾

***

٢ - أعرابية توصى أبنها أيضاً :

﴿ يابني إن سؤالك الناس ما في أيديهم من أشد الإفتقار إليهم ، ومن إفتقرت إليه هنت عليه ، ولا تزال تحفظ وتكرم ، حتى تسأل وترغب ، فإذا ألحت عليك الحاجة ، ولزمك سوء الحال ، فأجعل سؤالك إلى من إليه حاجة السائل والمسئول،فإنه يعطى السائل . ﴾

* * *

٣ - عابدة بغدادية تعظ إبنها : -

﴿ ويحك يابني ، إحذر بطالات الليل والنهار ، فتفتضى مهلات الأعمار وأنت غير ناظرا لنفسك ولا مستعد لسفرك .

ويحك يابني ، ما من الجنة عوض ، ولا فى ركوب المعاصى ثمن من حلول النار .

ويحك يابني ، مهد لنفسك قبل أن يحال بينك وبين ذلك ، وجد قبل أن يجد الأمر بك ، واحذر سطوات الدهر ، وكيد الملعون عند هجوم الدنيا بالفتن وتقلبها بالعبر فعند ذلك يهتم التقي كيف ينجوا من مصائبها . ﴾

* * *

٤ - الأعراب يوصون أبنائهم :

قال أحدهم :

﴿ ابذل المودة الصادقة تستفد إخواناً ، وتتخذ أعواناً ، فإن العداوة موجودة عتيده ، والصداقة مستعزة بعيدة ، جنب كرامتك اللئام ، فإنهم إن أحسنت إليهم لم يشكروا ، وإن نزلت شديده لم يصبروا . ﴾

وقال أخر :

﴿ لا يغرنك ما ترى من خفض العيش ولين الرياش ، ولكن فأنظر إلى سوء الظعن وسوء المنقلب . ﴾

وقال ثالث :

﴿ كن للعاقل المدبر أرجى منك للأحمق المقبل ثم أنشد :

عدوك ذو الحلم أبقى عليك   وأرعى من الوامق الأحمق ﴾

وقال أعرابى لأبنه عندما أراد الزواج :

﴿ يابنى لا تتخذها حنانه ، ولا أنانه ، ولا منانه ، ولاعشبة الدار ، ولا كبة القفا . ﴾

* * *

٥ - الأعراب يوصون اخوانهم : -

قال أحدهم :

﴿ أعلم أن الناصح لك المشفق عليك ،من طالع لك ما وراء العواقب برؤيته ونظره ، ومثل لك الأحوال المخوفة عليك ، وخلط الوعر بالسهل من كلامه ومشورته ليكون خوفك كفاء رجائك ، وشكرك إزاء النعمة عليك ، وأن الغاش لك ، والحاطب عليك ، من مد لك فى الإغترار ، ووطأ لك مهاد الظلم ، تابعاً لمرضاتك منقاداً لهواك . ﴾

* * *

وقال أخر واعظاً أخاه بعدما أفسد ماله فى الشراب :

﴿ لا الدهر يعظك ، ولا الأيام تنذرك ، ولا الشيب يزجرك ، والساعات تحصى عليك ، والأنفاس تعد منك ، والمنايا تقاد إليك ، أحب الأمور إليك ، أعودها بالمضرة عليك ﴾

* * *

وقال أعرابي ثالث :

﴿ ياأخى أنت طالب ومطلوب ، يطلبك مالا تفوته ، وتطلب ما قد كفيته ، فكأن ما غاب عنك قد كشف لك ، وما أنت فيه قد نقلت عنه ، فأمهد لنفسك وأعد ذلك وخذ فى جهازك . ﴾

* * *

٦ – حكماء يوصون أبنائهم:

قال حكيم :

﴿ يابني ، عليك بالترحيب والبشر ، وإياك والتقطيب والكبر ، فإن الأحرار أحب إليهم أن يلقوا بما يحبون ويحرموا ، من أن يلقوا بما يكرهون ويعطوا ، فأنظر إلى خصلة غطت على مثل اللؤم فألزمها وانظر إلى خصلة عفت على مثل الكرم فأجتنبها ، ألم تسمع قول حاتم الطائى : –

أضاحك ضيفي قبل إنزال رحله	ويخصب عندي المحل وهو جديب
وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى	ولكنما وجه الكريم خصيب ﴾

وقال حكيم أخر :

﴿ يابني ، تعلم حسن الإستماع كما تتعلم حسن الحديث ، وليعلم الناس أنك أحرص على أن تسمع منك على أن تقول ، فأحذر أن تسرع فى القول فيما تحب عنه الرجوع بالفعل ، حتى يعلم الناس أنك على فعل ما لا تقل أقرب منك إلى قول ما لا تفعل . ﴾

* * *

وقال ثالث لبنيه :

﴿ يابني ، إياكم والجزع عند المصائب ، فإنه مجلبة للهم وسوء ظن بالرب وشماته للعدو ، وإياكم أن تكونوا بالأحداث مغترين ، ولها أمنين ، فإنى والله ما سخرت من شيء إلا نزل بى مثله ، فاحذروها

وتوقعوها ، فإنما الإنسان فى الدنيا غرض تتعاوره السهام ، فمجاوز له ومقصر عنه وواقع عن يمينه وشماله ، حتى يصيبه بعضها ، وأعلموا أن لكل شيء جزاءً ولكل عمل ثواباً . وقد قالوا كما تدين تدان ، ومن بر يوماً بر به وقال الشاعر :

إذا ما الدهر جر على أناس حوادثه أناخ بآخرينا

فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا . ﴾

***

وقال حكيم أيضاً :

﴿ يابني ، إنى موصيك بوصية ، فإن لم تحفظ وصيتى عنى لم تحفظها عن غيري : إتق الله ما إستطعت ، وإن قدرت أن تكون اليوم خيراً منك أمس وغداً خيراً منك اليوم فافعل ، وإياك والطمع فإنه فقر حاضر ، وعليك باليأس فأنك لن تيأس من شيء قط إلا أغناك الله عنه وإياك وما يعتذر منه فإنك لن تعتذر من خير أبداً ، وإذا عثر عاثر فأحمد الله أن لا تكون هو .

يابني ، خذ الخير من إهله ، ودع الشر لأهله ، وإذا قمت إلى صلاتك فصل صلاة مودع ، وأنت ترى أن لا تصلى بعدها أبداً . ﴾

***

٧ - **من وصايا كتاب الهند** [١]:

ومما جاء فى كتاب الهند من المواعظ : -

أولاً:

﴿ أن الرجل السوء لا يتغير عن طبعه كما أن الشجرة المرة لو طليتها بالعسل لم تثمر إلا مراً . ﴾

***

ثانياً :

﴿ أن العدو الشديد الذى لا تقوى له لا ترد بأسه عنك بمثل الخشوع والخضوع له ، كما أن الحشيش إنما يسلم من الريح العاصفة بلينه وإنثنائه معها . ﴾

***

ثالثاً :

﴿ أن رجلاً دخل على أحد الملوك فقال له : إن نصيحتك واجبة في الصغير الحقير ، والكبير الخطير ، ولولا الثقة بفضيلة رأيك ، واحتمالك ما يسوء موقعه من الأسماع والقلوب في جنب صلاح العامة وتألف الخاصة ، لكان خرقا مني أن أقول .

---

١) يقصد بكتاب الهند كتاب كليلة ودمنه لمؤلفه عبد الله بن المقفع

ولكنا إذا رجعنا إلى أن بقاءنا موصول ببقائك ، وأنفسنا متعلقة بنفسك ، لم نجد بداً من أداء الحق إليك ، وإن أنت لم تسلني ذلك ، فإنه يقال : من كتم السلطان نصيحته ، والأطباء مرضه ، والإخوان بثه ، فقد أخل بنفسه ، انا أعلم أن كل ما كان من الكلام يكرهه سامعه لا يتشجع عليه قائله ، إلا أن يثق بعقل المقول له ذلك . فإنه إذا كان عاقلاً احتمل ذلك ، لأنه ما كان فيه من نفع فهو للسامع دون القائل . وإنك أيها الملك ذو فضيلة في الرأي ، وتصرف في العلم ، ويشجعني ذلك على أن أخبرك بما تكره ، واثقاً بمعرفتك نصيحتي لك وإيثاري إياك على نفسي . ﴾

* * *

رابعاً :

﴿ ما التبع والإخوان والأهل والأصدقاء والأعوان والحشم إلا مع المال ، وما أرى المروءة يظهرها إلا المال ، ولا الرأي والقوة إلا بالمال ، ووجدت من لا مال له إذا أراد أن يتناول أمراً قعد به العدم ، فيبقى مقصراً عما أراد ، كالماء الذي يبقى في الأودية من مطر الصيف فلا يجري إلى بحر ولا نهر ، بل يبقى مكانه حتى تنشفه الأرض ، ووجدت من لا إخوان له لا أهل له ، ومن لا ولد له لا ذكر له ، ومن لا عقل له لا دنيا له

ولا آخرة له ، ومن لا مال له لا شيء له ، لأن الرجل إذا افتقر رفضه إخوانه وقطعه ذوو رحمه ، وربما اضطرته الحاجة لنفسه وعياله إلى التماس الرزق بما يغرر فيه بدينه ودنياه ، فإذا هو قد خسر الدنيا والآخرة ، فلا شيء أشد من الفقر ، والشجرة النابته على الطريق المأكولة من كل جانب أمثل حالاً من الفقير المحتاج إلى ما في أيدي الناس ، والفقر داع صاحبه إلى مقت الناس ، ومتلف للعقل والمروءة ، ومذهب للعلم والأدب ، ومعدن للتهمة ، ومجمع للبلايا . ووجدت الرجل إذا افتقر أساء به الظن من كان له مؤتمناً ، وليس من خصلة هي للغني مدح وزين إلا وهي للفقير ذم وشين ، فإن كان شجاعاً قيل أهوج ، وإن كان جواداً قيل مفسد ، وإن كان حليماً قيل ضعيف ، وإن كان وقوراً قيل بليد ، وإن كان صموتاً قيل عيي ، وإن كان بليغاً قيل مهذار فالموت أهون من الفقر الذي يضطر صاحبه إلى المسألة ، ولا سيما مسألة اللئام ، فإن الكريم لو كلف أن يدخل يده في فم تنين ويخرج منه سماً فيبتلعه ، كان أخف عليه من مسألة البخيل اللئيم . ﴾

* * *

خامساً :

﴿ الحازم يحذر عدوه على كل حال ، يحذر المواثبة إن قرب ، والمعاودة إن بعد ، والكمين إن انكشف ، والاستطراد إن ولى ، والكرة إن فر . ﴾

* * *

٨ - وصايا أبرويز [١] **:**

وصى أبرويز أبنه شيرويه في الرعية فقال : -

﴿ وليكن من تختاره لولايتك أمرأً كان في ضعة فرفعته ، أو ذا شرف كان مهملا فاصطنعته ، ولا تجعله امرأ أصبته بعقوبة فاتضع لها ، ولا امرأً أطاعك بعد ما أذللته ، ولا أحداً ممن يقع في قلبك إن إزالة سلطانك أحب إليه من ثبوته ، وإياك أنْ تستعمله ضرَعاً غمراً كثيراً إعجابه بنفسه ، قليلاً تجربته في غيره ، ولا كبيراً مدبراً قد أخذ الدهر من عقله ، كما أخذت السن من جسمه . ﴾

* * *

---

١) هو أبرويز بن هرمز ويعرف بكسرى عندما ملك أقبل على رعيته بالعسف والخبط ، وأمسك عن الإنفاق وغزا الشام وبلغ مصر وحاصر ملك الروم بقسطنطينية ، ضجر الناس منه فخلعوه بعد ٣٨ سنه من ملكه . (المعارف لإبن قتيبة)

ووصاه فى سياسة الحكم فقال :

﴿ اعلم أن كلمة منك تسفك دماً ، وأخرى منك تحقن دماً ، وأن سخطك سيف مسلول على من سخطت عليه ، وأن رضاك بركة مستفيضة على من رضيت عنه ، وأن نفاذ أمرك مع ظهور كلامك ، فاحترس في غضبك من قولك أن يخطىء ، ومن لونك أن يتغير ، ومن جسدك أن يخف ، فإن الملوك تعاقب حزماً وتعفو حلماً . واعلم أنك تجل عن الغضب ، وأن ملكك يصغر عن رضاك ، فقدر لسخطك من العقاب ، كما تقدر لرضاك من الثواب . ﴾

* * *

ووصى صاحب بيت المال فقال : –

﴿ إني لا أعذرك في خيانة درهم ولا أحمدك على صيانة ألف ألف درهم : لأنك إنما تحقن بذلك دمك وتقيم أمانتك ، فإن خنت قليلاً خنت كثيراً . واحترس من خصلتين : النقصان فيما تأخذ ، والزيادة فيما تعطي ، واعلم أني لم أجعلك على ذخائر الملك وعمارة المملكة والقوة على العدو ، وإلا وأنت عندي آمن من موضعه الذي هو فيه ، وخواتمه التي هي عليه ، فحقق ظني باختياري إياك أحقق ظنك في رجائك إياي . ولا تتعوض بخير شراً ، ولا برفعة ضعة ، ولا بسلامة ندامة ، ولا بأمانة خيانة . ﴾

* * *

٩- **قال الحكماء يعظون :**

أولاً :

﴿ يا قوم ، استبدلوا العواري بالهبات تحمدوا العقبى ، واستقبلوا المصائب بالصبر تستحقوا النعمى ، واستديموا الكرامة بالشكر تستوجبوا الزيادة ، واعرفوا فضل البقاء في النعمة ، والغنى في السلامة ، قبل الفتنة الفاحشة ، والمثلة البينة ، وانتقال العمل ، وحلول الأجل ، فإنما أنتم في الدنيا أغراض المنايا ، وأوطان البلايا ، ولن تنالوا نعمة إلا بفراق أخرى ، ولا يستقبل معمر منكم يوماً من عمره إلا بانتقاص آخر من أجله ، ولا يحيا له أثر إلا مات له أثر . فأنتم أعوان الحتوف على أنفسكم ، وفي معايشكم أسباب مناياكم ، لا يمنعكم شيء منها ، ولا يشغلكم شيء عنها ، فأنتم الأخلاف بعد الأسلاف وستكونون أسلافاً بعد الأخلاف . بكل سبيل منكم صريع منعفر ، وقائم ينتظر ، فمن أي وجه تطلبون البقاء وهذان الليل والنهار ، لم يرفعا شيئاً قط إلا أسرعا الكرة في هدمه ، ولا عقدا أمراً قط إلا رجعا في نقضه . ﴾

* * *

ثانياً :

﴿ لا يكونن منكم المحدث ولا ينصت له ، والداخل فى سر اثنين لم يدخلاه ، ولا آتى الدعوة لم يدع إليها ، ولا الجالس المجلس لا يستحقه ، ولا الطالب الفضل من أيدي اللئام ، ولا المتعرض للخير من عند عدوه ، ولا المتحمق فى الدالة . ﴾

* * *

ثالثاً :

﴿ إياك والعجلة ، فإن العرب كانت تكنيها : أم الندامة لأن صاحبها يقول قبل أن يعلم ، ويجيب قبل أن يفهم ،ويعزم قبل أن يفكر ، ويقطع قبل أن يقدر ، ويحمد قبل أن يجرب ، ويذم قبل أن يخبر ، ولن يصحب هذه الصفة أحد إلا صحب الندامة ، واعتزل السلامة . ﴾

* * *

رابعاً :

﴿ آمرك بمجاهدة هواك ، فإنه يقال : إن الهوى مفتاح السيئات ، وخصيم الحسنات وكل أهوائك لك عدو ، وأهواها هوى يكتمك فى نفسه ، وأعداها هوى يمثل لك الإثم فى صورة التقوى ، ولن تفصل بين هذه الخصوم إذا تناظرت لديك إلا

بحزم لا يشوبه وهن ، وصدق لا يطمع فيه تكذيب ، ومضـاد لا يقاربـه التثبـط ، وصـبر لا يغتالـه جـزع ، ونيـة لا يتقسـمها التضييع . ﴾

* * *

خامساً :

﴿ إنى لأعظكم ، وإنى لكثير الذنوب مسرف علـى نفسـي ، غـير حامد لها ، ولا حاملها على المكروه فى طاعة اللـه عز وجل ، قد بلوتها فلم أجد لها شكراً فى الرخـاء ولا صبراً علـى البـلاء، ولو أن المرء لا يعظ أخـــاه حتى يحكم أمر نفسه ، لترك الأمر بـالخير والنهـي عن المنكـر ، ولكـن محادثـة الإخـوان حيـاة للقلـوب، وجـلاء للنفـوس ، وتذكـير مـن النسـيان . واعلمـوا أن الدنيا سرورها أحزان ، وإقبالها إدبار ، وآخر حياتهـا المـوت ، فكم من مستقبل يوما لا يستكمله ، ومنتظر غداً لا يبلغـه ، ولـو تنظرون إلى الأجل ومسيره ، لأبغضتم الأمل وغروره . ﴾

* * *

سادساً :

﴿ احذر فلانا ، فإنه كثير المسألة ، حسن البحث ، لطيف الاستدراج ، يحفظ أول كلامك على آخره ، ويعتبر ماأخرت بما قدمت ، فلا تظهرن له المخافة ، فيرى أنك قد تحرزت . واعلم أن من يقظة الفطنة إظهار الغفلة مع شدة الحذر ، فباثه مباثة الآمن ، وتحفظ منه تحفظ الخائف ، فإن البحث يظهر الخفي الباطن ، ويبدى المستكن الكامن . ﴾

* * *

سابعاً :

﴿من كانت فيه سبع خصال لم يعدم سبعاً : من كان جواداً لم يعدم الشرف ، ومن كان ذا وفاء لم يعدم الثقة ، ومن كان صدوقاً لم يعدم القبول ، ومن كان شكوراً لم يعدم الزيادة ، ومن كان ذا رعاية للحقوق لم يعدم السؤدد ، ومن كان منصفاً لم يعدم العافية ، ومن كان متواضعاً لم يعدم الكرامة . ﴾

* * *

ثامناً :

﴿ جالس أهل العلم ، فإن جهلت علموك ، وإن زللت قوموك ، وإن أخطأت لم يفندوك ، وإن صحبت زانوك ، وإن غبت تفقدوك . ولا تجالس أهل الجهل فإنك إن جهلت عنفوك ، وإن زللت لم يقوموك ،وإن أخطأت لم يثبتوك . ﴾

* * *

الفصل الرابع عشر :

دعـــاء طاغور (١)

قال طـاغور الفيلسوف هذا الدعـاء والـذى رأينـا صلاحيتـه وروعتـه وفائدته فأوردناه :

﴿ يارب ! لا تجعلني جزاراً يذبح الخرفان ، ولا تجعلنـي شـاةً يذبحهـا الجزارون

يارب ! ساعدني على أن أقول كلمة الحـق فـي وجـه الأقويـاء وسـاعدني علـى ألا أقـول البـاطل لأكسـب تصفيـق الضعفـاء .

يارب! إذا أعطيتني مالاً لا تأخذ سعادتي ! وإذا أعطيتنـي قـوة لا تـأخذ عقلـي وإذا أعطيتنـي نجاحـاً لا تـأخذ تواضعـي وإذا أعطيتنـي تواضعاً لا تأخذ اعتزازي بكرامتي .

يارب! علمني أن أحب الناس كمـا أحـب نفسـي وعلمنـي أن أحاسـب نفسـي كمـا أحاسـب النـاس .

---

١) هو رابند رانات دفند رانات طاغور ، أديب وشاعر وفيلسوف وسياسي هندي ، أول من نـال جائزة نوبـل فـى الآداب فـى الشرق علـى كتاب أشعاره " جتنجالي " ، (طاغور للدكتور شكري محمد عياد)

ياربـ ! ساعدني علـى أن أرى الناحيـة الأخـرى مـن الصـورة ولا تتركني أتهم أخصامي بأنهم خونـة لأنـهم اختلفوا معي في الـرأي

ياربـ ! لا تدعني أصاب بالغرور إذا نجحت ولا أصاب باليـأس إذا فشلت بل ذكرني دائماً بأن الفشل هو التجارب التي تسبق النجاح .

ياربـ! علمني أن التسامح هو أكـبر مراتـب القـوة ، وأن حـب الانتقام هو أول مظاهر الضعف .

ياربـ! إذا جردتني من المال أترك لي الأمل وإذا جرتنـي مـن النجاح أترك لي قوة العناد حتـى أتغلـب علـى الفشـل وإذا جرتنـي مـن نعمة الصحة أتـــرك لـــــي نعمـــــة الإيمــــــان .

ياربـ ! إذا أسأت إلى الناس أعطنـي شجاعة الاعتـذار ، وإذا أســاء النـــاس إلـــي اعطنـــي شـــجاعة العفـــو والغفـــران .

ياربـ ! إذا نسيتك لا تنسني . ﴾

* * *

خاتــمة

تابعنا فيما سبق تلك الوصايا الخالدة والمخلصة ، والصادرة من قلوب ناصحة ، وعقول نيرة ، وأفكار خيرة ، وتجارب سابقة ، وآفاق واسعة ، وتطلعات فائقة ، ووجدناها صالحة لكل زمان ومكان ولكل فئة من فئات المجتمع ، للحاكم ، للرعية ، للعسكر ..... ، للعادل ، للظالم ، للمتكبر ، للعالم ، للجاهل ......، للرجال ، للنساء ، للأولاد ، للبنات ، للزوجات .....، للحياة الإقتصادية ،للحياة الإجتماعية ، للحياة السياسية... إلخ وهكذا نكاد القول أنهم لم يتركوا شاردة ولا واردة إلا أتوا بها .

وقد قمنا بتبويب وتفصيل تلك الوصايا والمواعظ هادفين من ذلك سهولة وصولها للقارىء ، مع ملاحظة أنه لم يكن بالضرورة أنها جاءت على لسان قائليها حسب الترتيب والأولوية التى إنتهجناها سواء من ناحية زمان ومكان الوصية أو الموعظة أو قائلها ولكن هذا ما تراء لنا للتيسير والتسهيل ليس إلا .

فلذلك يأخي عليك بالإستفادة من تلك الوصايا ومن سير قائليها وإبتعد عن إنطباق قول الشاعر عليك :

إذا لم تصن عرضاً ولم تخشى خالقاً

وتستحي مخلوقاً فما شئت فاصنع

واستمع جيداً إلى قول الآخر :

إذا المرء أعطى نفسه كل ماإشتهت

ولم ينهها تاقت إلى كل باطل

وساقت إليه الإثم والعار بالذي

دعته إليه من حــــلاوة عاجــل

لله در هذا الشاعر فقد قيل في المثـل لسابق العصور

العقل وزير ناصح والهوى وكيل فاضح .

ولكن ومع ذلك تبقى هناك قضية يجـب أن نتوقـف عندهـا جميعاً وتستحق ذلك التوقف وهذه القضية برزت كظـاهرة إجتماعية ثم أصبح المجتمع الإسلامي يئن منهـا والصياح يعلو من المخلصين لتجنبهـا والإبتعـاد عنهـا لخطورتهـا وهى قضية أصبحت - حقيقة - في وقتنـا الحـاضر كارثـة الكوارث ، ألا وهى قضيــة **المخدرات** ، ومـا أدراك مـا المخدرات ، فهي آفة الآفات ، وأم الكبـائر والمحرمـات ، والمؤدية بالأحياء إلى مقابر الأموات .

وتعالوا معنا لنبين لكم الأعراض الإصابية لضحاياها وآثارها وقانا ا لله وإياكم منها ومن شرورها ، فأما أعراضها فإنكم سوف ترون عقولاً مسلوبة ، وأراءً طائشة ، وأفكاراً متهورة ، ونواياً شريرة ، وعيوناً جاحظة ، وشفاهاً مسوده ، وأيدي محروقة ، وأسناناً نخرة مصفرة ، وأجساماً مرتعشة ، وأبداناً هزيلة ، وقلوباً خائفة وواجفة ، وحالة عامة متردية إلى أسفل درجات التردي .

ومن آثار إنتشار ذلك الوباء المريب فى المجتمع أنكم سوف تجدون وبشكل ملفت للنظر : شباباً غارقاً فى الأوهام والخيال ، متمرغاً فى دروب الفشل والأوحال ، ورجالاً مقهورة مسلوبة الإرادة ، تتحول أحياناً إلى وحوش كاسرة ، وأحياناً أخرى إلى مساكين مغلوبين على

أمرهم ، ومسئولين مرتشين ، وفساداً منتشراً في كل حدب وصوب ، وبناتاً ضائعات ، وأولاداً حيارى ، وأباءً وأمهات مبهورين مشدوهين واجمين .

وتضيق الدائرة حول هؤلاء أكثر فأكثر ولذلك ستجدون أيضاً : أخلاقاً ساقطه ، وأحلاماً متلاشية وغيرة مقتولة ، وطموحاً موؤداً ، وبيوتاً معدة للرذيلة السحيقة ، وشرفاً مثلوماً ، وأسراً مشتته ، وجرائم بشعة مرتكبة ، وحياة مدمرة ، وكرامة مداسة ومهانة ، وأموالاً مهدرة ومبددة ، وإقتصاداً منهاراً ، ونفسيات محبطة ، وقوى خائرة ، ومستقبلاً مظلماً ، وإنسانية محطمة ، وأرحاماً مقطوعة ، وخيرات ممنوعة ، ومحرمات متبوعة ، وأهدافاً مادية بشعة جشعة نهمة مجرمة صُيرت مشروعة ، وذمماً خربة

مشتراه وحالة مـن القلـق والإضطـراب والإكتئـاب والذعـر والوجوم تسيطر على المجتمع .

فمن أصيب بمرضها وصرعتـه هـوت بـه فـى مهـاوي الردى والعار والرذيلة وسقطت به سقوطاً سحيقاً ، وتلـك هى المصيبة الكبرى وطريق الهاوية ، ومن مشى فيه لا بـد هالك ، ومجتمع يقف موقف المتفرج حيال هذا الأمر فهـو يتهاوى وإذا تهاوى المجتمـع لابـد يومـاً مـن وقوعـه وإذا وقع تحول إلى مجتمع تحكمه شريعة الغاب .

وهذا إي وربي بداية الإنحدار والهـوان والـزوال فـى هـذا الزمن .

فيا أيهـا الأخـــــــــوة : رجـال ونسـاء ، شـباب وشـابات ، الحـذر الحـذر مـن الإنـزلاق فـى مسـتنقعاتها ووسنها ، والبعد البعد عن السالكين طريقهـــا واجتنبوا

ما استطعتم مرضى هذا الوباء مادمتم فى فسحة من أمركـم فإن سرعة إنتشاره فى زبائنه لا مثيل لهـا أبداً ، فكيـف برجل وهبـه ا لله العقـل والفكـر يرضـى لنفسـه أن يصبـح كاالجرثومة التـى يتحاشـاها كـل مـن يعرفهـا ، إنـه حقـاً لأمراً غريباً ومحيراً فى ذات الوقت .

وإيـاكم أن يكـون أحدكـم كاالغيثـاره التـى يعـزف عليهـا البائس والسعيد بين جمهوراً يتمايل طربـاً دون تميـيز لمـا يقدمه له ذلك العازف من غث وسمين ، بـل ليحـرص كـل منكم على أن يكون حراً يحلق علـى سفاح الجبـال ويـأبى العيش مدفوناً فى الحفر وهو على قيد الحياة .

وإتخذوا من قول الشاعر أبي القاسم الشابي مبدأً لكـم فى الحياة :

ومن لا يحب صعود الجبال يعش أبد الدهر بين الحفر

ويأأيها الرجال الغيـــارى : الوصيـــة الوصيـــة ، والنصيحـة النصيحـة ، قفـوا ، وإنتبهـوا ، وتفكـروا ، وتدبروا عاقبة أمركم وأمر مجتمعكم ، فالأمر جداً خطـير ويحتاج إلى شحذ همم الرجال المخلصين وتسخير الطاقـات للعمل على وقف الطوفان قبل أن يغرق الجميع فتندموا في وقت لا ينفع معه الندم .

والأن لم يبقى إلا أن اذكركم بقول المصطفـى ﴿ﷺ﴾ حيث قال ﴿ **ما منكم من أحد أصبح إلا وهو ضيف وماله عارية والضيف مرتحل والعارية مؤداه** ﴾ .

وقال عبد الله بن المعتز :

نسير إلى الآجال في كل ساعـة

وأيامنا تطوى وهـــن مـراحل

ولم نر مثل الموت حقاً كأنـــــه

إذا ما تخطته الأمانـــــــي باطل

وما أقبح التفريط فى زمن الصبا

فكيف به والشيب فى الرأس نازل

ترحل عن الدنيا بزاد من التقى

فعمرك أيــــام تعد قـــــلائل

*وأخيراً لا أملك مـن القـول إلا قـول الرسـول الأعظـم عليـه أشرف الصلاة والسلام ﴿ **ألا هل بلغت اللهم فاشهد** ﴾*

الكويت

فى ١٩٩٧/٦/١

المصادر والمراجع

م	إسم الكتـــــــــاب	إســـم المؤلف
١	القرآن الكريم	ـــــ
٢	رياض الصالحين	الإمام النووي
٣	البيان والتبيين	أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ
٤	البداية والنهاية	للإمام بن كثير
٥	الأعلام	خير الدين الزركلي
٦	سيرة أعلام النبلاء	الإمام شمس الدين الذهبي
٧	العقد الفريد	ابن عبد ربه الأندلسي
٨	عيون الإخبار	أبو محمد بن قتيبه الدنيوري
٩	الموسوعة العربية الميسرة - المجلد الثاني -	ـــــ
١٠	موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية	د . أحمد شلبي
١١	الوصايا	محيي الدين بن عربي
١٢	جمهرة خطب العرب	أحمد زكي صفوت
١٣	جمهرة رسائل العرب	أحمد زكي صفوت
١٤	الوصايا الخالدة	عبد البديع صقر
١٥	المواعـــــظ	الشيخ الصدوق
١٦	الشفـــــــاء	للإمام بن الجوزية
١٧	غذاء الألباب	محمد بن أحمد الحنبلي
١٨	المعارف	ابن قتيبة
١٩	عمر بن الخطاب	عبد الكريم الخطيب
٢٠	وصايا الرسول والخلفاء الراشدين	عبد الحميد شاكر
٢١	خلافة أبو بكر الصديق	مأمون عريب
٢٢	خلافة عمر بن الخطاب	مأمون غريب

م	إسم الكتـــــــــــاب	إســـم المؤلف
٢٣	خلافة عثمان بن عفان	مأمون غريب
٢٤	خلافة علي بن أبي طالب	مأمون غريب
٢٥	عمر بن عبد العزيز	أحمد عبد التواب عوض وأحمد عبيد
٢٦	لقمان الحكيم	حديوي حلاوة
٢٧	عمر بن عبد العزيز	د . وهبه الزحيلي
٢٨	النصائح الذهبية للشباب	د . موسى الخطيب
٢٩	مع الأنبياء فى القرآن الكريم	عفيف عبد الفتاح طباره
٣٠	وصايا الصالحين عند حضور الموت	أحمد رضوان أبو الخير
٣١	أدب الدنيا والدين	أبو الحسن الماوردي
٣٢	عمر بن الخطاب	د . سليمان الطماوي
٣٣	على إمام المتقين	عبد الرحمن الشرقاوي
٣٤	الوصـــايا	أبو عبد الله الحارث المحاسبي
٣٥	الظلم وأثره السيء	محمد بن عبد الله الحكمي
٣٦	رسائل الإمام علي	د . كامل حيدر
٣٧	وصايا ومواعظ العلماء للأمراء	خالد سيد علي
٣٨	اليوم الأخر - الجنة والنار -	د . عمر سليمان الأشقر
٣٩	البرهان المؤيد	الإمام أحمد الرفاعي الحسيني
٤٠	وصايا العلماء عند حضور الموت	الحافظ أبي سليمان الربعي
٤١	كلمات من ذهب	ناديا الجردي نويهض
٤٢	جولة تاريخية فى عصر الخلفاء الراشدين	د . محمد السيد الوكيل
٤٣	تحقيق مواقف الصحابة فى الفتنة	د . محمد أمحزون
٤٤	هكذا تكلم الأولياء الصالحون	أحمد حسين كعكو
٤٥	طاغور	د . شكري محمد عياد
٤٦	طاغور	كريشنا كريبلاني - نقله للعربية حسني فريز

محتويات الكتاب

محتويات الكتاب

محتويات الكتاب

محتويات الكتاب

محتويات الكتاب

محتويات الكتاب

محتويات الكتاب

